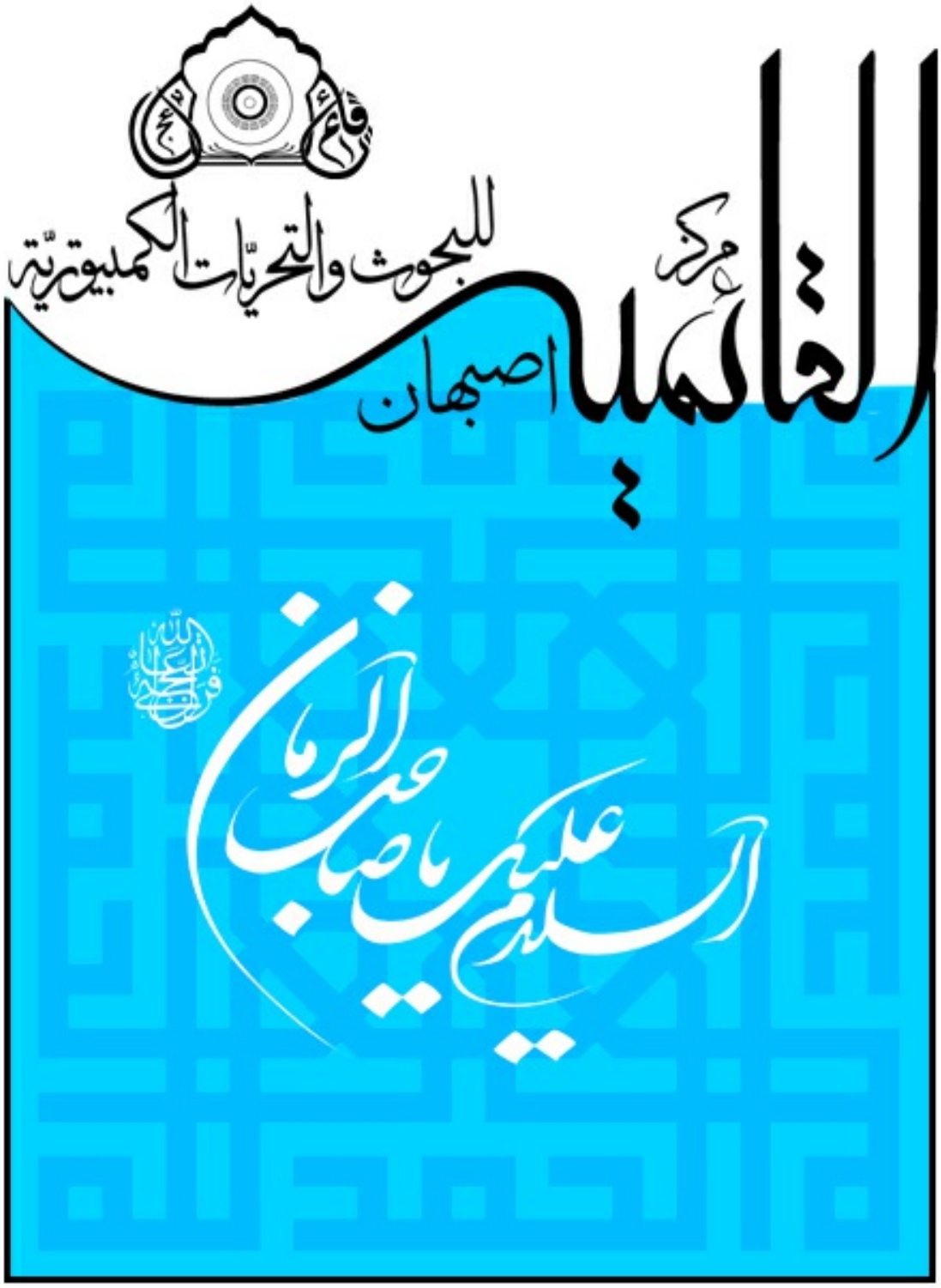

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

موسوعة
في ظلال الشهداء الطف

تأليف

الشيخ حيدر الصمياني

الجزء الأول

إصدار

بسم الله الرحمن الرحیم

موسوعه في ظلال شهداء الطف

كاتب:

حيدر الصميانى

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

موسوعه فی ظلال شهداء الطف المجلد 1 12

اشارة 12

هوية الكتاب 12

الإهداء 17

المقدمة 20

لماذا هذه الموسوعة ؟ 20

من هم أصحاب الحسين عليه السلام ؟ 25

اشارة 25

1. إنّهم مصطفون للشهادة قبل شهادتهم 26

2. الرحمة والشفقة على الأعداء 28

3. المحافظة على أوقات الصلاة 32

4. اليقين بالله وبثوابه 33

5. تشخيص الأولويّات 34

6. التركيبة المتميّزة لأصحاب الحسين عليه السلام 35

7. الوعى والبصيرة 36

8. إنّ الله تولّى قبض أرواحهم 37

9. نكرانهم لذواتهم 38

كم هو عدد أصحاب الحسين عليه السلام ؟ 39

اشارة 39

المقدمة 40

سؤال وجواب 46

جهود العلماء 47

الأيادى الآثمة المحرِّفة 50
اليد الآثمة فى تأريخ الثورة الحسينية 51
الطبرى مثالاً 51
الضحّاک کان دقیقا فی تعامله 54
تعبئة الحسين عليه السلام كانت عامة وليست خاصة بالأصحاب 56
اشارة 56
أمّا الدليل النقلى 56
وأمّا الدليل المعنوى 57
أمّا فيما يتعلّق بالفقرة (2) وهى جريمة قطع الرؤوس الشريفة 59
أمّا فيما يتعلّق بالفقرة (3) وهم المستشهدون فى الحملة الأولى وفى المبارزة 60
أمّا فيما يتعلّق بالفقرة (4) وهى كتب المقاتل القديمة 61
اشارة 61
السيد الجلالى ومقتل الفضيل بن الزبير 62
كتب المقاتل أقلّ تحريفاً من الكتب التاريخية الرسمية 62
مقتل الفضيل بن الزبير 66
أمّا فيما يتعلّق بالفقرة رقم (5) وهى زيارة الناحية المقدّسة: 70
أمّا فيما يتعلّق بالفقرة رقم (6) وهى الزيارة الرجبية 74
تقديرنا لعدد الشهداء 75
اشارة 75
التقدير الأول 75
التقدير الثانى 79
التقدير الثالث 80
الشهيد مسلم بن عوسجة 81
اشارة 81
أقوال العلماء فيه 82

أسرة الشهيد 83
الشهيد من بنى ناشرة 84
مواقفه أيام الفتح الإسلامى 85
فتح سلق آذربيجان 86
دور مسلم بن عوسجة المتميز فى المعركة 86
شبث بن ربعى يشيد بدور مسلم بن عوسجة فى المعركة 87
درس كبير من حياة هذا الشهيد 88
موقفه فى الكوفة 90
تنبيه حول قصة الجاسوس (معقل) 92
لا وجود لقصة الجاسوس 93
الخروج من الكوفة 95
مسلم بن عوسجة يصحب معه زوجته وولده 96
الشهيد فى كربلاء 96
محاولة مسلم بن عوسجة قتل شمر 99
شهادته 101
الشهيد حنظلة بن سعد الشبامى 103
اشارة 103
أقوال العلماء فى الشهيد 105
الاختلاف فى اسم الشهيد ونسبه 106
دور قبيلة شبام فى صفين 109
جدُّ الشهيد الكربلائى 112
ولد الشهيد الكربلائى 115
ولد الشهيد يروى خطبة زهير بن القين 115
شبهة أن الحسين عليه السلام لم يقتل والقاء شبهه على الشهيد حنظلة 117
الرد على هذه الشبهة 126

ومن هذه الروايات.... 126
الشهيد حنظلة رسول الحسين إلى ابن سعد 132
أسماء رسل الحسين عليه السلام وسفراءه 135
خطبة الشهيد حنظلة فى كربلاء 136
وقفات مع خطبة الشهيد 138
وقت شهادة الشهيد حنظلة 146
الشهيد يدعو والحسين يؤمّن له 148
الشهيد كردوس التغلبى رحمه الله 150
اشارة 150
اسم الشهيد 150
الاختلاف فى اسمه 151
اسم والد الشهيد 151
شخصية واحدة أم شخصيات متعددة ؟ 153
نسب الشهيد كردوس 156
قبيلة الشهيد 157
بنو تغلب ودولة الحمدانيين 166
مواقف الشهيد فى صفّين 168
خطبة الشهيد كردوس فى صفين 169
حضور الشهيد كردوس الاجتماعى 171
مع الشهيد فى رواياته 174
الشهيد خطيباً وواعظاً 181
أبناء الشهيد 184
شهادته 184
الشهيد بشر بن عمرو الحضرمى الكندى عليه السلام 186
اشارة 186

أسرة الشهيد 187
عرب الجنوب وعرب الشمال 187
وقد يقول قائل 189
نسب الشهيد حضرمى أم كندى 191
نقطة مضيئة 191
ظاهرة رفض الاعذار الشرعية فى أصحاب الحسين عليه السلام 197
الشهيد يزيد بن زياد بن مهاجر الكندى البهدلى أبو الشعثاء عليه السلام 203
بين يدى الشهيد 203
من هم بنو بهدلة ؟ 203
ما قاله العلماء فى الشهيد 205
اسم الشهيد 206
مع الشهيد فى روايته 206
سؤال مهم حول الرواية 208
تحريم لحم الصيد على المحرم 210
لقاء الشهيد بالحسين عليه السلام ووقت التحاقه به 213
تعارض روايتى الالتحاق بالحسين وطرق معالجته 218
بين منطق الخضوع ومنطق المسؤولية 219
الشهيد فى كربلاء فارساً ثم رامياً 222
رسالة الشهيد إلى من يهمه الأمر 223
الشهيد عمّار بن حسّان بن شريح الطائى عليه السلام 224
بين يدى الشهيد 224
أقوال العلماء فى الشهيد 226
أجداد الشهيد 227
سعد الأثرم جد الشهيد الكربلائى 227
والد الشهيد الكربلائى 229

ابن عمّ الشهيد الكربلائى 231
عروة بن افاق بن شريح الطائى 231
هل للشهيد قريب من شهداء كربلاء؟ 233
اشارة 233
نوع القرابة ودرجتها 239
حفيد الشهيد الكربلائى 241
فائدة 245
الشهيد فى كربلاء 247
الشهيد عبدُ الله بن يقطر عليه السلام 248
اشارة 248
أقوال العلماء فى الشهيد الكربلائى 249
أسم الشهيد واسم أبيه 251
اشارة 251
معنى يقطر وبقطر 251
كلمة إلى من يهمة الأمر 253
والد الشهيد والخدمة لرسول الله 253
والدة الشهيد والخدمة فى بيت على عليه السلام 255
قبيلة الشهيد الكربلائى 256
اشارة 256
القول الأول 256
القول الثانى 257
رضيعُ الحسين عليه السلام أُمّ لِدتهُ 257
رضاعة الحسين 258
لِدة الحسين عليه السلام 266
فخر اقتران ولادة الشهيد بولادة الحسين عليه السلام 266

الجليس الصالح 267
صحبة الشهيد الكربلائى لرسول الله 268
مهمة الشهيد عبد الله بن يقطر عليه السلام 272
اشارة 272
الرأى الأول 273
الرأى الثانى 274
الرأى الثالث 275
الشهيد عبد الله بن يقطر ومنهجية القتل الأموى 280
الحسين يؤبن الشهيد عبد الله بن يقطر 282
المحتويات 285
تعريف مركز 297

موسوعه فی ظلال شهداء الطف المجلد 1

اشارة

سرشناسه:صمیانی، حیدر، 1336 -

عنوان و نام پدیدآور:موسوعه فی ظلال شهداء الطف/ تالیف حیدر الصمیانی.

مشخصات نشر: کربلای معلی - قم - العتبة الحسینیة المقدسة، قسم الشؤون الفکریة و الثقافیة 1434

مشخصات ظاهری:4ج.

شابک:978-964-538-250-4

وضعیت فهرست نویسی:فیپا

یادداشت:عربی.

یادداشت:کتابنامه: ص. [359] - 376؛ همچنین به صورت زیرنویس.

موضوع:حسین بن علی (ع)، امام سوم، 4 - 61ق.

موضوع:واقعه کربلا، 61ق.

رده بندی کنگره:BP41/5/ص8م8 1390

رده بندی دیویی:297/9534

شماره کتابشناسی ملی:2463263

ص :1

هویة الکتاب

موسوعه فی ظلال شهداء الطف

تالیف حیدر الصمیانی

ص :2

* هوية الكتاب

رقم الإيداع فى دار الكتب والوثائق – وزارة الثقافة العراقية لسنة 337:2013

الصميانى، حيدر

موسوعة فى ظلال شـهداء الطف / تأليف حيدر الصـميانى؛ [تقديم اللجنة العلمية فى قسم الشؤون الفكرية والثقافية. محمد على الحلو]. – كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية 1434 ق. 2013 Í م.

4 ج. – (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ 121).

المصادر. ISBN :9789933489687

1. الحسين بن على (عليه السلام)، الإمام الثالث، 61 4 ه –. أصحاب السيرة. 2. الحسين بن على (عليه السلام)، الإمام الثالث، 61 4 ه – . أصـحاب صفات. 3. واقعـة كربلاء، 61 ه –. شـهداء. 4. التاريخ الإسـلامى العصـر الأموى شـبهات وردود. ألف. الحلو، محمد على، 1957 –، مقدم. ب. العنوان 2013 BP 269 . 193.13 . A 3 . S

تمت الفهرسة قبل النشر فى مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

ص:3

تأليف

الشيخ حيدر الصميانى

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1434 ه - 2013 م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: 326499

الموقع الالكترونى: imamhussain-lib.com

البريد الالكترونى: info@imamhussain-lib.com

ص:4

قال الإمام الصادق عليه السلام

فی زیارته لأصحاب الحسین علیه السلام:

السَّلامُ عَلَيْكُمْ ياأَوْلِياءَ اللهِ وَأَحِبَّاءَهُ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ ياأَصْفِياءَ اللهِ وَأَوِدَّاءَهِ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ ياأَنْصارَ دِينِ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ ياأَنْصارَ رَسُولِ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ ياأَنْصارَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ ياأَنْصارَ فاطِمَةَ سَيِّدَةِ نِساءِ العالَمِينَ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ ياأَنْصارَ أَبِي مُحَمَّد الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الوَلِيِّ النَّاصِحِ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَنْصارَ أَبِي عَبْدِ اللهِ، بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي طِبْتُمْ وَطابَتِ الأَرْضُ الَّتِي فِيها دُفِنْتُمْ وَفُزْتُمْ فَوْزاً عَظِيماً فَيالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكُمْ فَأَفُوزَ مَعَكُمْ.

زیارة وارث

ص:5

الإهداء

إلى ريحانة المصطفى وابن على المرتضى وابن فاطمة الزهراء

أبى عبد الله الحسين عليه السلام.

إلى من قدموا الغالى والنفيس من أجل دين الله ورسوله.

إلى من طلقوا الدنيا وكل زينتها وزبرجها دفاعاً عن الشريعة.

إلى من قدموا دماء هم رخيصة بين يدى أبى عبد الله الحسين عليه السلام.

إلى الذين لم يسبقهم من كان قبلهم، ولم يلحقهم من جاء بعدهم.

إلى من قال الحسين عليه السلام فى حقهم:

ما رأيت أصحاباً أبر وأوفى من أصحابى.

إلى شهداء الطف جميعاً أهدى هذا الجهد المتواضع راجياً منهم القبول والشفاعة.

ص:6

مقدمة اللجنة العلميّة

تُشكل مجموعة انصار الحسين عليه السلام منحىً آخر من مناحى البحث فى حركة الإمام الحسين عليه السلام إذ التعددية التى تميّز مجموعة الأصحاب تنعكس على التعددية الفكرية والثقافية والاجتماعية التى عُرفت بها هذه المجموعة لكنها تشترك فى نمط أخلاقى – عقائدى يُشير الى المستوى القيمى لهذه المجموعة، وبمعنى آخر فان تسليط الضوء على مجمل هذه الحركة يُعطى بُعداً آخر من المعرفة الاجمالية للثورة الحسينية ومعلماً آخر من ملامح هذه النهضة، إذ التوجهات المتعددة لأنصار الإمام الحسين عليه السلام تكشف أن النهضة الحسينية استقطبت كل التوجهات الفكرية والثقافية وانها لم تقتصر على اتجاه دون آخر ولا ثقافة دون أخرى، بل هى متعددة التوجهات الثقافية التى ترعرعت فى جو عقائدى واحد وهو طاعة المعصوم والتسليم له. ان كشفاً سريعاً لهذه المجموعة من الأصحاب تعطى كشفاً حقيقياً لنموذج عقائدى تشترك فيه جميع المستويات الثقافية والرؤى المختلفة، وهذا فى واقعه يُعطى بُعداً آخر لثورة الإمام الحسين عليه السلام تكشف عن قوة تأثير الاستقطاب الذى أحرزته هذه

الثورة والحالة الإنسانية التى حملتها حتى راح الجميع يستشعرون مسؤوليتهم من خلال الانضمام إليها.

إذن فان الدراسات فى مضمار الثورة الحسينية وتقديم الأنموذج الأكمل لكوادرها أصحاب الحسين عليه السلام وهو فنٌ قائم بذاته، إذ محاولة البحث فى أسماء هؤلاء الأصحاب والتأشير على سيرتهم وتوجهاتهم يحتاج الى جهود كبيرة للوصول الى بعض النتائج، كما أن الخلط الذى صاحب بعض الأخبار فيما يتعلق بهذه الصفوة من الأصحاب يحثُ الباحث على بذل الجهد فى تخليص الواقع التاريخى لهؤلاء مما اكتشفته كتابات البحث.

لذا فان الدعوة قائمة الى بذل الوسع فى تحقيق هذه البحوث ونشر هذه المعارف ليتسنى لنا الوقوف على حقائق مفقودة كثيرة.

ان ما قدمه الشيخ حيدر الصميانى من جهد فى دراسة شهداء الطف جهدٌ يضاف الى الجهود المبذولة فى هذا الشأن، حيث سلط الأضواء على سيرة وحياة الشهداء رضوان الله عليهم وسعى فى إيجاد بحوث ترفع الكثير من حالات الخلط،

دام موفقاً لبحوث أخرى.

عن اللجنة العلمية

السيد محمد على الحلو

المقدمة

لماذا هذه الموسوعة ؟

الحـديث عن أبطال كربلاء ورجالاتها يمثل فى الواقع حـديثاً عن لبّ كربلاء ولبابها، لأن كربلاء – والتى نحتفى بها وبـذكرها دائماً إنما هى فى الواقع مجموعة من المواقف العظيمة التى سطرها لنا مجموعة من الناس لـم يدركهم الأولون بعمل ولـم يلحقهم الآخرون بعمل.

ولقـد كُتبت عن الثورة الحسـينية المباركـة وعن رجالها الكثير من الكتب والمقالات وألقيت العديـد من المحاضـرات والخطابات وأقيمت شتى البحوث والندوات، وهذا أمر مُسلَّم به ويشعر به كل واحد منها بلا أدنى شک وريب. ولكنها مع كثرتها لـم تستوعب – حسب علمى – كل مجالات كربلاء لاسيما المتعلق برجالها ورموزها والتى يقول الحسين عليه السلام فى حقها:

«إنى لا أعلـم أصحاباً ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أصحابى وأهل بيتى»(1).

1- (1) الكامل فى التاريخ: 57/4.

نعم الفت فى حقهم بشكل خاص مجموعة من المؤلفات مشكورةً أمثال «أنصار الحسين» للعلامة المرحوم محمد مهدى شمس الدين و «وسيلة الدارين» للسيد الزنجانى و «الحدائق الوردية» للمؤرخ الزيدى حميد بن أحمد المحلى و «إبصار العين» للشيخ محمد السماوى وأمثال هذه الكتابات، ولكنها كانت تتحدث بشكل مقتضب عنهم (رض)، حتى أن بعض المترجم عنهم لا يتعدى الحديث عنه السطرين أو الثلاثة، وحتى لو كُتب عنهم فإن مستوى هذه الكتابات إنما هو فى حدود واقعة كربلاء، أو ما يرتبط بها كثورة مسلم بن عقيل فى الكوفة، والذى لا يتعدى فى أفضل الأحوال عدد الأصابع من الشهداء وبقى الكمُّ الغفير فى دائرة الظلام لا يذكرون ولا يتحدث عنهم ولا يسلط عليهم الضوء بل ولا تعرف حتى أسماؤهم، وهذا لعمرک ظلم كبير وتعدٍّ عظيم على مثل هذه الشخصيات الكبيرة والمهمة فى نفس الوقت، والتى ينبغى أن يُشار إليهم وإلى ما قدموا من أعمال جليلة وكبيرة للإسلام وللمسلمين.

من هنا فقد رأيت من اللازم علينا أن نتحدث عن هذه الشخصيات وما يرتبط بها من أمور وأحداث.

وكانت البداية عبارة عن مجموعة من المجالس المتناثرة التى ألقيت فى الكويت حول شهداء الطف، حيث أخذتُ أتحدث عنهم بشكل مستقل فى كل ليلة فرأيت أن التفاعل بدأ يكبر والانشداد بدأ يزداد وأخذت الأسئلة تترى وتتسع حولهم (رض)، بل وأخذت الدعوات تأتينى من قبل الكثيرين من الأخوة الأعزاء والذين كانوا يحضرون مجالسنا فى ضرورة تدوين هذه المعلومات مع مصادرها

فی کتـاب حـتی یمکن أن یکـون مرجعـاً وموئلاً للمؤمنین فی الحصول علی معلومـات معینـة حول أی شخصـیة من شخصـیات کربلاء المقدسـة، فضـلاً عن کلمات الشـکر والامتنان التی أتحفونی بها جزاهم الله عنی خیرا، ولمّا رأیت الأمر قد وصل إلی هذا الحدّ علمت بأن أعباء المسؤولیة قد بانت معالمها علیّ (وإذا أراد اللهُ أمراً هیّأ له أسبابه).

وأخذتُ القلمَ وبدأت أکتبُ فوجدتُ ثقلَ القلمِ قد أَخَذَ یخنقنی حیث لم أتعوّد أن أکتب سابقاً إلا فی حدود المحاضـرات المنبریة التی لها طراز خاص وطابع خاص یختلف کثیراً عن التألیف والکتابة لا سـیما فی مواضیع من هذا القبیل کما لا یخفی علی أهل الاختصاص ذلک. ولکنی کنت عازماً ومصـمماً علی المضی فی هذا الطریق وعدم الوقوف فیه أمام عثراته الأولی وأنا أعلم أنها ستکون موجودة ومتوفرة لاسیما خلال البدایة الأولی من تألیف هذا الکتاب.

فتوکلت علی الله، وبـذلت الوقت والجهـد فی البحث والتنقیب، والـذی لم یکن بسـیطاً وسـهلاً أبـداً کما لا یخفی علی من خاض فی هذا المجال، فلقد کانت المعلومات نادرة عنهم (رض) بل ربما کانت عن بعضهم شبه معدومة بالکامل.

وبعد أکثر من سنة ونصف من البحث والتنقیب والمطالعة استطعت أن اکْمل – بتوفیق الله وتسدیداته – الحدیث عنهم فی الجزء الأول من هذا الکتاب الذی أسـمیته «موسوعة فی ظلال شـهداء الطف» وإنما اخترت «فی ظلال» دون بقیة الکلمات الأخری لأنی قصدت بذلک أن أجمع کل ما یعود من معلومات عنهم (رض) وأضعها تحت خیمة واحدة أطلقت علیها کلمة «ظلال». فقد ذکرتُ

ما أستطيع من أسماء آبائهم (رض) وأخوانهم وأبنائهم بل وعنهم (رض)، حيث كان بعضهم راوياً ثقة روت عنه صحاح المسلمين عند الفريقين، وللمثال أذكر هنا شخصية الشهيد عبد الله بن بشر الخثعمى (رض) حيث روى عنه البخارى والبيهقى وأحمد وغيرهم، الكثير من الروايات؛ حيث ذكرتها وذكرتُ ما يمكن أن يكون محل الدرس والعظة والعبرة فيها.

وهكذا كانت شخصية الشهيد أبو الشعثاء الكندى حيث عُدّ من جملة رجالات الطبرى فى تفسيره كما سيأتينا عند الحديث عنه فى الجزء الأول من هذه الموسوعة، وهذا فيض من غيض الشهداء الكربلائيين (رض)، الذين ينبغى علينا أن نقدم للناس آثارهم وما قدموه لتكون لنا مناراً يُهتدى به.

ولقد بذلت جهدى أن أجعل هذه الموسوعة – التى ربما تمتد فى أجزائها إلى اثنى عشر جزءاً بإذن الله تعالى – سهلة سلسة فى كلماتها ومواضع العظة والعبرة بها مبتعداً قدر الاستطاعة عن التعقيد والصعوبة من أجل أن تكون – وهذا ما نريده ونتأمله – أقرب إلى فهم عامة الناس لتكون الفائدة أعم، وإنى إذ أقدم هذا الجزء الأول أتمنى منه سبحانه وتعالى أن يعيننى على إتمام بقية الأجزاء الأخرى، فإن حق هذه الفئة من الناس علينا كبير بل لا يوجد مسلم فى شرق الأرض وغربها عَلم بذلک أم جَهِلَ إلا وفى رقبته حق لهم عليه.

ولا يفوتنى أن أدعو الله – وهذا من الواجب علىّ – لكل أولئک الذين كان لهم الفضل والمنة علىّ فى انجاز مثل هذا العمل سواءً بالفكرة والنصيحة والإرشاد أو بالحث والدفع والنصرة أو بالمراجعة والتدقيق والتصحيح أو بالدعاء لنا

بالتوفيق، أدعوا لهم جميعاً أن لا يحرمنى منهم ومن عطائهم وأن يجعلهم دائماً فى طريق الخير والعمل الصالح.

وأخيراً فإن هـذا العمل بذلت جهدى فيه من أجل إخراجه – على قدر ما اسـتطيع – مناسـباً لا كاملاً فإن الكمال لله سـبحانه وتعالى، وعليه فـإن كـان فيه نقص فى ألفـاظه ومعـانيه أو فى فكرته ومضـمونه فإنى أرجو من أخوانى القراء جميعاً أن يبينوها لى من خلال وسـيلة الاتصال المدونة آخر هذه المقدمة حتى يمكن لى أن أتدارك الصالح منها فى المسـتقبل إن شاء الله تعالى فإن النقد البناء لا يمكن أن يسـتغنى عنه أحدٌ مهما أوتى من العلم وغزارة المعلومات.

وقـد شـاءت أقـدار الله سـبحانه وتعالى أن تكون آخر كلمات هـذا الكتاب تنتهى فى يوم ولادة الإمام الحسـين عليه السـلام فى الثالث من شعبان سنة 1432 ه – لتكون هذه الموسوعة قد ولدت مع ذكرى ولادة سـيد الشـهداء عليه السـلام ليجتمع اللفظ مع المعنى والشـكل مع المضمون سائلاً الله سبحانه وتعالى أن يتقبله منى بأحسن قبوله وأن لا يحرمنى من شفاعة الحسين وأهل بيته وأصحابه إنه أرحم الراحمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حيدر الصميانى

الثالث من شهر شعبان 1432 الموافق 2011/7/1

ص:13

من هم أصحاب الحسين عليه السلام ؟

اشارة

قال ابن أبى الحديد فى شرح النهج وهو يتحدث عن الإباء والشجاعة:

«قيل لرجل شـهد يوم الطف مع عمر بن سـعد: ويحک، أقتلتم ذريّـة رسول الله؟! فقال: عضـضتُ بالجندل(1) أنک لو شـهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلناه، ثارت علينا عصابة أيديها فى مقابض سـيوفها كالأسود الضارية، تحطم الفرسان يميناً وشمالاً، وتلقى أنفسها على الموت، لا تقبل الأمان ولا ترغب فى المال، ولا يحول حائل بينهما وبين الورود على حياض المنيّـة أو الاستيلاء على الملک، فلو كففنا عنها رويـداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها، فما كنّا فاعلين لا أمّ لک!»(2).

لقد أحسن هذا الرجل فى بيان صـفة، أو صـفات، أصـحاب الحسين عليه السلام، لقد أعطاهم جملة من الصفات العظيمة، فهم الفدائيون، وهم أصـحاب الشـجاعة الفريدة، وهم المشـتاقون إلى الجنّة، وهم الزاهدون فى الدنيا، وهم وهم، لقد أبان فضلهم وهو العدّو، والفضل ما شهدت به الأعداءُ، إنّها عصابة الحقّ التى يصفها

1- (1) الجندل: الحجر العظيم.

2- (2) نهج البلاغة: ج 1 ص 307.

الله عزّ وجلّ بقوله:

«أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ 1» .

ولو أراد الإنسان أن يستقصى صفاتهم وخصائصهم وما تميزوا به، لاحتاج الأمر إلى مجلّدات لا إلى صفحات، ولقد قال الشيخ محمد جواد مغنية عنهم: «ومن تتبّع سيرة أصحاب الحسين عليه السلام لا يجد لإخلاصهم وعزمهم نظيراً بين الشهداء وأتباع الأنبياء كما لا يجد شبيهاً لتضحيات الحسين عليه السلام فى التاريخ كلّه، وقد أثنى عليهم الشعراء بما هم أهل لأكثر منه. قال الشيخ حسن البحرانى يصف إيمانهم وورعهم:

إن ينطقوا ذكروا أو يسكتوا فكّروا أو يغضبوا غفروا أو يُقطعوا وصلوا

أو يُظلموا صفحوا أو يوزنوا رجحوا أو يُسألوا سمحوا أو يحكموا عدلوا(1)

ولكن وكما يقال: ما لا يدرک كلّه لا يترک جلّه، حيث سنسلّط الأضواء على بعض الصفات المهمّة التى تميّزوا بها رضى الله عنهم

1. إنّهم مصطفون للشهادة قبل شهادتهم

وهذا ما دلّت عليه أخبار كثيرة نذكر منها ما يلى:

أ. عن أمير المؤمنين: «أنّه خرج يسير بالناس، حتى إذا كان بكربلاء على ميلين أو ميل، تقدم بين أيديهم حتى طاف بمكان يقال له «المقذفان» فقال: قُتل فيها مائتا نبى ومائتا سبط كلّهم شهداء، ومناخ ركاب ومصارع عشّاق شهداء، لا

1- (2) المجالس الحسينية للشيخ محمد جواد مغنية: ص 61.

يسبقهم ممن كان قبلهم ولا يلحقهم من بعدهم».(1)

ب. حينما عُنِّف ابن عباس على عدم نصرة الإمام الحسين عليه السلام أجاب، كما فى مناقب شهر آشوب: «إنّ أصحاب الحسين لم ينقصوا رجلاً ولم يزيدوا رجلاً، نعرفهم بأسمائهم من قبل شهودهم».(2)

ج. قال الإمام الباقر عليه السلام:

«ها هنا مناخ ركابهم ومصارع عشاقهم، شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحقهم من كان بعدهم».(3)

د. عن الصادق عليه السلام:

«تفاخرت قطع الأرض بعضها على بعض، فقالت أرض كربلاء بتواضع: أنا أرض الله المباركة المقدّسة، الشفاء فى تربتى ومائى ولا فخر، بل أنا خاضعة ذليلة لمن فعل بى ذلک، ولا فخر على من دونى بل شكراً، فأكرمها الله وزادها بتواضعها وشُكرها لله بالحسين وأصحابه».(4)

ه -. عن المسيّب بن نجبة الفزارى: «لمّا أتانا سلمان الفارسى قادماً فلقيناه

فسار بنا إلى أرض كربلاء، فلما رحلنا قال: هذه مصارع أخوتى؛ هذا موضع

1- (1) بحار الأنوار: ج 41 ص 290 ب 114 ح 18.

2- (2) مناقب آل أبى طالب: ج 4 ص 53.

3- (3) الخصائص العباسية للكلباسى النجفى: ص 344.

4- (4) وسائل الشيعة: ج 14 ص 516.

رحالهم، وهذا مناخ ركابهم، وهذا مهراق دمائهم، يقتل فيها ابن خير النبيّين، ويقتل فيها خير الآخرين».(1)

و. قال الإمام الصادق عليه السلام فى زيارة وارث مخاطباً أولئک الشهداء من أصحاب الحسين عليه السلام:

«السلام عليكم يا أوصياء الله وأحبّاءه، السلام عليكم يا أصفياء الله وأودّاءه». (2)

ز. عن جبلة المكّية قالت: سمعت ميثم التمّار يقول: «يا جبلة، اعلمى أنّ الحسين بن على سيّد الشهداء يوم القيامة، ولأصحابه على سائر الشهداء درجة».(3)

ح. عن ابن عباس قال: فلمّا كانت الليلة القابلة رأيت رسول الله صلى الله عليه و آله فى منامى أشعث، فذكرت ذلک له وسألته عن شأنه فقال لى: «ألم تعلم أنّى فرغت الآن من دفن الحسين وأصحابه».(4)

2. الرحمة والشفقة على الأعداء

وهذه مزيّة أخرى من المزايا الكثيرة التى تمتّعت بها هذه الثلّة المؤمنة ألا وهى الشفقة والرحمة الملفتة للنظر والتى وصلت إلى حدّ أنّها شملت حتى

أعداءهم، حيث لم يكونوا يقاتلون انتقاماً ممّن وقفوا ضدّهم، وإنّما كانوا يقاتلون

1- (1) فتوح البلدان: ص 406.

2- (2) مفاتيح الجنان: ص 430.

3- (3) علل الشرائع: ص 228.

4- (4) أمالى الشيخ الطوسى: ص 315.

حبّاً للخير وانتصاراً للحقّ، وهـذه هی مبادئ الإسـلام التی جاء بها وطبقها رسول الله صـلی الله علیه و آله فی حیاته، حتی نودی فی کتاب الله بقوله:

«وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعالَمِینَ 1» .

فها هو التاریـخ یحـدّثنا أنّ النبی صـلی الله علیه و آله امتنع عن قطع مجری الماء عن حصون خیبر، وهو الـذی کان بأمسّ الحاجـة إلی أن یسـرع فی القضاء علی الیهود، أولئک الجرثومة التی بذل النبی صـلی الله علیه و آله الکثیر من أجل أن یتعاملوا معه بالحسنی، ولکنهم کانوا ینقضون عهودهم ومیثاقهم مرّة بعد أخری، حتی نزل القرآن الکریم بقوله تعالی:

«إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللّهِ الَّذِینَ کَفَرُوا فَهُمْ لا یُؤْمِنُونَ * اَلَّذِینَ عاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ یَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِی کُلِّ مَرَّةٍ وَ هُمْ لا یَتَّقُونَ 2» .

والذی منع رسول الله من ذلک هو الرحمة، رحمة النبی صلی الله علیه و آله ورحمة القرآن ورحمة المنهج الذی جاء به علیهما السلام، بل إنّ الأعظم من ذلک هو أنّه علیهما السـلام حینما فتح حصون خیبر وغنم من الیهود ما غنم من کمّیات کبیرة وهائلة من الذهب، وهم کانوا أصـحاب الـذهب وصاغته، وإذا به علیهما السـلام یأمر أن یوزّع کلّ ذلک علی فقراء مکّـة ومساکینها، رغم ما فعلته مکّـة وکفّارها وأهلها به علیهما السلام حتی قیل: إنّ النبی صلی الله علیه و آله فتح قلوب أهل مکّة قبل أن یفتح مکّة، وهکذا صنع أمیر المؤمنین علیه السلام

مع معاوية فی عدم منع الماء عن جنده فی حرب صفّین کما منعه معاویة عن جیش أمیر المؤمنین علیه السلام، وذلک لأنّ علیّاً کان ینطلق من قاعدة إنسانیة مهمة وهی:

«أنّ الناس صنفان: إمّا أخ لک فی الدین أو نظیر لک فی الخلق» (1).

فحتی لو کان أمامه عدوه فإنه یبقی یعامله کإنسان، له حقوق یجب أن لا تمنع منه، کالماء أو ما شاکل ذلک، بل لقد حرّمت الشریعة وضع السموم فی المیاه من أجل التخلّص من العدوّ والقضاء علیه، لما فی ذلک من معاملة غیر إنسانیة، ولقد سار علی هذا المنهج کل واحد من أئمّة أهل البیت علیهم السلام، والروایات والقصص فی ذلک کثیرة، ولقد وقف الحسین علیه السلام یوم العاشر من المحرم، ینظر إلی هذه الجموع الواقفة أمامه نظرة المسؤول، ونظرة الشخص الرحیم صاحب الخلق السامی العطوف الذی یمثّل الإسلام بعطفه والرسول بمحبّته، وقف یبکی فتسأله أخته زینب: لماذا کلّ هذا البکاء یا بن رسول الله؟

فقال:

«أبکی علی هؤلاء القوم، إنّهم سیدخلون النار بسببی» (2).

یا لها من إنسانیة فی أعلی صورها وأشکالها، یا لها من شفقة لا یستطیع الإنسان أن یجد لها مثیلاً إلاّ من خلال عدل القرآن وترجمانه، ألا وهم أهل البیت علیهم السلام، وقف الحسین علیهم السلام یوم العاشر من المحرّم یبکی علیهم لأنّه أراد لهم

1- (1) شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید ج 17 /ص 33.

2- (2) بنور فاطمة اهتدیت لعبد المنعم حسن: ص 201

النجاة وأرادوا لأنفسهم الهلاک، فيبکی علی مصيرهم الذی سوف ينتهون إليه، فکان تجسيداً لقوله تعالی:

«حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ 1» .

ووقف أنصاره وأصحابه يعايشون ما عايشه سيّد الشهداء، لأنّهم ذابوا فی الحسين عليه السلام فلم يکن لهم من مشاعر سوی مشاعر الحسين عليه السلام، ولهذا حملوها فی نفوسهم وقلوبهم وعقولهم، يقف حنظلة بن أسعد الشبامی يوم العاشر من المحرّم متمثّلاً قوله تعالی:

«يا قَوْمِ إِنِّی أَخافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزابِ * مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَ عادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَ مَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ * وَ يا قَوْمِ إِنِّی أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ما لَكُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ عاصِمٍ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ2» .

ويقف زهير بن القين البجلی وهو يقول: «يا أهل الکوفة، نذار لکم من عذاب الله نذار لکم، إنّ حقّاً علی المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتی الآن إخوة وعلی دين واحد وملّة واحدة»(1).

کلّ ذلک وغيره ليشير وبشکل واضح إلی الرحمة العالية والشفقة الکبيرة والقلب الواسع والصدر الرحب الذی يحمله أصحاب الحسين اتجاه أعدائهم الذين يريدون قتلهم، فضلاً عن أصحابهم ومحبيّهم.

1- (3) إبصار العين للسماوی: ص 129.

3. المحافظة على أوقات الصلاة

عرفوها كما هى فذابوا فيها، علموا أنّها معراجهم إلى الله فلم يتوانوا يوماً فى تعظيمها، سمعوها من أئمّة أهل البيت عليهم السلام أنّها عمود الدين فتمسكوا بها، إنّها الصلاة التى «إن قبلت قبل ما سواها وإن ردّت ردّ ما سواها»(1)، عاشوها مع على عليه السلام الذى لم يترك صلاة الليل حتى فى ليلة الهرير العظيمة فى معركة صفين(2)، وعاشوها مع الحسن عليه السلام الذى ينقل عنه ابن شهر آشوب قائلاً: «إنّ الحسن بن على كان إذا توضّأ ارتعدت مفاصله واصفر لونه فقيل له فى ذلك فقال: «حقّ على كلّ من وقف بين يدى ربّ العرش أن يصفرّ لونه وترتعد مفاصله». واذا بلغ المسجد رفع رأسه قائلاً: «إلهى، ضيفك ببابك، يا محسن قد أتاك المسىء، فتجاوز عن قبيح ما عندى بجميل ما عندك يا كريم».(3)

وعاشوها مع الحسين الذى سمعوه يقول للعباس يوم التاسع من المحرم: «إن استطعت أن تصرفهم عنّا هذا اليوم فافعل، لعلّنا نصلى إلى ربّنا هذه الليلة، فإنّه يعلم أنّى أحب الصلاة وتلاوة القرآن».(4)

ولهذا كلّه وقفوا يضربون أعلى المثل وأجمل الصور فى ذلك. يقف أبو ثمامة الصائدى أو سعيد بن عبد الله الحنفى وقد نظر فى السماء وأخذ يقلّب وجهه فيها، ثمّ توجّه إلى الحسين عليه السلام وقال نفسى لنفسك الفداء، أرى هؤلاء قد اقتربوا

1- (1) من لا يحضره الفقيه ج 1/208-626.

2- (2) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 1 / ص 27.

3- (3) مناقب آل أبى طالب: ج 4 ص 14.

4- (4) مقتل المقرّم: ص 212.

منک، لا والله لا تقتل حتی أقتل معک، وأحب أن ألقی ربّی وقد صلّیت هذه الصلاة التی دنا وقتها، فأجابه الحسین علیه السلام:

«ذکرت الصلاة، جعلک الله من المصلین الذاکرین».

وأقاموا الصلاة.(1)

4. الیقین بالله وبثوابه

لقد نقلت لنا کتب التاریخ ألواناً من صور الإیثار والفرح التی کان أصحاب الحسین یعیشونها فی ذلک الیوم العظیم وکأنّهم واقفون علی أبواب الجنّة یریدون الدخول إلیها، وهذا لعمری یقین عظیم؛ تقول الروایة: لمّا أخبر الحسین أصحابه بأنّهم سیقتلون، قالوا بأجمعهم: «الحمد لله الذی أکرمنا وشرّفنا بالقتل معک، أولا ترضی أن نکون منک فی درجتک یا بن رسول الله»(2).

ویقول الشیخ محمد جواد مغنیة رحمه الله: «فی لیلة العاشر من المحرّم ضُرِب للحسین فسطاطٌ لیطلی بالمسک والنورة، ولمّا دخله وقف برید بن خضیر الهمدانی وعبد الرحمن بن عبد ربّه الأنصاری تختلف مناکبهما لیسبق کلّ واحد منهما صاحبه إلی فاضل المسک، فیفوز بما لمسته أنامل الطهر والقداسة، فیعرف(3) نشر المسک مع نشر الدم الزکی، دم الشهادة والتضحیة، قال راوی الحدیث: فأخذ برید یهازل عبد الرحمن بن عبد ربّه الأنصاری ویضاحکه، فأجابه عبد الرحمن: دعنا،

1- (1) معالم المدرستین ج 3 ص 11.

2- (2) نفس المهموم: ص 122.

3- (3) من العرف، وهو الرائحة الطیّبة.

فو الله ما هذه بساعة باطل، قال برير: والله لقد علم قومى أنّى ما أحببت الباطل شابّاً ولا كهلاً، ولكنّى لمستبشر بما نحن لاقون، والله ما بيننا وبين الحور العين إلاّ أن يميل علينا هؤلاء بأسيافهم، ووددت أنّهم مالوا علينا الساعة».(1)

5. تشخيص الأولويّات

مشكلة الكثيرين من الدعاة والعاملين لله سبحانه وتعالى تكمن فى عدم تشخيص الاولويات، فيعمل بما تكليفه الترك ويترك بما تكليفه العمل، ويقدّم ما تكليفه التأخير ويؤخّر ما تكليفه التقديم، وهكذا، ومثل هذا المرض قد يصيب الأمّة بكاملها بكلّ قياداتها وزعاماتها، بحيث إنّ الجميع يخطئون فى تقدير ما يحسن فعله وما لا يحسن فعله فى ذلك الوقت، بينما نجد العكس عند أصحاب الحسين عليه السلام، فوضوح الرؤية عندهم كانت بادية للعيان بشكل كبير تجاه الأولويّات التى ينبغى عليهم أن يفعلوها لتحقيق أهدافهم الكبرى، ومن ثم ما كانوا ليعتذروا بأمور أخرى أقلّ أهمّية من أدائهم مثل هذا التكليف، صحيح ربّما كان قيامهم بمثل هذا التكليف يمنعهم أو يحرمهم من الوعظ والإرشاد وتبليغ أحكام الإسلام والدفاع عن معارف أهل البيت وعلومهم، بل إنّ أداء مثل هذا التكليف لسوف يمنع بعضهم من القيام لصلاة الليل وطرق أبواب الفقراء والمساكين واليتامى والمحتاجين. لقد شخّص أصحاب الحسين عليه السلام من خلال قانون ومقياس المهمّ والأهمّ فى دائرة أحكام الشريعة أن لا مجال للخوض فى أىّ جزئية من الجزئيّات السابقة، مهما عظمت وجلّت، مع ترك النصرة والدفاع عن الإسلام

1- (1) المجالس الحسينية للشيخ محمد جواد مغنية: ص 101.

وكرامته المتمثّلة بالموقف العظيم والكريم الذى وقفوه مع أبى عبد الله الحسين عليه السلام، وبتقديرى أنّ ذلک درس لنا جميعاً لکى نتعامل مع الشريعة الإسلامية وأحكامها على هذا الأساس، فلا نفرّط بما لا مجال للتفريط به، ولا نتمسّک فى نفس الوقت بالقشور وندع اللبّ يسقط إلى الأرض ويداس فى الأقدام.

6. التركيبة المتميّزة لأصحاب الحسين عليه السلام

لقد ضمّت هذه الثلّة المباركة الطفل الصغير والشيخ الهرم الكبير، والمرأة والرجل، كما ضمّت من جهة أخرى الفقهاء والوجوه وذوى المراكز الاجتماعية والعلمية العالية، كحبيب بن مظاهر، ومسلم بن عوسجة الفقيه، وبرير بن خضير القارئ، وأنس بن الحارث، وغيرهم.

كما ضمّت هذه التركيبة المتميّزة مجموعة من النساء، حيث نالت الشهادة امرأة، وهى أمّ وهب.

كما ضمّت من جهة ثانية التعدّدية الجغرافية إن صحّ التعبير، فهناک البصرى والكوفى والمدنى والمكّى، والحضرى والأعرابى، والترکى والزنجى و... و... و.

كما ضمّت المعروف فى ولائه وإخلاصه كحبيب بن مظاهر، والعثمانى الهوى كزهير بن القين، والخارجى كسعد بن الحرث، والمسيحى كوهب.

هذه التركيبة فى العقيدة لم توجد لها سابقة فى أصحاب أُحد، ومن ثم فقد صارت هذه التركيبة الإلهية الفائقة الإتقان تذوب فيها كلّ الفوارق الأخرى من أجل أن تعطى صورة رائعة من الشمولية العالمية فى الانتساب والانتماء.

ص:24

7. الوعی والبصیرة

وأعنی بـالوعی والبصـیرة شـدّة إیمـانهم واعتقـادهم بقضـیتهم، الناشـئ عن الوعی والبصـیرة، حیث لم یکونوا متـأثّرین بالجوّ العامّ للأفکار والمواقف، إذ لا ینبغی للإنسان المؤمن الانسـیاق وراء الجوّ الاجتماعی والجماهیری الـذی ربّما لا یتّصف بالحکمـة فی کثیر من الأحیان، وکما قال تعالی فی القرآن الکریم:

«قُلْ إِنَّما أَعِظُکُمْ بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلّهِ مَثْنی وَ فُرادی ثُمَّ تَتَفَکَّرُوا ما بِصاحِبِکُمْ مِنْ جِنَّةٍ 1» .

حیث طلب منهم أن یفکّروا فرادی أو مثنی، لاـ مجـامیع، حتی لاـ یسـقطوا ضـحیّة تحت تـأثیرات الجوّ الاجتمـاعی العـامّ علی أفکـارهم وثقافاتهم ومن ثم مواقفهم.

وممّا یؤکّد هذا المعنی فی أصـحاب الحسـین علیه السـلام، هو أنّ التأریخ لم یسـجّل لهم أیّ موقف أو کلمة أو رأی مخالف لرأی الحسین علیه السـلام، بینما تجد فی أصـحاب رسول الله صـلی الله علیه و آله من خالف وعصـی وتمرّد(1) وکذلک الحال بالنسـبة لأصحاب أمیر المؤمنین علیه السـلام فقد تحمّل منهم الکثیر، ولا ننسی موقفهم معه فی صفّین ورفع المصاحف(2) ، وهکذا بالنسبة لموقف الحسن علیه السلام مع أصحابه، حتی وصل ببعضهم الأمر إلی أن یخاطبه بکلمات قاسیة(3) ، بینما لا نجد فی الطف وفی

1- (2) وقـد ذکر التاریـخ مواقف کثیرة لاسـیما فی صـلح الحدیبیـة، وذلک حینما أمرهم أن ینفروا فلم یقم منهم أحد: البخاری ج 3 /ص 257.

2- (3) تذکرة الخواص لابن الجوزی ص 103.

3- (4) للمزید راجع کتاب الحسن بن علی لباقر شریف القرشی ص 267 وما بعدها.

عرصة كربلاء إلاّ صوت الحسين، وإلاّ رأى الحسين، وإلّا نهج الحسين، فلا تجد إلاّ المطابقة بين فكر الحسين وفكرهم، ومشاعر الحسين ومشاعرهم، فلا إثنينية فى البين، إنّما هى وحدة واحدة.

8. إنّ الله تولّى قبض أرواحهم

فى حديث للإمام زين العابدين عليه السلام عن عمّته زينب، عن أمّ أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه و آله أنّه قال، فى وصف ما سيجرى على سبطه الحسين عليه السلام وأصحابه:

«فإذا برزت تلك العصابة إلى مضاجعها، تولّى الله قبض أرواحها بيده» (1).

ولا ـ شكّ ولا ريب أنّ قبض الأرواح بيد الله عزّ وجلّ لا بيد غيره إنّما هو للمؤمن وللكافر، وحتى حينما أعطى لملك الموت ولأعوانه من الملائكة الإذن فى هذا الأمر، لم يستطع هؤلاء القيام بعملهم إلاّ بمعيّة الله لهم، فهم لا يقدّمون أمراً يريد الله تأخيره، ولا يؤخّرون أمراً يريد الله تقديمه.

«عِبادٌ مُكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ 2» .

ومن ثم فإنّ تولّى قبض أرواح أصحاب الحسين من قبل الله تعالى إنّما يحمل على التشريف وعلوّ المنزلة لهم (رضوان الله عليهم).

1- (1) كامل الزيارات، الباب 88 ص 173.

9. نكرانهم لذواتهم

وقد تجلّت هذه الصفة فی مواطن كثيرة، فكان الواحد منهم ليسقط إلى الأرض والدماء تسيل منه، وقد امتلأ جسمه جراحات ومع ذلک لا يهمّه ما هو فيه، وما يهمّه هو الحسين عليه السلام، وعلى سبيل المثال، فإنّ مسلم بن عوسجة قد سقط إلى الأرض فجاء إليه الحسين ومعه حبيب بن مظاهر، وإذا بمسلم يخاطب حبيباً بصوت ضعيف: يا حبيب، أوصيک بهذا الغريب أن تموت دونه(1).

وقال آخر للحسين عليه السلام: سيّدی لوددت أنّی أُقتل ثمّ أُحرق ثمّ أُذری، يفعل بی ذلک سبعين مرّة على أدفع عنک بذلک القتل لفعلت. سبعين مرّة يحرق ويذری ولا يهمّه ذلک، المهمّ عنده أن لا يقتل الحسين عليه السلام، فأیّ نكران للذات هذا؛ وأیّ عشق للمولى هذا؛ وأیّ عطاء الهی يمكن أن يقف بإزاء هذا العطاء!.

1- (1) معالی السبطين للمازندرانی ج 1 / ص 348.

كم هو عدد أصحاب الحسين عليه السلام ؟

اشارة

سؤال مهمّ طالما طرحه الكثيرون من الكتاب وغيرهم، وأعتقـد أنّ الإجابـة عن مثل هذا السؤال لا يمكن لها أن تكشف وبشـكل واضح عن عدد الشـهداء فى كربلاء، فعدد أصـحاب الحسـين هو أعـمّ من الشـهداء، فليس كلّ من صـحب قد استشـهد، نعم كل من استشهد عُدَّ من أصـحاب الحسـين ضـرورة، فهاهنا كما يقول العلماء عموم وخصوص مطلق، ولهذا لابدّ لنا من السؤال عن عدد الشـهداء فى كربلاء، وعدم الاكتفاء بالسؤال عن الأصـحاب، ومعرفـة هـذه الحقيقـة سوف تهـدينا إلى أرقام معيّنـة، وربّما تختلف هذه الأرقام فيما لو لـم ينظر إلى هذه الزاوية بعين الاعتبار، وقبل أن ندخل فى هذا البحث، والذى سوف يمثّل التوطئة للدخول إلى رحاب وظلال شهداء كربلاء، أودّ أن أشير إلى مقدّمة مهمّة فى هذا المجال.

ص:28

المقدمة

لا شكّ ولا ريب أنّ كلّ من كتب أو تحدّث عن عدد أنصار الحسين عليه السلام فى كربلاء لا يمكن له أن يصل إلى مرحلة القطع بذلك مهما كان يملك من رجاحة فى الفكر وقوّة فى التحقيق، نعم غاية ما فى الأمر يمكن أن تميل نفسه إلى عدد معيّن دون آخر أو أن يغلب على ظنّه رقم دون بقية الأرقام الأخرى، مستنداً فى ذلك إلى مجموعة من الأدلّة والعلامات التى يراها هو دون الآخرين، ولهذا فلا يمكن والحال هذه أن تغلق أبواب البحث فى هذا الموضوع، معتمدين فى ذلك على ما كتبه الآخرون مهما بلغوا من العلم فى هذا المجال، فالباب مفتوح يسع الجميع، شرط امتلاكهم مؤهّلات وآليات تعينهم على الدخول إلى دراسات كهذه، ولقد أعجبتنى كثيراً كلمة قرأتها للشيخ محمد مهدى شمس الدين رحمه الله وهو يتحدّث عن مسألة الخلاف فى أسماء من استشهد من بنى هاشم فى كربلاء، حيث يقول: «هؤلاء السبعة عشر الذين ثبت عندنا أنّهم استشهدوا فى كربلاء من بنى هاشم...، أمّا ما عداهم فسنعرض أسماءهم فيما يلى مع شكّنا فى كونهم ممّن رزق الشهادة مع الإمام الحسين بن على عليه السلام فى كربلاء، ونقدّر أنّ بعضهم قد استشهد فى مواقع أخرى متأخّرة، واختلط أمره على أصحاب الأخبار والمؤرّخين، مع احتمال أن يكون رأينا فى عدد الشهداء السبعة عشر وأسمائهم خطأ أيضاً، وأن يكون العدد أكثر ممّا ذكرنا، أو أن يكون بعض الأسماء غير ما ذكرنا»(1).

1- (1) كتاب أنصار الحسين للعلّامة محمد مهدى شمس الدين: ص 134-135.

واعتقـد جازمـاً أنّ كلاـم شـمس الـدين المتقـدّم يتضـمّن الإشـارة إلى ما ذكرناه سابقاً، فهو يريـد أن لا يقف القارئ لكتابه وخصوصاً أهل الاختصاص منهم، موقف الإنسان العادى الذى لا يملك شيئاً من آليات البحث، ومن ثم يقرأه قراءةً عادية دون أن يتدبّر فيه، بل يريد منه أن يقرأ كتـابه قراءة متأنّيـة فيأخـذ منه مـا صـحّت فكرته عنـده، ويـنـاقش فيمـا لم يصـحّ منه، كما صـنع هو رضـى الله عنه مع ما كتبه الآخرون والمتقدّمون عليه مهما علت درجاتهم وسمت أفكارهم وانتشرت فى الأرجاء كتبهم، وهذه - حسب تصوّرى - نقطة فى غاية الأهمّية، تأتى فى طليعة البحوث التى تتعلّق بواقعة الطفّ بشـكل عامّ، التى تتعلّق بأنصار الحسين وشهداء كربلاء بشكل خاصّ، ولا يفهم من كلامى هذا أنّ لى رأياً فى قبال آرائهم ضـرورة، بل قـد أتّفق فى كثير من النقاط مع ما طرحه العلماء والمحقّقون الـذين بـذلوا الجهد الكبير للوصول إلى هـذا المسـتوى من الـدراسات الكثيرة التى تتعلّق بهـذا الموضوع المهمّ، ولكن بلا شكّ تبقى هناك نقاط تحتاج إلى تأمّل أكثر وبذل جهد أكبر للخروج برؤية ربّما تكون أكثر انسجاماً مع الواقع التأريخى ومعطياته، خصوصاً إذا علمنا بأن العدد الذى خرج به الحسين عليه السلام من المدينة لم يكن ذاته الذى خرج به من مكّة، ولم يكن هو نفسه الذى وصل به الحسـين إلى كربلاء باتّفاق من كتب فى هذا الموضوع، بل الثـابت أنّ هناك مجاميع انفضّت من الركب الحسـينى، وهناك أشـخاص انضـمّوا إلى هـذا الركب، وحتى فى كربلاء فهناك من استشـهد وهنـاك من لم يستشـهد بل أخـذ جريحاً ومات على رأس سـنة أو أقلّ، وهناك من خرج من المعركـة قبيل انتهائها كالضـحّاك المشـرقى، وهناك من نجا

من القتل سواء من أهل البيت عليهم السلام أو من الأصحاب، ومن ثم فلا يمكن لنا والحال هذه إلاّ أن نبذل تمام الجهد وكامل الوسع من أجل الأخذ بما يمكن أن يكون أكثر انسجاماً مع الأحداث والوقائع، وهذا بتقديرى غير يسير على كلّ خبير.

وعلى كلّ حال، فإنّى سأذكر أقوال العلماء وآراءهم فى هذا الموضوع وما ذكروه من عدد اطمأنّوا إلى أنّه هو العدد الذى كان مع سيّد الشهداء فى كربلاء، سواء أكانوا من أرباب المقاتل الحسينية القديمة أم من المؤرّخين، أم من سائر العلماء الذين تعرّضوا لحادثة كربلاء وتناولوها من زوايا وجهات أدبية أو اجتماعية أو سياسية أو ما شاكل ذلك، ولقد بذلت جهداً ليس بالقليل فى تتبّع أقوالهم وترتيبها على أساس العدد الذى أوردته فى تلك الآراء وعزلت فى الوقت نفسه قائمة الشهداء من بنى هاشم عن قائمة الشهداء من سائر الأصحاب رضى الله عنهم.

أمّا فيما يتعلّق بالشهداء من بنى هاشم فقد ذكر العلماء ما يلى:

أنّهم كانوا (13) كما يقول المسعودى فى مروج الذهب(1) ، وهو أقلّ عدد روى فى ذلك.

أنّهم كانوا (14) كما يقول الخوارزمى فى مقتله.(2)

أنّهم كانوا (16) كما فى رواية أخرى للخوارزمى فى مقتله، يذكرها عن

الحسن البصرى(3) ، ورواية الحصين بن عبد الرحمن عن سعد بن عبادة.

1- (1) مروج الذهب للمسعودى: ج 3 ص 71.

2- (2) مقتل الخوارزمى: ج 2 ص 47.

3- (3) مقتل الخوارزمى: ج 2 ص 47، أنصار الحسين للشيخ محمد مهدى شمس الدين: ص 46.

أنّهم كانوا (17) كما فی زیارة الناحیة، والإرشاد للشیخ المفید.(1)

أنّهم كانوا (19) كما عند الطبری فی تاریخه، ویعد منهم الحسین بن علی علیه السلام ومسلم بن عقیل.(2)

أنّهم كانوا (20) كما فی تسمیة من قتل مع الحسین من أصحابه وشیعته للفضیل بن الزبیر.(3)

أنّهم كانوا (22) كما یذكر أبو الفرج الأصفهانی فی مقاتل الطالبیّین.(4)

أنّهم كانوا (23) كما عند الیافعی فی مرآة الجنان.(5)

أنّهم كانوا (27) كما عند الخوارزمی فی مقتله حیث قال: «اختلف أهل النقل فی عدد المقتول یومئذ مع ما تقدّم من قتل مسلم من العترة الطاهرة، والأكثرون علی أنّهم كانوا سبعة وعشرین، منهم مسلم بن عقیل والحسین علیه السلام.(6)

أنّهم كانوا (30) كما عند السیّد الأمین فی أعیان الشیعة.(7)

أنّهم كانوا (49) كما عند السیّد الزنجانی فی وسیلة الدارین.(8)

1- (1) الإرشاد للشیخ المفید: ص 248.

2- (2) تاریخ الطبری: ج 5 ص 468.

3- (3) مجلّة تراثنا، العدد 2 تحقیق السیّد محمد رضا الجلالی: ص 127.

4- (4) مقاتل الطالبیین للأصفهانی: ص 62

5- (5) مرآة الجنان للیافعی: ج 1 ص 133.

6- (6) مقتل الخوارزمی: ج 2 ص 47.

7- (7) أعیان الشیعة: ج 4 القسم الأول ص 134.

8- (8) وسیلة الدارین: ص 94.

أمّا فيما يخصّ عدد الشـهداء من أصـحاب الحسين عليه السلام فقد فاق الاختلاف فيهم الاختلاف فى بنى هاشم، وها نحن نسجّل أقوالهم حسب العدد الوارد فيها وكما يلى:

أنّهم كانوا (60) رجلاً كما ذكر ذلک الدميرى فى حياة الحيوان.(1)

أنّهم كانوا (61) راجلاً كما ذكر ذلک المسعودى فى إثبات الوصية.(2)

أنّهم كانوا (70) فارساً خرجوا معه من المدينة.(3)

أنّهم كانوا (32) فارساً و (40) راجلاً كما ذكر ذلک الطبرى وابن الأثير والدينورى والخوارزمى.(4)

أنّهم كانوا (80) كما فى رواية الحصين بن عبد الرحمن عن سعد بن عبادة(5).

أنّهم كانوا (82) راجلاً كما فى الدمعة الساكبة.(6)

أنّهم كانوا (86) رجلاً كما ذكر ذلک الشريسى فى شرح مقامات الحريرى من دون حساب على الأكبر.(7)

1- (1) حياة الحيوان للدميرى: ج 1 ص 73.

2- (2) إثبات الوصية للمسعودى: ص 35.

3- (3) مختصر تاريخ دول الإسلام للذهبى: ج 1 ص 31.

4- (4) الطبرى: ج 6 ص 241؛ الكامل: ج 4 ص 24؛ الدينورى: ص 354.

5- (5) أنصار الحسين للشيخ محمد مهدى شمس الدين: 46.

6- (6) الدمعة الساكبة: ص 327.

7- (7) شرح مقامات الحريرى للشريسى: ج 1 ص 173.

أنّهم كانوا (82) مبارزاً، ونيّفوا على الخمسين فى الحملة الأولى.(1)

أنّهم كانوا (45) فارساً ونحو (100) راجل كما فى تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر.(2)

أنّهم كانوا (45) فارساً و (100) راجل كما عند ابن نما فى مثير الأحزان والطبرى عن الباقر عليه السلام.(3)

أنّهم كانوا (87) رجلاً كما عن الفضيل بن الزبير.(4)

أنّهم كانوا قريباً من (100) رجل كما عند الطبرى.(5)

أنّهم كانوا (233) كما عند الزنجانى فى وسيلة الدارين.(6)

أنّهم كانوا (500) فارس و (100) راجل كما عند الطبرى والمسعودى(7) ، ولكن يجب إسقاط عدد (19) شهيداً من أهل البيت كما يذهب إلى ذلك الطبرى كما تقدم.(8)

1- (1) مرآة الجنان لليافعى: ج 1 ص 131.

2- (2) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر: ج 4 ص 337.

3- (3) مثير الأحزان: ص 28، الطبرى: ج 5 ص 381.

4- (4) مجلّة تراثنا: عدد 2 ص 151.

5- (5) الطبرى: ج 5 ص 392.

6- (6) وسيلة الدارين: ص 94.

7- (7) المسعودى فى مروج الذهب: ج 3 ص 70؛ شرح مقامات الحريرى للشريسى: ج 1 ص 172.

8- (8) حيث ذكر أنّ عدد الشهداء من أهل البيت عليهم السلام (19) فيكون الباقى هو (581) شهيداً من غير أهل البيت عليهم السلام على أساس هذا الرأى.

وممّا تقـدّم يتبيّن لک بما لا يقبل الشکّ حجم الجهـد الـذی يتوجّب علی الباحث والـدارس لهـذا الموضوع بذله من أجل الخروج بنتيجة تکون هی الأقرب إلی العدد الذی کان مع الحسين عليه السلام.

وعليه فلابد من مراجعة کلّ الروايات أو جُلِّها علی ما يتيسّر، وأقوال العلماء وما سردوه من أحاديث حول هذه الواقعة.

سؤال وجواب

وقد يقول قائل: ولم کُلّ هذا الجهد أصلاً؟ وما فائدة أن نعرف العدد الحقيقی أو ما يقاربه بالدقّة؟

أقول: إنّ معرفة أسماء الأصحاب الذين سايروا الحسين وترکوا الأهل والأولاد والأوطان، بل وطلّقوا الدنيا بکلّ ما تزخر به من إغراءات يسيل لها لعاب الکثير من الناس، حسب تقـديری هو مسؤوليـة دينيـة وإنسانيـة فی نفس الوقت من أجل الحفاظ علی ما قدّموه أوّلاً، وتقديمه إلی الناس للاقتداء به ثانياً.

ومن هنا نجد أنّ کلّ الشـعوب والأمم علی اختلاف آيديولوجيّاتها وانتماءاتها الفکرية، تبذل الغالی والنفيس من أجل الحفاظ علی عظمائها ومفکّريها وزعمائها وقادتها وشخصـيّاتها شاخصـةً فی أذهان أممهم وشـعوبهم، وما النُصُب التی نراها ونقرأ عنها فی بلدان العالم کافة، إلاّ إشارة إلی هذه النزعة الإنسانية اتجاه من يحملون الدرجات العالية، ومن لهم شرف السبق فی شتّی المجالات.

جهود العلماء

ومن هنا بـذل علماؤنا الماضون ومحقّقونا وما زالوا، فى هذا الطريق – وإن قلّ ما نجده فى الوقت الحاضـر – الجهد الكبير من أجل تسـليط الضوء على هذه الأسـماء وجمعها من بطون الكتب المخطوطة، ودراسـتها ومقارنتها ببقية النسخ الأخرى، لمعرفة المكرّر منها والمصحّف وما شاكل ذلک، كلّ هـذا من أجل الخروج – كما تقـدّم فى ذكر آرائهم – بنتائج مُطَمْئِنة يمكن الركون إليها، سواء كانت هذه الأسـماء من أهل البيت أم من الأصحاب رضى الله عنهم.

وقد استدلّوا فى الوصول إلى هذه النتائج، حسب فهمى، بمجموعة من الأدلّة لا تخرج عمّا سنذكره إلاّ نادراً:

1. الروايات التى تتحدّث عن العدد الذى خرج به الحسين من المدينة أو من مكّة أو الذى كان معه فى الطريق إلى العراق، أو حينما نزل فى كربلاء يوم الثانى من المحرّم، أو كان معه يوم التعبئة وهو يوم العاشر من المحرّم.

2. الروايات التى تحدّثت عن عدد الرؤوس المقطوعة بعد واقعة الطفّ والمحمولة على أطراف الرماح.

3. الروايات التى تحدّثت عن عدد المستشهدين فى الحملة الأولى، والمستشهدين مبارزة بعد ذلک.

4. بعض كتب المقاتل القديمة المعاصرة للحادثة، أو التى جاءت بعدها بمدّة وجيزة، كمقتل الفضيل بن الزبير.

5. زيارة الناحية وما حوته من أسماء الشهداء، وتسليم الإمام المهدى عليها

وذكر قاتليها، والتى تمثّل مصدراً مهمّاً وقديماً فى الوقت نفسه.

6. الزيارة الرجبية، والتى تمثّل مصدراً لذكر الأسماء، وإن لم تكن أساسية لعدم وجود السند فيها كما سيأتى.

أولاً: الروايات التى تحدثت عن العدد الذى خرج به الحسين من المدينة حتى وصوله إلى كربلاء، فخير من تحدّث عنها وجمعها وناقشها هو المحقّق المرحوم آية الله الشيخ محمد مهدى شمس الدين، فى كتابه القيّم «أنصار الحسين» حيث ذكر أربع روايات عبّر عنها بأنّها كانت رئيسية فى هذا الموضوع، وهى كالتالى:

الرواية الأولى: رواية المسعودى والتى يقول فيها: «فلمّا بلغ الحسين القادسية لقيه الحرّ بن يزيد الرياحى...، فعدل إلى كربلاء وهو فى مقدار خمسمائة فارس من أهل بيته وأصحابه ونحو مائة راجل»(1).

ويقبل الشيخ شمس الدين العدد الوارد فى هذه الرواية ولكن بشرط ان نتأخّر بالرواية زماناً قليلاً عن ملاقاة الحر ووصول خبر شهادة مسلم بن عقيل وعبد الله بن يقطر وهانى بن عروة.

أقول: إنّ توجيه العلّامة شمس الدين رحمه الله لهذه الرواية توجيه سليم وفى محلّه، ونحن نميل إلى ما مال إليه، حيث تؤكّد جملة من الروايات التاريخية أنّ مجاميع من الناس كانت تنفض عن الحسين بعد كلّ خبر يصل اليه من أهل الكوفة، أو بعد كلّ تصريح صريح للحسين فى أن النهاية التى سوف ينتهى إليها

1- (1) . أنصار الحسين للشيخ محمد مهدى شمس الدين: ص 44.

هو وأصحابه هی الموت لا غیر، لاسیما قولته الشهیرة: «من لحق بنا استشهد، ومن لم یلحق بنا لم یدرک الفتح»(1) وقوله: «خیر لی مصرع أنا لاقیه... إلخ».(2)

الروایة الثانیة: روایة عمّار الدهنی، عن أبی جعفر الباقر علیه السلام حیث جاء فیها: «حتی اذا کان بینه وبین القادسیة ثلاثة أمیال لقیه الحرّ بن یزید الریاحی...، فلمّا رأی ذلک عدل إلی کربلاء، فنزل وضرب أبنیته، وکان أصحابه خمسة وأربعین ومائة راجل»(3).

ویقبل الشیخ شمس الدین رحمه الله کذلک هذا العدد من حیث المبدأ، حیث إنّه یمثّل بالنسبة الیه مرحلة من مراحل المسیرة الحسینیة إلی کربلاء مع إقراره رضی الله عنه أنّ الروایة مهمّة، لأنّها تأخذ المعلومة من الصدر الصافی النقی الثقة، وهو الإمام الباقر علیه السلام ولکنّه فی الوقت نفسه یؤکّد وجود تحریف منکر فی هذه الروایة لواقعة کربلاء، خصوصاً فی أهمّ رکن منها، وهو ثبات الحسین وعدم قبوله لأیّ حلول وسطیّة یحافظ من خلالها علی حیاته التی نذرها للإسلام، حیث أکّدت الروایة فی ثنایاها أنّ الحسین علیه السلام همّ بالرجوع بعد حدیث الحرّ معه، ولکن الذی منعه من ذلک موقف إخوة مسلم بن عقیل.

أقول: لقد أورد المسعودی نفس هذه الروایة التی أوردها الطبری عن عمّار الدهنی من دون أن ینسبها إلیه، کما أنّ العدد فیها خمسمائة فارس، قال: «فلمّا بلغ الحسین القادسیة لقیه الحرّ بن یزید التمیمی فقال له: أین ترید یا بن رسول الله؟

1- (1) کامل الزیارة: ص 75.

2- (2) مثیر الأحزان لابن نما: ص 29.

3- (3) أنصار الحسین للشیخ محمد مهدی شمس الدین: ص 45.

قال: أريـد هذا المصـر فعَّرَفه بقتل مسـلم وما كان من خبره، ثمّ قال: إرجع، فإنّى لـم أدعْ خلفى خيراً أرجوه لک، فهمّ بالرجوع، فقال له إخوة مسلم: والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل كلّنا، فقال الحسين عليه السلام لا خير فى الحياة بعدكم...»(1).

كما أوردها بنفس هذا العدد من دون نسبة كذلک، الشريسى فى شرح مقامات الحريرى(2).

ومن الواضح لكلّ ذى عينين أنّ هذه الروايات وإن اختلفت فى العدد الذى تضـمّنته إلاّ أنّها اشتركت فى قضيّة واحدة، ألا وهى همّ الحسين عليه السلام بالرجوع إلى وطنه وإصرار إخوة مسلم بالاستمرار حتى أخذ الثأر، ثمّ تسليم الحسين عليه السلام لرأيهم.

الأيادى الآثمة المحرِّفة

يعنى أنّ الأيادى الآثمة التى مُدّت إلى هذه الرواية وأرادت نشرها بأىِّ رقم وعدد، كانت تهدف من وراء ذلک إلى إثبات أنّ الحسين لم يكن جادّاً فى حركته، والـدليل على ذلک هو همّه بالرجوع إلى المدينـة، وهذا يعنى ضـمناً أنّ يزيد لم يكن مسـتحقّاً أن يخرج عليه الحسـين ولا غيره، بل كان مسـتحقّاً للتأييـد والـدعاء له بالاسـتقامة والثبات، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تريد أن تثبت أن الحسـين عليه السـلام كان مشتبهاً فى خروجه، وهذا بحدّ ذاته كان مطلباً أمويّاً كبيراً سعت اليه الدولة الأموية بكلّ ما أوتيت من قوّة من أجل تحقيقه، وبذلوا الأموال

1- (1) مروج الذهب للمسعودى: ج 1 ص 70.

2- (2) شرح مقامات الحريرى للشريسى: ج 1 ص 173.

الطائلة من تنفيذه، ولقد قالها ابن خلدون فی مقدّمته صـریحة جریئة من دون استحیاء من الله ورسوله: «فتبیّن من ذلک غلط الحسین إلاّ أنّه فی أمر دنیوی لا یضرّه الغلط فیه، وأمّا الحکم الشرعی فلم یغلط فیه لأنّه منوط بظنّه، وکان ظنّه القدرة علی ذلک»(1).

الید الآثمة فی تأریخ الثورة الحسینیة

ولم تکن هذه الید الأثیمة الوحیدة التی مدّت إلی هذه الروایة، بل هناک جملة من الروایات حاولت أن تسـیء إلی شـخص الحسین بشکل خاصّ، وإلی الحرکة الحسینیة بشکل عامّ.

الطبری مثالاً

وللمثال فقط أذکر ما قاله الطبری فی موضعین من تاریخه:

أما الأوّل: فیقول فیه: «کتب عبیـد الله بن زیاد إلی یزید بن معاویة یخبره بما حدث، ویستشـیره فی شأن أبناء الحسـین ونسائه فلمّا بلغ الخبر إلی یزیـد بن معاویـة بکی وقال: کنت أرضـی من طاعتهم (أی أهل العراق) بـدون قتل الحسـین علیه السـلام...، لعن الله ابن مرجانة، لقد وجده بعید الرحم منه، أما والله لو أنّی صاحبه لعفوت عنه، فرحم الله الحسین»(2).

وثانیاً: یقول فی موضع آخر وهو ینقل حدیث یزید لعلی بن الحسین علیه السلام عند مغادرته دمشق: «لعن الله ابن مرجانة، أما والله لو أنّی صاحبه ما سألنی خصلة

1- (1) مقدّمة ابن خلدون: ص 271.

2- (2) تاریخ الطبری: ج 5 ص 393.

أبداً إلاّ أعطيتها إيّاه، ولدفعت عنه بكلّ ما استطعت ولو كلّفنى بعض ولدى، ولكنّ الله قضى ما رأيت، كاتبنى بكلّ حاجة تكون لک».(1)

فإذا تبيّن لنا أنّ الروايـة قـد مـدّت لها هذه اليد الأثيمة كما تقدّم، فحينئذ نرفع اليد عمّا فيه تحريف وتزوير، ونأخذ بالعدد الذى ورد فى هذه الروايـة، والذى يتردد بين (145-500). وبما أنّ العـدد (500) مخالفـة لكلّ المصادر التاريخيـة فيعرض عنه، ويعمل بالعدد الآخر وهو (145)، خصوصاً إذا علمنا أنّ هناک جملة من المرجّحات التى ربّما تعين على الأخذ بهذا العدد دون سواه، كما سيتبيّن لک فى نهاية هذا البحث.

الرواية الثالثة: رواية الحصـين بن عبد الرحمن، عن سـعد بن عبيدة قال: «إن أشياخاً من أهل الكوفة لوقوف على التلّ يبكون ويقولون: اللهمّ أنزل نصـرک قال: قلت: يا أعداء الله، ألا تنزلون اليه فتنصـرونه!... وإنّى لأنظر إليهم (يعنى أصـحاب الحسين) وإنّهم لقريب من مائة رجل، فيهم لصـلب على بن أبى طالب عليه السـلام خمسة، ومن بنى هاشم سـتة عشر، ورجل من بنى سليم حليف لهم، ورجل من كنانة حليف لهم، وابن عمر بن زياد»(2).

ويبدو أنّ الشـيخ شـمس الدين رحمه الله يقبل كذلک هذا الرقم الوارد فى هذه الرواية، ولكنّه يقيّده باليوم العاشـر من المحرّم وبعد الحملة الأولى، لوجود قرينة ربّما تكون فيها إشارة تؤيّد الركون إلى مثل هذا الاعتقاد، ألا وهى رمى عمر

1- (1) تاريخ الطبرى: ج 5 ص 462.

2- (2) أنصار الحسين للشيخ شمس الدين: ص 46.

الطهوی بسهم علی الحسین وسقوطه بین کتفیه وتعلّقه بجبّته.

أقول: وهذا الحمل متین وفی محلّه، ونحن نذهب إلی ما ذهب إلیه، ولکنّ الغریب فی الأمر أنّ فضیلته بعد حمله الروایة علی هذا المحمل یضع هـذا العدد الوارد فی هذه الروایة فی قبال العدد الوارد فی روایة عمّار الدهنی عن الإمام الباقر علیه السـلام، وکان ینبغی أن توضع هذه الروایـة - وخصوصاً مع حملها علی هذا المحمل - قرینة من جملة القرائن التی تُعین علی الأخذ بروایة عمّار الدهنی، لأنّ روایة سـعد بن عبیـدة تثبت وجود قرابـة المائـة، وقطعاً هـذا التقریب من خلال النظر لا الدقّـة والإحصاء، ومن ثم یکون العـدد مُؤرجحاً بین (95-100) رجل، فإذا ما أضـفنا إلی هذا العدد من ثبت أنّه استشـهد فی الحملة الأولی من أنصار الحسـین علیه السلام کما هو رأی سماحته فی حملة المتقدّم، والبالغ عددهم (50) نفراً أو یزیـدون قلیلاً، فالنتیجة التی سوف تترتّب علی ذلک هو (145) أو ما یقارب هذا الرقم، وهو ما تشیر إلیه روایة عمّار المتقدّمة، ومن ثم تکون کلّ من الروایتین تشیران إلی عدد واحد بعینه کما تقدّم.

الروایة الرابعة: روایة أبی مخنف، عن الضحّاک بن عبد الله المشرقی حیث یقول: «وعبّأ الحسین أصحابه وصلّی بهم صلاة الغداة، وکان معه اثنان وثلاثون فارساً، وأربعون راجلاً»(1).

ویقبل الشـیخ شمس الدین رحمه الله عدد هذه الروایة، لوجود اتّفاق بینها وبین روایات مؤرّخین آخرین معاصرین له کالطبری، أو متأخّرین علیه کالدینوری

1- (1) أنصار الحسین لشمس الدین: ص 47.

واليعقوبى والخوارزمى والشيخ المفيد.

أقول: ولا ـ كلام فى حسن سمعة أبى مخنف، الذى عُدَّ من ثقات المحدّثين، حتى قال عنه ابن النديم: «أبو مخنف بأمر العراق وأخبارها وفتوحها، يزيد على غيره»(1).

الضحّاک کان دقیقا فی تعامله

ولا ـ كلام كذلك حول شخصية الضحّاك الذى كان دقيقاً فى تعامله مع الحسين غاية الدقّة، حتى أنّ كلّ ما جرى وحصل من مجازرٍ وسفكٍ للدماء، لم يؤثّر فى هذا الرجل الذى عاش كلّ هذه الأجواء، ولم تتغيّر قناعاته فى ذلك الاتفاق الذى أبرمه مع الحسين عليه السلام وظلّ ثابتاً عليه حتى فارقه كما هو معلوم. إنّ أمثال هؤلاء حينما ينقلون لا شكّ يوثق بنقلهم من هذه الجهة دون بقية الجهات الأخرى يقول الشيخ محمد مهدى شمس الدين رحمه الله: «الضحّاك بن عبد الله المشرقى وهو فيما يبدو رجل صارم وعملى ودقيق جدّاً، فحين طلب الحسين منه النصرة أجابه إلى ذلك، مشترطاً أن يكون فى حلّ من الانصراف عنه حين لا يعود قتاله مفيداً فى الدفع عن الحسين عليه السلام وقد أجابه الحسين إلى شرطه، فاشترك الضحّاك فى المعركة بصدق. إنّ هذه الملاحظة تبعث على الوثوق بدقّته».(2)

وهذه الرواية مهمّة من جهتين: أمّا الجهة الأولى، فهى أنّ الناقل لها هو أبو مخنف فى مقتله، وهذه الخصّيصة سوف نتحدّث عنها بعد ذلک حيث سيتبيّن لنا

1- (1) الفهرست لابن النديم: ص 158.

2- (2) أنصار الحسين لشمس الدين: ص 48.

أنّ كتب المقاتل هی أقلّ من كتب التأريخ العامّة عرضة للتحريف؛ وأمّا الجهة الثانية، فهی وجود الضحّاک إلی جانب الحسين عليه السلام منذ مروره به فی منطقة قصر بنی مقاتل(1) وحتی استشهاد جميع أصحابه سوی اثنين كان هو ثالثاً لهما، وهذا الرجل لا شكّ حينما يروی سوف يروی الحدث كما هو، لأنّه فيه وليس خارجاً عنه. ولكن المشكلة التی تترتّب علی الأخذ بروايـة أبی مخنف هی وجود نتيجتين لا يقول بهما أحد وهما:

1. أنّ جميع من عبّأهم الحسين عليه السلام للقتال قد قتلوا وهذا ما لا يقول به أحد، فهناک من نجا من هذه المعركة، سواء من أهل البيت عليهم السلام أم من الأنصار، وقد نصّ العلماء علی أسمائهم بالتفصيل، اللهمّ إلاّ أن يؤخذ برأی الشيخ شمس الدين رحمه الله حينما أشار إلی أنّ هذه التعبئة لم تكن شاملة بل كانت مختصّة بالأصحاب، فلا تشمل بنی هاشم ولا الموالی، حيث قال: «وهی فی تقديرنا تعبّر عن عدد أصحاب الحسين عليه السلام من المحاربين العرب غير الهاشميّين، فهی لا تشمل الهاشميين ولا الموالی ولا الخدم»(2).

ومع إجلالنا لسماحة المحقّق شمس الدين رضی الله عنه إلاّ أنّه لم يبيّن لنا دليل هذا التقدير الذی ذهب اليه، حيث أرسلها من دون الإشارة إلی ما يؤيّدها من قرائن حاليّة أو مقاليّة، ومع عدم ذكر المستند والدليل ليتسنی لنا دراسته، لا نكون ملزمين بالميل إلی ما مال اليه ولا تقدير ما قدّره رضی الله عنه.

1- (1) مقتل الحسين لأبی مخنف: ص 108.

2- (2) أنصار الحسين لشمس الدين: ص 53.

تعبئة الحسين عليه السلام كانت عامة وليست خاصة بالأصحاب

اشارة

نقول: إنّ الدليل على أنّ التعبئة لم تكن خاصّة بأصحابه عليه السلام، يعضدها الدليل النقلى والمعنوى إن صحّ التعبير.

أمّا الدليل النقلى

فقد روت كتب المقاتل والتأريخ أنّ الحسين عليه السلام حينما رتّب أصحابه إلى ميمنة ومسيرة وقلب، لم يترك أهل البيت عليهم السلام بل ورتّبهم كذلك، فذكروا فى هذا المجال صورة ربّما تختزن فى داخلها مجموعة من الصور التى تتعلّق بتوزيع الحسين عليه السلام لأهل البيت عليهم السلام.

يقول أرباب المقاتل: «ثمّ إنّه صفّ أصحابه ورتّبهم ميمنة وميسرة فى مراتبهم، فجعل على بن الحسين فى ميمنته، وحبيب بن مظاهر فى ميسرته، وزهير فى جناحه الأيمن، ومسلم بن عوسجة فى جناحه الأيسر، ووقف هو فى القلب، وأعطى رايته أخاه العباس»(1).

1- (1) مصارع الشهداء ومقاتل السعداء، للشيخ سلمان بن عبد الله آل عصفور، تحقيق الشيخ على آل كوثر: ص 111، وبهامشه يذكر المحقّق هذه الطريقة الحسينية فى ترتيبه عليه السلام لصفوف أصحابه؛ الإرشاد للمفيد: ج 2 ص 96؛ الطبرى: ج 5 ص 423.

وبتقـديرى، ما ذكر هـذان العلمان من بنى هاشم دون الآخرين إلاّ لقربهما من سـيّد الشـهداء وعظيم أثرهما عليه، كما هو واضح من تفجّع الحسين حينما وقف على مصرعيهما، وأمّا بقيّة بنى هاشم فلا شكّ أنّه تمّ توزيعهم ضمن هذه المحاور الأساسية، من يمين وشمال ومقدّمة ومؤخّرة وقلب.

وأمّا الدليل المعنوى

فلـک أن تتصوّره معى والحسـين واضع أهل بيته، من أولاده وإخوته وأولاد عمّه وقرابته، إلى جانبه، وقـد صفّ أصـحابه ووزعهم للقتال، وما يتركه مثل هذا الفعل فى نفوس أصـحابه عليه السـلام، وإن كنّا نقطع أنّ الاصحاب إنّما التحقوا به من أجل أن يموتوا دون بنى هاشم، ولكن تبقى لمثل هذه الصورة دلالاتها، والتى حاول الحسـين عليه السـلام فى أكثر من مناسـبة التأكيد عليها، وهذه الحقيقة قد عرفها ووعاها كلّ قريب للحسـين من أهل بيته ممّن كانوا معه؛ ينقل الشـيخ محمد مهدى المازندرانى(1) فى كتابه معالى السـبطين، عن زينب عليها السلام فى أحداث ليلة العاشـر من محرّم، فى رواية طويلة أنقل منها محلّ الشاهد: «لمّا كانت ليلة عاشـر من المحرّم، خرجتُ من خيمتى لأتفقّد أخى الحسـين وأنصاره، وقـد أفرد له خيمـة، فوجدتهُ جالساً وحده يناجى ربّه ويقرأ القرآن، فقلت فى نفسـى: أفى مثل هذه الليلة يترک أخى وحده؟!

1- (1) . شيخ الخطباء فى كربلاء، ولد سنة 1293 ه - وتوفّى 1306 ه - له مؤلّفات عديدة، منها: شجرة طوبى، والكوكب الدرّى، ومعالى السبطين وغيرها. أنظر تاريخ الحركة العلمية فى كربلاء، نور الدين الشاهرودى: ص 267-268.

والله لأمضينّ إلى إخوتى وبنى عمومتى وأعاتبهم على ذلک، فأتيت خيمة العباس فسمعت منه همهمة ودمدمة، فوقفت على ظهرها، فنظرت فيها فوجدت بنى عمومتى وإخوتى وأولاد إخوتى مجتمعين كالحلقة، وبينهم العباس ابن أمير المؤمنين وهو جاث على ركبتيه كالأسد على فريسته، فخطب فيهم خطبة ما سمعتها إلاّ من الحسين عليه السلام، مشتملة على الحمد والثناء والصلاة على النبى وآله، ثمّ قال فى آخر خطبته: يا إخوتى وبنى إخوتى وبنى عمومتى، إذا كان الصباح ماذا تقولون؟ قالوا: الأمر إليک يرجع، ونحن لا نتعدّى لک قولاً، فقال العباس: إنّ هؤلاء (يعنى الأصحاب) قوم غرباء، والحمل الثقيل لا يقوم به إلاّ أهله، فإذا كان الصباح فأوّل من يبرز إلى القتال أنتم»(1).

وممّا لا ريب فيه أنّ العباس لا يخطو كهذه خطوة إلاّ لمعرفته برغبة الحسين فى ذلک، فتبيّن ممّا تقدّم بأنّ الحسين لم يعبّئ أصحابه لوحدهم حينما صفّهم للحرب، وإنّما عبّأ معهم بنى هاشم والموالى كذلک، لأنّهم جزء من أصحابه بل ومن المستشهدين بين يديه. فقول أبى مخنف إنّه صفّهم للحرب فكانوا اثنين وسبعين، سوف تترتّب عليه نتيجة لا يقول بها أحد، كما قلنا فى أوّل هذه النقطة، وهى أنّ جميعهم قد قتلوا ولم يبق منهم أحد،(2) لأنّ من المتّفق عليه عند المؤرّخين جميعاً وأرباب المقاتل، أنّ عدّة مَنْ قُتِلَ من أصحاب الحسين وأهل بيته لم ينقص عن اثنين وسبعين رجلاً، وهذه النتيجة لا توجد رواية واحدة ضعيفة

1- (1) معالى السبطين: ج 1 المجلس الثالث فى وقائع ليلة عاشوراء، كما فى ص 53.

2- (2) الغريب أنّ الشيخ شمس الدين رحمه الله فى الوقت الذى يؤكّد على أنّ التعبئة كانت خاصّة للأصحاب فقط، كما فى ص 53، يقول فى ص 65: إنّ الهاشميين كانوا جزءاً من القوّة المعبّأة.

فضلاً عن الصحيحة تقول بها، لتواتر الأخبار التى تفيد نجاة جماعة منهم، كما تقدم قبل ذلک.

2. والنتيجة الأخرى التى تترتّب على الأخذ برواية أبى مخنف، هى أنّ جميع الذين عبّأهم الحسين عليه السلام قد شملتهم جريمة قطع الرؤوس وحملها فوق الرماح. وهذا كذلک لا قائل به، لتواتر النقل بأنّ هناک رؤوساً لم تقطع، كرأس الحرّ بن يزيد الرياحى وآخرين، كما يؤكّد على ذلک المحامى أحمد حسين يعقوب فى دراسته لعدد أصحاب الحسين عليه السلام(1).

أمّا فيما يتعلّق بالفقرة (2) وهى جريمة قطع الرؤوس الشريفة

من الأدّلة التى ذكرها العلماء، وهى جريمة قطع الرؤوس ورفعها فوق الرماح والاستدلال من خلالها على عدد شهداء كربلاء، فإنّ الشيخ شمس الدين رحمه الله درس هذه المسألة من خلال سؤال تحت عنوان: هل قتل الجميع، أو بقيت منهم بقية؟ بعد إثارته لمسألة عدد الرؤوس التى قطعت بعد واقعة الطف، ثمّ يذكر بعد ذلک جملة من الروايات التى تحدّثت عنها المصادر التاريخية، كالطبرى وأبى مخنف والشيخ المفيد وغيرهم، فى عدد هذه الرؤوس المقطوعة، ثمّ يقول: وقد يقال بوجود دلالتين لعدد الرؤوس، إحداهما: دلالته على عدد أصحاب الحسين عليه السلام، وثانيتهما: دلالته على عدد القتلى. ويجيب الشيخ شمس الدين رحمه الله على ذلک بقوله: «ولكنّنا لا نرى لعدد الرؤوس أيّة

1- (1) كربلاء الثورة والمأساة، المحامى أحمد حسين يعقوب: ص 39، أنصار الحسين لشمس الدين: ص 232.

دلالة من هذه الجهة، فإنّ قطع الرؤوس وحملها إلى الكوفة والشام، إجراء انتقامى ذو محتوى سياسى، أو عمل سياسى ذو صفة انتقامية، وهو خاضع لاعتبار سياسى معيّن».(1)

أقول:

إنّ قطع الرؤوس ورفعها فوق الرماح، وإن كان عملاً سياسيّاً له صفة انتقامية، ولكنّه يحمل فى الوقت نفسه دلالة على عدد القتلى الذين سقطوا بين يدى الحسين عليه السلام، ولا تقاطع بين الصفة الانتقامية لهذا العمل وبين دلالته على العدد، مع إيماننا بأنّ هذه الدلالة حتى وإن تمّت، لا يمكن الاستدلال بها على عدد من استشهد مع الحسين، فإنّ الرقم الذى ربّما يكون أقرب إلى عددهم رضى الله عنهم - كما سيأتينا بعد ذلك - أكبر من الرؤوس المقطوعة هذه.

أمّا فيما يتعلّق بالفقرة (3) وهم المستشهدون فى الحملة الأولى وفى المبارزة

من الأدلّة التى ذكرها العلماء، وهى الروايات التى تحدّثت عن عدد المستشهدين فى الحملة الأولى، وعدد المستشهدين مبارزة، فإنّ الروايات هنا، كما فى غيرها، تختلف فى تحديد عدد المستشهدين فى الحملة الأولى والمستشهدين مبارزة، فقد ذهب المشهور إلى أنّ عدد المستشهدين فى الحملة الأولى (50) كما فى مقتل المقرّم، والمقريزى فى خططه(2)، وغيرهما، بينما ذهب

1- (1) أنصار الحسين لشمس الدين: ص 53-56؛ كربلاء الثورة والمأساة، أحمد حسين يعقوب: ص 39 وبعدها.

2- (2) مقتل الحسين لعبد الرزاق المقرّم: ص 237؛ الخطط المقريزية: ج 2 ص 287.

بعضـهم إلى أنّ عددهم هو (40) شـهيداً، كما يـذكر ذلک ابن شـهر آشوب فی مقتله(1) ، ويقول محمـد بن أبی طـالب والخوارزمی: إنّ عددهم نيّف علی الخمسين(2).

وكذلک اختلفوا فی عدد المستشـهدين مبارزة، فمع أنّ الكثير يذهب إلى أنّ من استشهد مبارزة لا يتجاوز الأربعين، يذهب اليافعی فی مرآة الجنـان إلى أنّهم كانوا اثنين وثمانين مبارزاً(3). ويبدو أنّ اليافعی حينما يذكر هذا القول يرسـله أرسال المسـلّمات من دون تعريض، وهذه الرواية تقديرية سوف تعيننا علی معرفة العدد الذی كان مع الحسين عليه السلام بعد ذلک.

أمّا فيما يتعلّق بالفقرة (4) وهی كتب المقاتل القديمة

اشارة

من الأدلّـة التی ذكرها العلماء، وهی كتب المقاتل القديمـة، والتی رصـدت هـذا الحـدث الأليم ونقلته الينا، وأقصد بكتب المقاتل القديمة تلک التی لم يفصـلها عن واقعة كربلاء إلاّ سـنوات قليلة، وبعبارة أخرى، الواسطة فيها لنقل المعلومة لم تتعدّی فی معظم صورها وأشكالها الشـخص أو الشخصـين، كمقتل الفضـيل بن الزبير، وأبی مخنف، وآخرين، وسأحاول بتوفيق من الله تعالى التركيز علی مقتل الفضـيل بن الزبير دون غيره من كتب المقاتل لقدمه، حيث توفّی صاحبه فی سنة 148 ه -، كما يؤكّد علی ذلک.

1- (1) مقتل ابن شهر آشوب: ج 4 ص 114.

2- (2) مقتل الخوارزمی: ج 2 ص 1؛ بحار الأنوار: ج 45 ص 12، نقلاً عن محمد بن أبی طالب.

3- (3) مرآة الجنان: ج 1 ص 144.

السيد الجلالی ومقتل الفضيل بن الزبير

يقول السيّد محمد رضا الجلالی فی تحقيقه لهذا السفر القيم، والذی يقول عنه: ولقد لفت نظری فيه عدّة جهات دفعتنی إلی تحقيق نصّه، وهی:

1. أنّ رواياته مسندة إلی رجال معروفين...، وهذا ما لم تحظ به أكثر الروايات التی يتداولها المؤرّخون وأرباب المقاتل وغيرهم من المؤلّفين بهذا الصدد.

2. أنّ جامعه الفضيل بن الزبير قصد استيعاب ما توفّر له من النقول.

3. احتواؤه علی أسماء لشهداء لم يذكروا فی موضع آخر.

4. احتواؤه علی آثار وروايات وتفصيلات، ممّا يرفع قيمته العلمية.

5. يعتبر فريداً وجديداً بالنسبة إلی حواضرنا العلمية.(1)

ولكنّی وقبل أن ألج فی لجّة هذا السفر المهمّ، أودّ أن أشير إلی أمر مهمّ أرانی مضطرّاً للحديث عنه، لأنّه يصبّ فی صالح ما نريد أن نتحدّث عنه...

كتب المقاتل أقلّ تحريفاً من الكتب التاريخية الرسمية

إنّ ممّا يجب الالتفات إليه هو أنّ المصادر التأريخية التی وردت فيها أسماء وأرقام وأعداد أصحاب الحسين عليه السلام انقسمت إلی قسمين رئيسيين غالباً، وهما: كتب المقاتل وكتب المؤرّخين، ولا شكّ بأنّ الكتب التأريخية تكون أكثر عرضة للتأثّر بعوامل التحريف والتزوير المتعدّدة، لاسيّما الدولة التی يعيش فيها ذلک

1- (1) مجلّة تراثنا العدد 2: ص 127-128.

المؤرّخ، لأنّ أمثال هؤلاء يكونون تحت أنظار السلطة فيما يكتبون، ومن ثم قد ترى الدولة بأنّ ليس من صالحها أن ينشر هذا المؤرّخ هذه الحادثة، أو ترى العكس، بأنّ المصلحة فى أن ينشرها ولكن على أن يبيّن فلسفتها والأسباب الكامنة وراءها، ومن هنا يكونون أكثر عرضة للضغوط التى تمارسها هذه الدولة أو تلك، وربّما حاضرنا الذى نعيش فيه يكشف لنا بشكل واضح عن مثل هذه التأثيرات، فكم من الإعلاميين الذين يعيشون الأحداث بأمّ أعينهم ويرون الحقّ ماثلاً أمامهم من خلال جملة من النقاط، ولكنّك تراهم غير قادرين على تسجيل ما يؤمنون به، والسرّ وراء ذلک هو الخوف من النظام الحاكم الذى ربّما تقتضى مصلحته عدم تسجيل مثل هذه الأمور، والمثال البارز فى التاريخ هو الضغوط الكبيرة التى مارستها الدولة الأموية على هؤلاء المؤرّخين فى عدم ذكر هذه الواقعة أصلاً، أو تزويرها على أقل تقدير، من خلال ذكر الروايات الكاذبة عنها، فضلاً عن رموزها وأبطالها.

يقول صادق جعفر الرّوازق وهو يتحدّث على هامش تقريرات السيّد كاظم الحائرى لمحاضرة السيّد الشهيد محمد باقر الصدر، تحت عنوان «الحسين يكتب قصّته الأخيرة»: «ما لتأثير الأساليب السياسية القاهرة التى مارسها الأمويّون ومنذ عهد عثمان، ثمّ معاوية الذى قال: اقطعوا العطاء عن كلّ من يوالى أبا تراب. فقطع العطاء هو قطع الأعناق، وهو حكم إعدام سبقٍ مع وقف التنفيذ، فالسياسة الأموية التى لم ترحم الطفل الرضيع، فكيف الحال لمن يريد أن يؤرّخ واقعة مأساوية صنعتها دناءة النظام واستهتاره، ومن ثمّ كيف لمؤرّخٍ موالٍ أو حتى معادٍ أن

یسترضـی ضمیره وهو یذکر أسماء الشهداء من الأصحاب وفی مثل هذه الظروف السیاسیة التی لا ترحم، وکم من القبائل والبیوتات الکبیرة التی أدانها النظام الأموی لسبب اشتراک أفراد منها استشهدوا مع الحسین علیه السلام»(1).

ولقـد ذکرت لک آنفاً نصّ ین للطبری کشاهـد علی مثل هـذا التزویر والدسّ، ولو أردت أن أسـرد لک ما کتبه الطبری فی هذا المجال لرأیت العجب العجاب، ولثبت لک وبشـکل قاطع، أنّ هذا الرجل لم یکن حرّاً فی کتابة أحداث هذه الواقعة، فضـلاً عن رموزها وما جری وصـنع بهـا، بینمـا لاـ نجـد مثـل هـذا التأثیر الکبیر علی ما اصـطلح علیه بکتب المقاتل، وخصوصاً المتقدّمـة منها، کأبی مخنف الـذی یُعـدّ من «أصـحاب الإمام الصادق علیه السـلام، وله روایات عنه، وکان والده من أصـحاب الإمام علی علیه السلام، وجدّه مخنف بن سلیم الأزدی من صـحابة رسول الله والإمام علی، وکان عاملاً لعلی علی أصـفهان وهمـدان إبّان خلافته، وکان فی معرکـة الجمل حامل لواء قبیلته، حتی استشهد هو واثنان من أخوته»(2).

وهکذا بالنسـبة لمقتل الحسین علیه السلام للخوارزمی، فی القرن السادس الهجری، والذی ما زال الباحثون والخطباء یفیدون منه، وغالباً ما ینسب الخوارزمی روایاته إلی ذویها، وأحیاناً إلی أبی مخنف، وأحیاناً أخری إلی ابن أعثم الکوفی، ومن هنا یعـدّ هـذا المصدر من المصادر الموثوقة فی هذا الباب.

1- (1) الحسـین یکتب قصـته الأخیرة (تقریرات السـید کاظم الحائری لمحاضـرة السـید محمد باقر الصدر) تحقیق وتعلیق صادق جعفر الرّوازق: ص 117.

2- (2) معجم رجال الحدیث للسید الخوئی: ج 15 ص 140.

وكـذلک مقتل ابن شـهر آشوب فی کتابه مناقب آل أبی طالب، وابن طاووس فی اللهوف فی قتلی الطفوف، وابن نمّا فی مثیر الأحزان، إضافة إلی بقیّة کتب المقاتل الأخری. ولا شکّ أنّ هذه المصادر تمثّل الناقل الأکثر صدقاً من جهة، ومن جهة أخری أقلّ تأثّراً بالأوضاع السیاسیة للدولـة، علی أساس أنّهم لا یمثّلون عنصـراً رسـمیّاً داخل الدولـة فی تدوین الأحداث والوقائع. صـحیح أنّ الطبری قد اعتمد فی حدیثه عن کربلاء علی أبی مخنف کثیراً، ولکنّه فی الوقت نفسه لم ینقل کلّ ما ذکره عنه فقط، وإنّما ذکر أحادیث وروایات أخری أسـندها إلی آخرین، وما ذکرته من النصّین السابقین للطبری یعـدّ دلیلاً وشاهـداً علی ما نقول، وهـذه حقیقة یجب علینا أن نعیها ونحن نقرأ کتاب الطبری کأقدم وأوسع کتاب تأریخی اعتمده المسلمون فی دراسة التأریخ.

أقول: إنّ کلّ ما ذکرته سابقاً یبیّن لنا هذه الحقیقة، وهی أنّنا اذا أردنا أن نبحث عن أسـماء أصـحاب الحسـین علیه السـلام، والشـهداء منهم، علینا أن نمیل إلی کتب المقاتل أکثر من کتب المؤرّخین، وبعبارة أخری علینا أن نـذهب إلی مصادر المؤرّخین أنفسـهم، والتی اعتمـدوها فی کتاباتهم قبل أن یخفوا فیها ما أخفوه تحت تأثیرات إرهاب الدولة، فضلاً عن العوامل الأخری التی ربّما لا یسع المجال هنا لذکرها، ومن ثم تخرج الأحـداث مشوّهـة عرجاء، بعیـدة کلّ البعـد عمّا جری وحصل بالفعل، آخـذین بعین الاعتبار المصادر القریبـة من الواقعة کأبی محنف والفضیل بن الزبیر، لأنّها ستکون أقلّ تحریفاً وتزویراً، وأکثر صدقاً فی ذکر الأحداث والأسماء والمواقف.

مقتل الفضيل بن الزبير

لقد ذكر الفضيل بن الزبير فى كتابه القيمّ «تسمية من قتل مع الحسين من أصحابه وأهل بيته وشيعته»(1) أنّ عدد الشهداء الذين سقطوا دفاعاً عن الحسين عليه السلام يبلغ (107)، وهو رقم ربّما تفرّد به دون بقيّة المصادر الأخرى، وهذه الوثيقة لقدمها ووثاقتها، تحتاج إلى كثير تأمل وكثير عناية، حتى يمكن أن يخرج الإنسان من خلالها إلى ما هو قريب إلى أرض الواقع، فقد ذكر الفضيل فى اسماء الشهداء (10) لم تذكرهم المصادر الأخرى، وهم: «عبد الله بن عيّاش بن قيس» ومعه أسلم مولى لهم.

«القاسم بن شبر»، «همام بن سلمة القابضى»، «مولى لأهل شندة يدعى رافعاً»، «الضباب بن عامر»، «عمران بن كعب الأنصارى»، «سليمان بن ربيعة»، «سوار بن أبى حمير الفهمى الهمدانى»، «كُثير بن عبد الله الشعبى»، «المهاجر بن أوس»، «وابن عمّه سلمان بن مضارب».

وهذه الأسماء تحتاج إلى تدقيق كبير، لما تضمّنته من أشخاص اشتهر عند المؤرّخين وأرباب المقاتل أنّهم كانوا من عداد جيش عمر بن سعد، فضلاً عن أن يكونوا شهداء فى واقعة الطف إلى جانب الحسين، مثل كثير بن عبد الله الشعبى والمهاجر بن أوس.

أما الأوّل: فيعبّر عنه فى الروايات بأنّه شرّ أهل الأرض وأجرأهم على دم،

1- (1) جزى الله خيراً المحقق البارع السيد محمد رضا الجلالى على جهده فى تحقيق هذا الكتاب، بعد أن وقع فى يده (مجلة تراثنا العدد 2) 1405 ه -.

كما فی روایة الطبری: لمّا نزل الحسین کربلاء ونزلها عمر بن سعد، بعث إلی الحسین علیه السلام کثیر بن عبد الله الشعبی، وکان فاتکاً، فقال له: إذهب إلی الحسین وسله ما الذی جاء به؟ قال: أسأله فإن شئت فتکت به، فقال: ما أرید أن تفتک به ولکن أرید أن تسأله، فأقبل إلی الحسین، فلما رآه أبو ثمامة الصائدی قال للحسین علیه السلام: أصلحک الله أبا عبد الله، قد جاءک شرّ أهل الأرض وأجرأهم علی دم وأفتکهم، ثمّ قام الیه وقال: ضع سیفک، قال: لا والله ولا کرامة، إنّما أنا رسول، فإن سمعتم منّی حتی ابلغتکم ما أرسلت به الیکم، وإن أبیتم انصرفت عنکم، فقال له أبو ثمامه: فإنّی آخذ بقائم سیفک ثمّ تکلّم بحاجتک، قال: لا والله ولا تمسّه، قال: فأخبرنی بماذا جئت؟ وأنا أبلغه عنک، ولا أدعک تدنو منه فإنّک فاجر، قال فاستبّا. ثمّ رجع کثیر إلی عمر فأخبره الخبر، فأرسل قرّة بن قیس التمیمی الحنظلی مکانه فکلم الحسین علیه السلام».

وأنت تقرأ معی فی هذه الروایة کم من الألفاظ المشینة قد وصفها له أصحاب أبی عبد الله؛ «شر أهل الأرض»، «أجرأهم علی دم»، إضافة إلی قول الطبری نفسه عنه إنه کان فاتکاً، کلّ هذا لا شکّ والحسین فی بدایة نزوله فی کربلاء، لیعطینا صورة واضحة عمّا یمکن أن یفعله هذا الفاجر فی الغد، أو ما فعله علی أرض الواقع یوم العاشر من المحرّم، حیث اشترک بشکل مباشر فی قتل خیار أهل الأرض وعبّادها، أمثال زهیر بن القین البجلی الذی کان راصداً له ولأخباره ولخطبه، وکان حریصاً علی أن یقتله هو لا غیره، فإذا کان هذا حال الرجل، فکیف یمکن له أن یهتدی، ومن ثم ینتقل إلی صفّ أبی عبد الله الحسین ویقتل

بين يديه، كما فعل الحرّ بن يزيد الرياحى وآخرون؟! إنّ الهداية لها دواعٍ ومقدّمات لابدّ من توفّرها أوّلاً، قال تعالى:

«أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِى السَّماءِ» - إلى قوله -«وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ما لَها مِنْ قَرارٍ1» .

أمّا الثانى: وهو المهاجر بن أوس، فلم يكن أقلّ من صاحبه شرّاً وجرأة على الله ورسوله، فقد ارتكب من الجرائم ما لا يعلم بها إلاّ الله، فقد نقل التاريخ عنه صوراً من الخسّة والحقارة، حيث انبرى المهاجر بن أوس إلى الحسين مفتخراً ومتباهياً بقطع الماء عن الحسين بقوله: «يا حسين، ألا ترى الماء يلوح كأنّه بطون الحيّات، والله لا تذوقه أو تموت دونه. فقال الحسين عليه السلام إنّى لأرجو أن يوردنيه الله ويحلّئكم عنه»(1) ، وهكذا ينقل التأريخ عنه صور الإجرام، حتى أنّه اشترك فى قتل زهير بن القين مع صاحبه كثير بن عبد الله الشعبى، يقول المقرم فى مقتله: «وخرج بعد زهير بن القين...، وهو يقول:

أنا زُهيرٌ وأنا ابنُ القَينِ أذُودُكُمْ بالسيف عن حسينِ

فقتل مائة وعشرين، ثمّ عطف عليه كثير بن عبد الله الشعبى والمهاجر بن أوس فقتلاه»(2).

1- (2) أنساب الأشراف: ج 3 ص 181، كتاب ترجمة الإمام الحسين من كتاب الفضائل لأحمد بن حنبل، تحقيق عبد العزيز الطباطبائى: ص 67.

2- (3) مقتل المقرّم: ص 247.

فإذا كان حاله كما سمعت وقرأت، فكيف يمكن أن يوفّق إلى الشهادة بين يدى ريحانة رسول الله صلى الله عليه و آله؟! فورود هذا الاسم عند الفضيل بن الزبير فى كتابه مع أسماء الشهداء يشكّل نقطة تحيّر، كما حصل مع محقّق كتاب الملهوف على قتلى الطفوف، الشيخ فارس تبريزيان، حيث علق بقوله: «ولا أعلم هل المهاجر بن أوس اثنان؟ أو واحد كان فى معسكر ابن سعد ثمّ التحق بمعسكر الحسين عليه السلام واستشهد معه؟»(1).

بل لابدّ من رفض هذا الاسم وعدم إدخاله فى قائمة شهداء الحسين فى كربلاء، وأعتقد جازماً بعد مراجعتى المتكرّرة لعبارة الفضيل بن الزبير فى كتابه، أنّ هناك اسماً ساقطاً لا تستقيم العبارة من دونه، ومعه لا يكون هناك إشكال مطلقاً، فعبارة الفضيل فى كتابه وردت هكذا: «وقتل من بُجيلة، كثير بن عبد الله الشعبى، ومهاجر بن أوس، وابن عمّه سلمان بن مضارب»(2).

وبتقديرى أن العبارة الصحيحة هكذا:

«وقتل من بُجيلة، زهير بن القين، قتله كثير بن عبد الله الشعبى ومهاجر بن أوس، وابن عمّه سلمان بن مضارب»(3)

ومع ما قدّمناه يكون الفضيل بن الزبير قد أورد فى كتابه (105) من أسماء

الشهداء وليس كما نقل فى مجلة تراثنا، العدد 2 لسنة 1405 ه -، حيث كانوا (107).

1- (1) الملهوف على قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس، تحقيق الشيخ فارس تبريزيان: ص 159، ويسمّى أيضاً: اللّهوف فى قتلى الطفوف.
2- (2) كما وردت فى مجلة تراثنا، العدد 2 لسنة 1405 ه -، تحقيق السيد محمد رضا الجلالى.
3- (3) ومع وجود اسم زهير بن القين يحل الإشكال فى العبارة ويفصل بين الصالح والطالح.

أمّا فيما يتعلّق بالفقرة رقم (5) وهى زيارة الناحية المقدّسة:

فإنّ هـذه الزيارة من الزيارات المنسوبـة إلى الإمام المهـدى عـج الله تعالى فرجه الشـريف للإمام الحسـين كبقية زيارات أئمّة أهل البيت عليهم السلام له ولكنّها تميّزت عنها باحتوائها على أسماء لشهداء الطفّ وأسماء من قتلهم.

وقد نقل هذه الزيارة من العلماء المتقدّمين الشيخ المفيد والسيّد المرتضى وابن المشهدى(1) وابن طاووس(2) ، وبعد هؤلاء الأعلام نقلها العلمـاء المتأخّرون، كالمجلسـى فى البحار والنورى فى مسـتدرک الوسائل وعباس القمى فى نفس المهموم وآخرين(3) ، حتى تسالم فى مؤلّفات الشيعة أنّ هناک زيارة تسمّى زيارة الناحية، تنسب إلى الإمام الثانى عشر من أئمّة أهل البيت عليهم السلام ألا وهو الإمام المهدى المنتظر عج الله تعالى فرجه الشريف.

1- (1) هو الشـيخ الجليل السـعيد أبو عبـد الله محمـد بن جعفر بن على المشـهدى الحائرى، المعروف بابن المشـهدى، هذا الرجل من أجلّاء العلماء من السـلف الماضـين واعتمـد الأصـحاب على كتابه، وهو الأصل فى عدّة من الأدعية والزيارات... قال عنه المحدّث الحرّ العاملى: «كان فاضلاً محدّثاً صدوقاً». كتاب المزار للشيخ ابن المشهدى، مقدّمة التحقيق لجواد الفيومى الأصفهانى: ص 5.

2- (2) هو السـيّد على بن موسـى بن طاووس العلوى الحسـنى، ينتهى نسبه إلى الحسن المثنى، ولد سنة 589 ه - وتوفّى فى بغـداد 5 ذى القعدة سنة 664 ه - واختلف فى مـدفنه، فبعض يذهب إلى أنّه دفن فى الحلّة وبعض يذهب إلى أنّه دفن فى النجف، له مؤلّفات كثيرة منها: فلاح السائل، والملهوف على قتلى الطفوف، والإقبال وغيرها.

3- (3) أعيان الشيعة: ج 8 ص 219؛ بحار الأنوار: ج 98 ص 317، المزار الكبير لابن المشـهدى: ص 496-519؛ مصباح الزائر: ص 198.

نعم هناک إشـکال یورده بعض علمائنا فی تاریخ الزیارة وهو سنة 252 ه - (1) حیث یقولون بأنّ هذا التاریخ لا یتّفق مطلقاً مع النسـبة إلی الإمام المنتظر الذی لم یکن مولوداً فی ذلک الوقت، حیث ولد سنة 256 ه - أو 255 ه -(2).

ولذلک ذهب معظمهم إلی أنّ هذه الزیارة تنتسب إلی الإمام الحسن العسکری ولیس إلی الإمام المهدی عج الله تعالی فرجه الشریف کما ذهب إلی ذلک التستری فی قاموس الرجال(3) ، بینما أصـرّ آخرون علی أنّ الزیارة منسوبة إلی الإمام المهدی، غایة ما فی الأمر أنّ هناک اشتباهاً فی کتابة التأریخ، فبدلاً من 262 ه - کُتِب 252 ه - کما صرّح بذلک المجلسی فی بحاره(4).

وقد مال الشـیخ محمد مهدی شمس الدین فی تحقیقه القیّم لهذه الزیارة إلی إمکانیة أن تکون الزیارة منسوبة إلی الإمام الحسن العسکری، حیث یقول: «والاـفتراض الثانی (النسـبة إلی الإمام الحسن العسـکری) أولی بالقبول من الافتراض الأوّل لولا الاعتراض علیه بأنّ مصـطلح الناحیة فی الثقافة الشـیعیة الإمامیة یعنی الإمام الثانی عشـر محمد بن الحسن علیه السـلام فی عصـر غیبته الصـغری، ولا نعلم أنّه استعمل للتعبیر عن غیره من الأئمة»(5).

وقد علّق سماحة الشیخ فوزی آل سیف فی کتابه «تساؤلات حول النهضة

1- (1) أنصار الحسین لشمس الدین: ص 170.

2- (2) أصول الکافی: ج 1 ص 514.

3- (3) قاموس الرجال للتستری: ج 8 ص 333-334.

4- (4) بحار الأنوار: ج 98 ص 274.

5- (5) أنصار الحسین لشمس الدین: ص 171-172.

الحسـينية» بقوله: «يظهر أنّ ما ذهب اليه المحقّق التسترى رحمه الله هو الأقرب بالرغم من أنّ لفظ الناحية اذا أُطلق فإنّه يقصد منه صاحب العصـر والزمان عج الله تعالى فرجه الشـريف، إلاّ أنّنا وجدنا فى كتب الحديث والمصادر الرجالية أيضاً التعبير عن غير الإمام الحجّة بلفظ الناحية، ممّا يسـهّل أمر حمل اللفظ على الاحتمال الثانى، وهو أنّها صادرة عن الإمام الحسن العسـكرى عليه السـلام، والذى كان أيضاً فى فترات معيّنة يتعامل مع شيعته بنحو غير مباشر، تمهيداً للمرحلة القادمة وتعويداً لهم على التعامل مع إمام مستور.

فنحن نرى أنّ هذا اللفظ قد اسـتعمل من قبل الإمام الجواد عليه السـلام للإشارة إلى أمر التشيّع فقد نقل الشيخ الطوسى عن داود أبى هاشم الجعفرى قال: قلت لأبى جعفر عليه السلام: ما تقول فى هشام بن الحكم؟ فقال: رحمه الله، ما كان أدبهُ عن هذه الناحية، أى المذهب... أو الإمام.

ونقل الكلينى رضـى الله عنه فى الكافى عن على بن عبد الغفار قال: «دخل العباسـيون على صالح بن وصيف، ودخل صالح بن على وغيره من المنحرفين عن هذه الناحية، على صالح بن وصـيف عندما حبس أبا محمد عليه السلام، فقال لهم صالح: وما أصنع! قد وكلّت به رجلين من أشـرّ من قـدرت عليه، فقـد صارا من العبادة والصـلاة والصـيام إلى أمر عظيم، فقلت لهما: ما فيه؟ فقالا: ما تقول فى رجل يصوم النهار ويقوم الليل كلّه...»

ويحتمل فيه أنّ المقصود هو انحرافه عن خطّ الإمامـة، أو عن الإمام الحسن العسـكرى عليه السـلام، وحين يتحـدّث الشـيخ الصـدوق عن إبراهيم بن محمد الهمدانى، يصفه بأنّه وكيل الناحية، مع أنّه لم يدرک الإمام الحجّة بل ولا العسكرى، وإنّما

هو صاحب الإمام الرضا والجواد والهادى عليهم السلام، فقد قال فى من لا يحضره الفقيه:«إبراهيم بن محمد الهمدانى، من أصحاب أبى الحسن الهادى عليه السلام، ووكيل الناحية، ثقة جليل، والطريق اليه حسن كالصحيح بإبراهيم بن هاشم» وأمّا العلّامة فى الخلاصة، فقد استعمل لفظ الناحية للدلالة على الأئمّة: الحجّة والعسكرى والهادى، فقال:«حمد بن على بن إبراهيم بن محمد الهمذانى - بالذال المعجمة - روى عن أبيه، عن جدّه، عن الرضا عليه السلام، وكان محمد وكيل الناحية الذى لا تختلف الشيعة فيه، وقد كان من أصحاب الجواد والهادى والعسكرى عليهم السلام، وكان وكيلاً لهم»(1).

وعلى هذا تكون زيارة الناحية المقدّسة منسوبة إلى الإمام الحادى عشر من أئمّة أهل البيت عليهم السلام ألا وهو أبو محمد الحسن العسكرى عليه السلام، وقد حوت هذه الزيارة على (63) اسماً من أصحاب الحسين و (17) اسماً من أهل بيته من غير الحسين عليه السلام ومسلم بن عقيل. وقد تحدّث العلماء عن الأسماء التى وردت فى هذه الزيارة، وهل يمكن أن تكون مرجعاً أساسيّاً فى قبال بقيّة المراجع الأساسية الأخرى؟

لقد ذهب الكثير من علمائنا إن لم يكن كلّهم، إلى أنّ هذه الزيارة لا يمكن ان تُعدّ مصدراً أساسيّاً، نعم يمكن أن تعدّ ضمن المصادر الثانوية أو العاضدة للمصادر الأوّلية إن صحّ التعبير.

والسبب الرئيسى فى ذلك يعود إلى احتواء سندها على شخصين مجهولين لا يعلم حالهما، فقد يكونان ممدوحين وقد يكونان مذمومين، ومع احتمال الذمّ

1- (1) من قضايا النهضة الحسينية للشيخ فوزى آل سيف: ج 1 ص 141.

يسقط الاعتبار الأساسى لهذه الزيارة(1) ، وبنفس المستوى الذى نتعامل فيه مع الادلة الأساسية.

أمّا فيما يتعلّق بالفقرة رقم (6) وهى الزيارة الرجبية

من الأدلـة التى يـذكرها العلمـاء، وهى: الزيـارة الرجبيـة، التى ورد أصل هـذه الزيارة فى كتاب الإقبال للسـيد ابن طاووس، ولها مع زيارة الناحية أوجه تشابه فى أسماء شهداء كربلاء وأوجه اختلاف.

ويرجّح المحقّقون، ومنهم الشـيخ محمد مهدى شـمس الدين رحمه الله أنّ هذه الزيارة من تأليفات السـيّد ابن طاووس نفسه حيث يقول: «ويبدو من هذه الكلمة أنّ السيّد ابن طاووس هو الذى ألّف هذه الزيارة، وإن لم يصرّح بذلك»(2).

ثمّ يقول فى نهاية بحثه: «ومن هنا فإنّنا لا نسـتطيع اعتبار الزيارة الرجبية مصدراً أساسياً فى بحثنا كما اعتبرنا الزيارة المنسوبة إلى الناحية، لا لشـكّنا فى وثاقة السيّد ابن طاووس رحمه الله، فهو فوق الشبهات، وإنّما لشكّنا فى دقة مصادره، ولعلمنا بتزايد التحريف والتصحيف فى هذه الفترة المتأخّرة، مع عدم العناية بالتحقيق والتدقيق».(3)

وعلى هذا الأساس لا يمكن أن تكون هذه الزيارة معتمداً علميّاً صحيحاً فى

1- (1) وللمزيد من الإيضاح حول هذه النقطة المهمّة راجع كتاب أنصار الحسين للعلّامة شمس الدين: ص 145 وما بعدها، ويقول عنها فى ص 72: «ونحن نعتبرها كوثيقة تاريخية فقط، لأنّ صفتها الدينية غير ثابتة» ولهذا لم يكتفِ بهذه الأسماء بل أضاف عليها.

2- (2) أنصار الحسين لشمس الدين: ص 175.

3- (3) المصدر السابق: ص 176.

معرفة عدد الشهداء فی واقعة الطفّ. نعم یمکن أن تکون مصدراً ثانویاً أو عاضداً للمصدر الأساسی، کما مرّ فی زیارة الناحیة.

تقدیرنا لعدد الشهداء

اشارة

حسب تتبّعنا وبـذلنا للجهد بمقدار ما تبلغه الاسـتطاعة، وجدنا أنّ عدد الأشـخاص الذین فازوا بالشـهادة بین یدی ریحانة رسول الله الإمام الحسـین بن علی علیه السلام یتراوح عددهم من (112) شهیداً إلی (145) شهیداً، وهی روایة الإمام الباقر علیه السلام(1) والتی نقلها لنا عمّار الـدهنی، متضـمّناً هـذا العدد الشـهداء من أهل البیت بما فیهم الحسـین علیه السـلام ومسـلم بن عقیل علیه السـلام. والیک بیان ما أجملناه.

التقدیر الأول

لا شکّ أنّ روایة الإمام الباقر علیه السلام المتقدّمة لا یمکن غضّ الطرف عنها بشکل کامل مع وجود مؤیّد لها کما سیأتیک، هذا من جهة، ومن جهـة أخری بعـد ما بیّناه فی مناقشـتنا لها فیما تقـدّم، حیث انتهینا إلی ضـرورة طرح ما یتیقّن الانحراف والتزویر فیه، وأخذ ما عداه وهو الصحیح الذی ورد عن الإمام.

یقول السـیّد سامی البـدری: «وفی ضوء ذلک کان من الضـروری التحقیق فی الروایـة التأریخیـة التی ظهرت فی هـذه الفترة الخطیرة، سواء کانت روایـة أبی مخنف أو روایـة غیره، وتجزئـة الروایة إلی أجزاء، واسـتبعاد الجزء الذی یلتقی مع الهدف الإعلامی للعباسـیّین إن لم یکن لدینا غیرها».(2)

1- (1) وإن کنّا نمیل إلی هذه الروایة وما ذکرته أکثر من الأرقام فی المصادر الأخری.

2- (2) الإمام الحسین الظلامة الفاتحة الهادیة، للسیّد سامی البدری، فقرة کتاب ابی مخنف حول مقتل الحسین.

ومن الجلى لكلّ ذى عينين أنّ رواية الإمام الباقر عليه السلام هى المصدر الموثوق من جهات متعدّدة، فوجود الإمام نفسه فى واقعة كربلاء ومشاهدة ما جرى يعطى لنا صورة عمّا حمله الإمام من معاناة فى تلك الحقبة بأدق تفاصيلها، حيث يقول: «قتل جدّى الحسين، ولى من العمر أربع سنوات، وإنّى لأذكر مقتله وما نالنا فى ذلك الوقت»(1). فضلاً عمّا ورد فيه من أحاديث رسول الله صلى الله عليه و آله لاسيّما رواية جابر وسلامه عليه. إضافة إلى كلّ ذلك ما سمعه الإمام من أبيه زين العابدين، ومن عمّته زينب والهاشميّين الذين حضروا الطفّ مع الحسين عليه السلام.

أولاً: وممّا يؤيّد ما جاء بهذه الرواية من أعداد، ما يلى:

رواية اليافعى فى مرآة الجنان حيث قال: «وقتل معه من أصحابه مبارزة (82)(2) ، فإذا أضفنا إلى هذا الرقم شهداء الحملة الأولى والبالغ عددهم (45) شهيداً وهو الوسط بين رقم (40) كما ذكره ابن شهر أشوب و (50) كما ذكرته بقيّة المصادر الأخرى، إضافة إلى شهداء أهل البيت أو ما يعبّر عنهم بشهداء بنى هاشم، والبالغ عددهم كما عند المشهور (17)، فيكون المجموع (144)، أو ما يقاربه.

82 + 45 + 17 144 Í وهى رواية الإمام الباقر أو ما يقاربها.

ثانياً: رواية الحصين بن عبد الرحمن، عن سعد بن عبيدة(3) ، حيث يذكر بأنّهم كانوا قريباً من مئة، وهو الرقم الذى قبله الشيخ شمس الدين رحمه الله، ورجّح أنّ

1- (1) طبقات ابن سعد: 5 ص 237-238.

2- (2) مرآة الجنان لليافعى: ج 1 ص 131.

3- (3) أنصار الحسين: ص 46.

هـذا الرقم بعد الحملة الأولى، وذلک لرمی عمر الطهوی السـهم علی الإمام الحسـین ووقوعه بین کتفیه، وهذا ما لـم یحصل إلاّ بعد نشوب الحرب وحصول الحملة الأولی، فاذا أضفنا إلی هذا الرقم وهو (100) أو ما یقاربها، عدد من استشهد فی الحملة الأولی والذی یتراوح بین (40) إلی (50) والمتوسط بینهما (45)، فستکون النتیجة (145).100 + 45 145 Í

ثالثا: روایـة الخوارزمی حیث یقول: «فصل الحسـین من مکّـة یوم الثلاثاء، یوم الترویـة، لثمان مضـین من ذی الحجّـة، ومعه اثنان وثمانون رجلاً من شیعته ومواليه وأهل بیته»(1).

نضـیف إلیه من التحق به وهو فی طریقه إلی کربلاء، وهـم قرابـة (21) رجلاً کما یؤکّـد ذلک محمد حسـین الأعلمی فی دائرة المعارف، ثمّ یذکر بعد ذلک أسماءهم(2).

إضافة إلی ما ذکره ابن طاووس من التحاق (32) رجلاً بمعسکر الحسین علیه السلام فی کربلاء قبیل أو فی أثناء المعرکة.(3)

1- (1) الخوارزمی فی مقتله: ج 1 ص 220.

2- (2) دائرة المعارف، محمد حسین الأعلمی: ج 23 ص 194.

3- (3) ویرفض الشـیخ محمد مهدی شمس الدین هذه الروایة التی ذکرها ابن طاووس لسببین رئیسیین هما:أنّ حدثاً من هذا القبیل یجب أن یلفت نظر الرواة الآخرین فینقلوه لنا لا أن یکتفی به شـخص.أنّ هذا العدد (32) عدد کبیر بالنسبة إلی عدد أنصار الحسین القلیل، فکان من الطبیعی أن تظهر آثار هـذه القوة، ومع عـدم ظهورها دلیل علی عدم وجود مثل هذا الالتحاق. نعم یفسـرها علی فرض صـحتها بأولئک الذین انحازوا ولـم یقاتلوا، مثل مسـروق بن وائل الحضـرمی وغیره.ویعلّق الشـیخ فوزی آل سیف علی ذلک بقوله: «ویمکن التعلیق علی ما ذکر آنفاً بعدم استبعاد هذا

وهناک بعض الأسماء لم یذکرها الأعلمی فی دائرة المعارف، وهی کالآتی:

1. الطرمّاح بن عدی، حیث التحق بالحسین علیه السلام منذ خروجه من مکّة، وبقی معه إلی أن استشهد بین یدیه، کما یؤکّد ذلک الشیخ الطوسی فی رجاله: «الطرماح بن عدی... من أصحاب الحسین، وهو فی غایة الجلالة والنبالة، ولولا إلاّ مکالماته مع معاویة التی أظلمت الدنیا فی عینیه لأجلها، وملازمته لسیّد الشهداء فی الطفّ إلی أن جرح وسقط بین القتلی، لکفاه شرفاً وجلالة».(1)

2. واضح الترکی، التحق مع جنادة وعمرو بن خالد ومجمع وابنه کما فی إبصار العین للسماوی.(2)

3. نافع بن هلال الجملی خرج من الکوفة ولقی الحسین فی الطریق، کما فی إبصار العین.(3)

4. سلمان بن مضارب البجلی، جاء مع ابن عمّه زهیر بن القین، کما فی

1- (1) تنقیح المقال: ج 2 ص 109.

2- (2) إبصار العین: ص 113.

3- (3) المصدر السابق: ص 114.

إبصار العين: ص 132.

5. مجمع بن زياد بن عمرو الجهنى، حيث تبع الحسين من منازل جهينة.(1)

6. عبّاد بن المهاجر بن أبى المهاجر الجهنى، تبع الحسين من منازل جهينة.(2)

7. عقبة بن الصلت الجهنى، تبع الحسين من منازل جهينة.(3)

فإذا حسبنا رواية الخوارزمى (82) وأضافنا إليها ما جاء فى رواية الأعلمى فيمن التحق بالحسين فى الطريق إلى كربلاء (21)، مضافاً إلى ما جاء فى روايـة ابن طاووس فيمن التحق بالحسـين ليلة العاشـر أو يومها (32) رجلاً زائـداً الأسـماء التى لم يذكرها الأعلمى وعددها (7)، فستكون النتيجة 142.

142 7 + 32 + 21 + 82 وهو العـدد الأقرب لرواية الإمام الباقر عليه السـلام، علماً أنّ الأعداد التى ذكرت فى الروايات لم تؤخذ بشـكل إحصائى دقيق، وإنّما كانت نتيجة النظر الذى ربّما تكون فيه زيادة أو نقيصة على الواقع.

التقدير الثانى

والذى يشـير من خلال أدلته إلى أنّ أصحاب الحسين الذين جاءوا معه إلى كربلاء بلغ عددهم (112) زادوا عن ذلک قليلاً أم نقصوا قليلاً، بسبب الأخذ أو عدم الأخذ باحتمال تصحيف الأسماء، خصوصاً فيما ذكر فى مقتل الفضيل بن

1- (1) إبصار العين: ص 152.

2- (2) إبصار العين: ص 152.

3- (3) إبصار العين: ص 152.

الزبير على أساس أنّه يمثّل مصـدراً تاريخياً مهمّاً فى هذا المجال لا يمكن لأىّ باحث عن شـهداء كربلاء أن يتغافل عنه مع علمه به، حيث ذكر فى مقتله اسمين نحن نرجّح أنّ العبارة التى تستقيم معهما ما تقدّم فى حديثنا عن هذا المقتل(1) ، وربّما يكون هناك تصحيف فيهما.

فتكون النتيجة مضافاً إلى ما ذكره الفضيل بن الزبير من عدد الناجين:

105 + 10 115 Í عدد أصحاب الحسين

التقدير الثالث

أن نحسب عدد الرؤوس المقطوعة والتى بلغت 78 رأساً، كما عند المجلسى وابن طاووس(2) ، ونضيف اليها عدد رؤوس الموالى الذين لم ترفع رؤوسـهم على الرماح، بسـبب العصبيـة القبليـة من جهـة، وعـدم الافتخار برفعها على الرماح كما يحصل عند رفع رؤوس الآخرين، مضافاً اليهم عدد ممّن تذكر الروايات أنه لم يقطع رأسه، وهم الحرّ بن يزيد وأخوه مصـعب وابنه بكير أو على وعبد الله الرضيع(3) ، مضافاً إلى كلّ ذلك عدد الناجين من معركة كربلاء، فستكون النتيجة كالتالى:

11210 + 4 + 20 + 78 عدد أصحاب الحسين عليه السلام

1- (1) فى بداية هذا البحث، وهو ما يتعلق بالفقرة (4) من الأدلة التى ذكرها العلماء.

2- (2) بحار الأنوار: ج 45 ص 62؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ص 60.

3- (3) للمزيد حول هذه الأسماء وما جرى عليها يراجع: إبصار العين: ص 169؛ وسيلة الدارين: ص 111 وص 192، واعتقد أن العشيرة كما أبت قطع رأس الحرّ أبت كذلك قطع رأس أخيه وولده، فالملاك فى الجميع واحد وإن كان فى الحر آكد لأنّه زعيمهم.

الشهيد مسلم بن عوسجة

اشارة

صحابی جلیل من أصحاب رسول الله صلی الله علیه و آله، ورکن من أرکان ثورة الحسین فی الکوفة مع مسلم بن عقیل وکذلک فی کربلاء، کان شریفاً سریّاً عابداً متنسّکاً کما تصفه الروایات(1) ، بذل نفسه الشریفة بسخاء من أجل الإسلام ومن أجل الدفاع عن حرمة الحسین علیه السلام، ولقد حفلت حیاة الرجل بالمواقف الکثیرة التی تحولت فیما بعد إلی أسوة یُحتذی بها، سواء أکانت هذه المواقف قبل کربلاء أم بعدها أم فیها، ولهذا نحن نحاول أن نسلّط الأضواء علیها لما لها من تأثیر کبیر علینا، من أجل أخذ العظة والعبرة والدرس منها، فی وقت عزّ فیه وجود القدوات، وکثر فیه المخادعون والدجّالون، وضاع فیه الصالح واختلط بالطالح، ولکن وقبل الدخول إلی هذه الشخصیة، نحاول أن نسلّط الأضواء علی ما قاله العلماء حول اسمه ونسبه وبعض صفاته.

1- (1) إبصار العین للسماوی: ص 81.

أقوال العلماء فيه

1. قال النمازى: «من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله، كان رجلاً شجاعاً عابداً متنسّكاً، جملة من قضاياه مع معقل مولى ابن زياد (فى الكوفة)».(1)

2. قال الشيخ السماوى: «هو مسلم بن عوسجة بن سعيد بن ثعلبة بن دودان ابن أسد بن خزيمة، أبو حجل الأسدى السعدى، كان رجلاً شريفاً سريّاً عابداً متنسّكاً».(2)

3. قال الزنجانى: «قال ابن سعد فى طبقاته: وكان صحابياً ممّن رأى رسول الله صلى الله عليه و آله، وروى عنه الشعبى، وكان فارساً شجاعاً، له ذكر فى المغازى والفتوحات الإسلامية».(3)

4. قال المامقانى: «جلالة الرجل وعدالته وقوّة إيمانه وشدّة تقواه ممّا تكلّ الأقلام عن تحرير ذلک، وتعجز الألسن عن تقريره، ولو لم يكن فى حقّه إلاّ ما تضمّنته زيارة الناحية المقدّسة لكفى».(4)

5. قال خير الدين الزركلى: «مسلم بن عوسجة الأسدى، بطل من أبطال الإسلام، شهد يوم أذربيجان وغيره من أيام الفتوحات، وكان مع الحسين بن على فقصده فى الكوفة، فقتل وهو يناضل عنه».(5)

1- (1) مستدركات علم الرجال: ج 7 ص 414 ح 14915.

2- (2) إبصار العين: ص 81.

3- (3) وسيلة الدارين: ص 187.

4- (4) تنقيع المقال: ج 3 ص 214.

5- (5) الأعلام للزركلى: ج 7 ص 222.

6. قال عبد الواحد المظفّر: «إذا كانت البطولة عنوان المحاسن ومجمع الكمالات ومحور الفضائل، فلا شكّ أنّ مسلم بن عوسجة الأسدى من أتمّ الرجال فى المحاسن التى يتفاخر بأقلّها عظماء الرجال، ويتمادح ببعضها الوجوه والاعيان»(1).

أسرة الشهيد

يرجع نسب الشـهيد، كما تقدّم إلى سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، ولم يذكر أهل النسب ولم يتعرّضوا إلى كيفية رجوع الشهيد إلى سعد بن ثعلبة، على أساس ان الفاصل الزمنى بين مسلم بن عوسجة وسعد بن ثعلبة كبير، ومن ثم فلابدّ أن يكون بينهما لا أقل من ثلاثة أو أربعـة أجـداد، ولكنّهم مع ذلک ذكروا أمراً آخر ربّما من خلاله نسـتطيع أن نميل إلى جهـة من أجداده هم الأقرب إلى أن يكون الشـهيد راجعاً إليهم.

فقد ذكر أهل الاختصاص لثعلبة هذا، الذى يرجع إليه الشـهيد الكربلائى، أبناء متعدّدين، فمن هؤلاء بنو غاضرة بن مالک بن ثعلبة، ولهؤلاء تنسب الغاضـريّات لأـنّهم سـكنوا فيها ومن هؤلاء بنو فقعس والـذين يرجعون إلى الحارث بن ثعلبة(2) ومن هؤلاء بنو ناشـرة، وهم الذين يرجعون إلى سعد بن ثعلبة(3) ، ومن هؤلاء بنو صيداوى،

وليس صيدا كما يذكر بعضهم، وإليهم يرجع قيس بن مسهر الصيداوى(4).

1- (1) الأمالى المنتخبة للشيخ عبد الواحد المظفر/ص 118.

2- (2) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر كحالة/ باب القاف/ص 925.

3- (3) نهاية الأرب للنويرى ج 2 /ص 350؛ معجم ما استعجم للبكرى ج 2 /ص 509.

4- (4) تنقيح المقال/ هامش صفحة 378؛ نهاية الأرب/ص 422.

الشهيد من بنى ناشرة

وبعـد الجهـد والعناء فى البحث وجـدت – وهذا ما أميل إليه – أنّ الشـهيد الكربلائى ربّما يكون من بنى ناشـرة، لأنّه يلتقى معهم فى جدّه الأكبر سـعد بن ثعلبة، بينما الأبناء الآخرون يختلفون معه حتى بجده سعد هذا، فبعضهم ينتمى إلى مالک بن ثعلبة، وبعضهم إلى الحارث وهكذا. فمن المرجّح أن يكون أجداد الشهيد هم بنى ناشرة دون غيرهم، والله أعلم بذلک فى الواقع.

وقد يسألنى أحدهم ويقول: ولم كل هذا العناء؟ أهناک ضرورة أن نعرف نسب الشهيد بكلّ دقّة؟ ألا تكفى الرجل مواقفه فى كربلاء؟! فلماذا كلّ ذلک؟

وأجيب: أنّ هناک حاجة نفسـية توجد عند كلّ من تتعلّق نفسه بالعظماء والكبراء والشخصـيّات الفذّة أن يعرف عنها كلّ صغيرة وكبيرة، حتى ولو كان هذا الصغير لا يعنى شيئاً عند الناس، ولكنّه يعنى شيئاً كبيراً عند من تعلّق بهذه الشخصية.

وربّما ولأجل ذلک نجد أنّ وسائل الإعلام تسلّط الأضواء فى بعض الأحايين على بعض الشخصيّات السياسية أو الفنيّة أو العلمية أو غيرها، حتى فى طريقة الأكل والنوم والسـفر واللبس وهكذا، بل حتى فى أدقّ التفاصيل التى تتعلّق بهم، وهذا كلّه ناتج من أنّ الإنسان عندما يحبّ أحداً ويتعلّق به، خصوصاً اذا تحوّل هذا الإنسان إلى قدوة له فى حياته، يحاول أن يعرف عنه كلّ شىء.

ومن هنا نقول إنّ معرفة النسب الحقيقى للشـهيد الكربلائى وتتبّعه على وجه الدقّة، هو مطلب طبيعى لمن أحبّ تلک الشخصية وتعلّق بها، ومن هنا فإنّ الدقّة

فی ذکر النسب خیر من أن نـذکر النسب ولکن لیس بشـکل دقیق، یعنی بعبارة أخری أنّ الإنسان یحبّ أن یری من یتعلّق قلبه به فعلاً، واقعاً ملموساً، مجسّـداً من خلال النسب والموقف، وهـذا ما نحاول أن نرکّز علیه فی بحثنا هذا، وسـیأتی فی الحدیث عن شـهداء آخرین من بنی أسد بن خزیمة، التعرّض إلی هذه الأسـرة العظیمة من جوانب أخری، تعمیماً للفائدة، ولکی یتحوّل هؤلاء الأفذاذ إلی قدوات فی کلّ أسـرة وفی کلّ قبیلة وفی کلّ بیت.

مواقفه أیام الفتح الإسلامی

عاش مسـلم بن عوسـجة مع رسول الله وشارک فی غزواته وحروبه التی خاضـها دفاعاً عن الإسـلام، ونشـراً للتوحیـد فی الأرض، وقد بذل مسلم بن عوسجة کلّ غالٍ ونفیس حیث تغرّب عن أهله وعن وطنه، وترک الدیار والأحبّة متسلّحاً بالإیمان بالله تعالی والحبّ للإسلام ولنبیّه الکریم، فکان مصـداقاً واضـحاً من مصادیق المؤمنین الذین جاهدوا وهاجروا وأنفقوا أموالهم وقدّموا أنفسـهم فی سبیل الله، وبقیت مواقف هـذا الرجـل منـاراً علی هـذا الطریق وعلی هـذا المنهـج، لم ینکـل ولم یهن ولم یضـعف رغم کلّ الفتن والأهواء والمصالـح والمخاوف والإغراءات، والتی کانت تعترض طریقه، وقد لزم فیها جادّة الحقّ متمسّکاً بمن رفع رسول الله یده حتی بان بیاض إبطیه، علی بن أبی طالب علیه السلام(1).

فکان الملتزم حقّاً بحقوق هذه الولایة، بحیث سـخّر نفسه لخدمة إمامه کما سـخّرها لخدمة نبیّه علیهما السـلام، ووقف إلی جانبه فی حروبه وقتاله للناکثین والقاسطین

1- (1) وذلک یوم غدیر خمّ، حیث قال: «من کنت مولاه فهذا علی مولاه».

والمارقين، وكان الإسـلام هو الـدافع الذى دفعه إلى كلّ ذلک. فقد آمن به الشـهيد الكربلائى أنّه الحلّ الوحيد لكلّ المشاكل التى يعيشـها الناس.

فتح سلق آذربيجان

ومن هنا كانت مشاركاته فى الفتوح الإسـلامية كثيرة، ولكن كان الأهمّ فيها هو فتحه «سلق أذربيجان» سنة عشرين مع حذيفة بن اليمان(1) ، تلک المعركة التى تقابل فيها مئات الآلاف من النصارى مع عدد لا يتجاوز الثلاثين ألفاً من المسـلمين، ولكنّها كانت تملک إرادة لا تقهر ولا يمكن ان تنكسر أبداً، إنّها إرادة هذا الإيمان المرتبط بالله القوى العزيز، الذى لا يخذل من يتمسّک به ولا يخيب من يلتجئ إليه.

دور مسلم بن عوسجة المتميز فى المعركة

ولقد كان لمسـلم بن عوسـجة فى هذه المعركة أثر بالغ فى نفوس المسلمين وإشعارهم بقوّتهم وضعف عدوّهم، وذلک حينما زحف اليهم مفرداً وحيداً لا يحمل معه إلاّ كما يحمل كلّ فارس - وهو ينزل إلى ساحة المعركة - سـلاحاً متمثّلاً بالسيف والدرع، ولكنّه سيف الإيمان ودرع الله الحصـينة، وعشق الشهادة، ومن ثم أراد هو أن يكون قدوة لهم فى عدم الخوف والثقة بالله، والشوق والمحبّة لما أعدّه الله لهم من نعمٍ وخيرات فى جنّة عرضـها السـموات والأرض، وفعلاً نزل مسـلم بن عوسـجة واذا به يقتل ستة او سبعة من المشركين الأقوياء، لأنّ الذى ينزل ويتحدّى الطرف الآخر فى البراز والقتال، لابدّ أن ينزل إليه الشجعان وأصحاب

1- (1) فتوح البلدان: ج 2 ص 324-325.

البـأس منهم، ولكن لاـ يـذكر التاريـخ كيف قتلهم؛ هل قتلهم مجتمعين، وهو قادر على ذلک، أم قتلهم واحـداً بعـد الآخر؟ وهو يمكن أن يكون كـذلک، وعلى كلا التقـديرين فلقد أبلى الرجل فى ذلک اليوم بلاءً حسـناً، حتى أنّ أعداءه فضـلاً عن أحبائه، شـهدوا له هذا الموقف وأُعجبوا به، وصاروا يذكرون لمن لم يحضر هذه المعركة، ومن ثم تحوّل الشهيد الكربلائى إلى قدوة ومثل عظيم يحتذى به.

شبث بن ربعى يشيد بدور مسلم بن عوسجة فى المعركة

فها هو شبث بن ربعى، وهو الذى كان قد عاش تلک المعركة وقاتل فيها، ينقل عنه الطبرى قوله: «لربّ موقف كريم له فى المسلمين».

وهذه نقطة مهمّة أنّ موقف مسـلم بن عوسـجة فى ذلک اليوم كان بدرجة من القوة وبدرجة من التأثير، بحيث أنّ شـبث بن ربعى يعترف بأنّ لمسـلمٍ من خلال موقفه هذا دَيناً فى عنق كلّ مسـلم ومسـلمة، وقوله أيضاً: «لقد رأيته فى سلق أذربيجان قد قتل ستة أو سبعة من المشركين قبل أن تلتام خيول المسلمين»(1).

وهنـا العظمـة، وهنـا الفخر، وهنا الاعتزاز بأن يتقـدّم قبل القوم ويقاتل قبل إخوانه المسـلمين، يا لها من شـجاعة ويا له من إيمان ويا له من عظيم شـرف كان يحمله مسـلم فى جنبات نفسه، ولا غرو أن يـذكر له هذا الموقف العظيم بعد أكثر من 1400 سنة، وسيبقى هذا الموقف مدوّياً فى عقول ونفوس المؤمنين الغيارى حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

1- (1) إبصار العين: ص 84.

درس كبير من حياة هذا الشهيد

وهنا وانا أتحدث عن هذا الموقف العظيم لمسلم بن عوسجة، خطرت فى ذهنى وربما خطرت فى أذهان البعض أنّ شبثاً الذى وقف يوم العاشر يقاتل الحسين، كان ممّن اشترك يومها فى ذلك الفتح الإسلامى، وكان قد وقف إلى جانب مسلم بن عوسجة لأنّه يقول: «لقد رأيته فى سلق أذربيجان» ممّا يدلل على أنّ الرجل كان معه يجاهد فى سبيل الله. وربّما ما كان آنذاك ليخطر فى ذهن شبث بن ربعى، وهو الذى كان وقتها يحارب من أجل الإسلام، أن سيأتى اليوم الذى سيحارب فيه الإسلام، بل ويقطع أعضاءه وينصر الباطل، لقاء الدنيا وبعض متعها، وخوفاً على نفسه من الموت، ولقد قرأت كتاب (الحسين يكتب قصّته الاخيرة)(1) وهو عبارة عن محاضرات للسيّد الشهيد الصدر، وتعليقة السيّد كاظم الحائرى، يقول فيه السيّد محمد باقر الصدر وهو خير ما قرأت فى هذا المجال، وكان + يتحدّث عن شبث بن ربعى: «هو الرجل الذى عاش مع جهاد أمير المؤمنين، الرجل الذى كان يعى مدلول حرب صفّين، وكان يدرک أنّ الإمام علياً فى حرب صفّين كان يمثّل رسول الله صلى الله عليه و آله فى غزوة بدر، ولكنّ الدنيا والانهيار النفسى، ولكنّ النفس الأخير خنقة فى البداية»(2).

ويقول أيضاً: «إنّ عبيد الله يبعث إليه ليقاتل الحسين ابن رسول الله، فماذا يكون العذر؟ ماذا يكون الجواب؟ لا يملک أن يعتذر بعذر من الأعذار إلاّ أن يقول: أنا مريض! كلمة باردة جداً على مستوى بروده النفسى، ثمّ يبعث اليه مرّة

1- (1) البحار: ج 44 ص 386.

2- (2) الحسين يكتب قصّته الأخيرة: ص 71-72.

أخرى ليقول له: المسألة جدّية، لا مرض فى هذا المجال؛ إمّا أن تكون معنا وإمّا أن تكون عدوّنا، وبمجرّد أن يتلقّى هذه الرسالة، ويعرف أنّ المسألة جدّية، يقوم شبث بن ربعى ويخرج متّجهاً إلى عبيد الله بن زياد وهو يقول: لبيک»(1).

وأعتقد أنّ هذا الدرس عظيم لنا جميعاً، بأن نحذر من الدنيا وأن لا ندعها تؤثّر فينا بالشكل الذى نتحلل بسبب هذا التأثير حتى من مسؤوليّاتنا أمام الله وأمام الناس وأمام هذا الدين العظيم، فهذا شبث بن ربعى لم يكن يوماً ملحداً، بل كان مسلماً، ولقد كان يصلّى ويقرأ القرآن، وكان يصوم ويجاهد فى سبيل الله، ومع كل ذلک لم يستطع أن يكبح جماح نفسه من السقوط فى تأثيرات الدنيا، فإذا كان الأمر كذلک، علينا أن لا نغترّ بما نصنع من عبادات؛ من صلاة وصيام وغيرهما؛ لأنّ الأهمّ من ذلک كلّه هو أن يكون لهذه العبادة أثر علينا، لأنّ المال والبنين والسلطة والجاه والكرسى وما شاكل ذلک، كلّها هى الاختبار الحقيقى لنجاحنا فى عباداتنا أو عدم نجاحنا، وها هو الموقف فى كربلاء يكشف عمّن جاهد وصلّى وقرأ القرآن على نحوٍ يريد به وجه الله، ومن قام بذلک ولم يكن مريداً به وجه الله.

فهنيئاً لمسلم بن عوسجة هذا الثبات وتعساً لشبث بن ربعى(2) ومن هم على شاكلته على هذا الخسران فى هذه الدنيا.

«وَ لَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلاً3» .

1- (1) المصدر السابق.

2- (2) تنقيح المقال للمامقانى: ج 2 ص 80؛ معجم رجال السيّد الخوئى: ج 10 شبث بن ربعى.

موقفه فی الکوفة

لقد کان مسلم بن عوسجة من الذین کانوا یترقّبون الأخبار، ویعیشون همَّ هذه الأمة فی کیفیة الخلاص من حکّامها وسلاطین الجور فیها، ولکنّهم کانوا صابرین مسلّمین لأمر إمامهم الذی دعاهم إلی التزام بیوتهم ما دام معاویة حیّاً، ولذلک تقول کتب السیر: إنّ شیعة أهل البیت، ومنهم الشهید مسلم بن عوسجة ما إن سمعوا بهلاک معاویة حتی کتبوا إلی الحسین علیه السلام من أجل المجیء لکی یقفوا إلی جانبه حتی آخر نفس من أجل إسقاط النظام الأموی الظالم الذی لم یرتضِ بکل الظلم الذی صنعهُ بهذه الأمة حتی ختم جرائمه شرّ ختمة، بتسلیطهم یزید الکفر والفجور علی رقاب هذه الأمة. فکتبوا إلی الحسین کتاباً، وکان بینهم حبیب وسلیمان بن صرد الخزاعی ومسلم بن عوسجة والمخلصون من شیعته، بعد أن اجتمعوا فی منزل سلیمان بن صرد الخزاعی کما یقول الشیخ المفید فی الارشاد(1) ، حیث جاء فیه:

«سلام علیک فإنّا نحرر الله الیک الذی لا إله إلاّ هو، أمّا بعد، فالحمد لله الذی قصم عدوک الجبار العتید الذی انتزی علی هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها حقّها، ألخ الکتاب».

ثمّ سرّحوا الکتاب مع عبد الله بن مسمع الهمدانی وعبد الله بن وال.

ومن هنا نفهم أنّ الشهید مسلم بن عوسجة کان متابعاً للأحداث السیاسیة عن کثب، ولقد کان الرجل صادقاً فی کلماته ولم ینطلق کما انطلق بعضهم

1- (1) الإرشاد للمفید: ج 2.

من مصالح خاصة وأهواء معيّنة أمثال شبث بن ربعی وحجّار بن أبجر وآخرين، ولذلک ثبت مسلم علی موقفه فی کلّ الحالات سواء أکانت فی الرخاء أم الشدّة، بل جسّدها علی ثری الطف بين يدی أبی عبد الله الحسين عليه السلام، وبعد أن دخل مسلم بن عقيل إلی الکوفة سفيراً عن الحسين عليه السلام ومستقرئاً للأحداث له هناک، تقول الرواية أنّ مسلم بن عوسجة کان من أوائل الذين التحقوا به، بل کان موضع سرّه ورکن ثورته وحرکته الـذی يعتمد عليه، وکان مسـلم بن عوسـجة من الذين تحرّکوا فی أخذ البيعة له من أهل الکوفة، وإنّ هذا لشـرف عظيم کبير حيث لم يعطِ عليه السـلام هذا الوسام إلاّ لجماعة محدودة کانت تعدّ بعدد الأصابع، وهناک نصّ يذکره الشيخ عباس القمّی فی کتابه نفس المهموم، يکشف عن عظيم منزلة الشهيد عند مسلم بن عقيل، حيث يقول: «مسلم بن عوسجة وکيل مسلم بن عقيل فی قبض الأموال وشراء وبيع الأسلحة وأخذ البيعة».

ولقـد کان الشـهيد عنـد حسن ظنّ موکّله فيه، فلقـد بالغ فی النصـيحة وأعطی غاية المجهود، وتفنّن فی الدفاع عن حوزة الدين، ولقد تبيّنت الأمور السالفـة فی عـدّة مواقف کان فی مقدّمتها اختيار مسـلم بن عقيل أن ينزل الکوفة عند دار مسـلم ابن عوسـجة، کما ينقل الطبری وابن کثير(1) وغيرهما.

وإن کـان هنـاک رأی آخر يقول إنّه نزل فی دار هـانی بن عروة، ورأی ثـالث يقول إنّه نزل فی دار المختـار، کما يـذهب إلی ذلک السـيّد عبد الرزاق المقرّم فی

1- (1) تاريخ ابن کثير: ج 8 ص 152.

كتابه مسلم بن عقيل(1) ، وآخرون.

وكـذلک حينما عقـد مسـلم بن عقيل له على ربع مذحـج وأسـد حينما أراد أن يواجه عبيـد الله بن زياد عندما دخل الكوفة، إضافة إلى عدم خروجه من الكوفة حتى آخر مرحلة من مراحل ثورة مسلم بن عقيل، ممّا يعنى أنّه كان إلى آخر اللحظات إلى جانبه مدافعاً عنه.

تنبيه حول قصة الجاسوس (معقل)

أودّ أن أشـير هنا إلى ما يذكره المؤرّخون حول قصّة الجاسوس الذى بعثه عبيد الله بن زياد إلى مسـلم بن عوسـجة فى مسجد الكوفة، وكيفية كشف الأمر بعـد ذلک من قبله وإخبار عبيد الله بن زياد. هذه القصّة التى وصـلت إلى درجة كبيرة من الشـهرة حتى أنّ الصـغير قبل الكبير سمعها أو قرأها.(2)

وقـد يرد فى ذهن كلّ من يسـمعها ويقرأها جملـة من الإشـكالات حول كيفيـة اختراق هذا الجاسوس لمسـلم بن عوسـجة، والذى حنّكته التجـارب والحروب والغزوات بهـذه السـهولة! ثمّ كيف يطلعه مباشـرة على مركز العمليـات إن صـح التعبير، بحيث يكشف القائـد الأكبر ومساعـديه وعملهم وكيفيـة إدارة الثورة فى داخـل الكوفـة؟! واذا كان هـذا الأمر يمكن أن نقبله أو نغضّ الطرف عنه مع مسـلم بن عوسـجة، فكيف بهانى بن عروة فضلاً عن الآخرين، وفضلاً عن سيّدهم ثقة الحسين مسلم بن عقيل عليه السلام؟

1- (1) كتاب مسلم بن عقيل للمقرّم: ص 80.

2- (2) تلخيص قصّة الجاسوس معقل، تاريخ الطبرى: ج 4 ص 270-272.

لا وجود لقصة الجاسوس

يـذهب بعض المحقّقين، وهـذا ما أميل اليه كثيراً، إلى أنّ هـذه القصّـة مختلقة لا وجود لها، وكان لواضـعها جملة من الفوائد التى يريد ان يجنيها بروايته هـذه، والتى أهمّها تصوير أهل البيت ومن ينتسب لهم بالبلاهـة، وعدم القدرة على إدارة كفّة البلاد والعباد، وأنّ بنى أمية هم أقدر الناس على ذلک؛ فمن جهة يريدون أن يستصـغروا أهل البيت وشـيعتهم ويقلّلوا من شأنهم، ومن جهة أخرى يرفعوا من شأن بنى أمية ويعظّموهم.

ولقـد حـاول بنو أميـة قبل ذلک مثل هـذه المحاولات مع على بن أبى طالب، وأنّه وإن كان رجلاً صالحاً ولكنّه غير قادر على إدارة الحروب وإدارة البلاد، ولـذا فالأفضل لهـذه الأمـة أن يكون عليها من هو قادر على ذلک، وهو معاويـة بن أبى سـفيان، وخير دليل على ذلک ما ذكره على بن أبى طالب نفسه فى خطبة له كما فى نهج البلاغة(1):

«أمّـا بعـد، فـإنّ الجهـاد بـاب من أبواب الله فتحه الله لخاصـة أوليائه إلى أن يقول: يا أشـباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال وعقول ربّات الحجال، لوددت أنّى لم أعرفكم معرفة والله جرت بذمّ وأعقبت سقماً، قاتلكم الله، لقد ملأتم قلبى قيحاً وشحنتم صدرى غيظاً وجرّعتمونى نغب التهمام أنفاساً، وأفسدتم علىّ رأيى بالعصيان والخذلان، حتى لقد قالت قريش إنّ ابن أبى طالب رجل شجاع

1- (1) نهج البلاغة: ج 1 ص 66-67.

ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم، وهل أحد منهم أشدّ لها مراساً وأقدم فيها مقاماً منّى؟! لقد نهضت فيهم وما بلغت العشرين، وها أنا ذا قد ذرّفت على الستّين، ولكن لا رأى لمن لا يطاع».

وها هو واقعنا الذى نعيش فيه خير دليل وشاهد على ما نذهب إليه، حيث يحاول العلمانيون بكلّ ما أوتوا من قوّة أن يصوّروا الإسلاميين ومن يعيشون خطّ الإسلام، بأنّهم أُناس فاشلون غير قادرين على إدارة الحياة السياسية، ومن ثم فالأولى لهم تسليم الأمر إليهم وجلوسهم فى المساجد للذكر والصلاة وقراءة القرآن، وهذا لعمرک تسقيط كبير ليس للإسلاميين فحسب، بل تسقيط للإسلام بأكمله، ويبدو أنّ من دسّ رواية الجاسوس معقل، أراد تحقيق نفس الأهداف والنوايا التى حملها بنو أميّة من خلال قريش مع على بن أبى طالب عليه السلام.

نعم، قد يعتذر بعضهم(1) عن هذا الاـختراق بقوله: إنّ التعرّف على مسلم بن عوسجة لا يحتاج إلى الكثير من العناء، اذ كان رحمه الله وجهاً شيعياً معروفاً، وقد كشف له معقل عن سرّ سهولة تعرّفه عليه حين قال: سمعت نفراً من الناس يقولون هذا رجل له علم بأهل هذا البيت، فأتيتک لتقبض هذا المال وتدلّنى على صاحبک فأبايعه، وإن شئت أخذت البيعة له قبل لقائه، وقد عبّر مسلم عن استيائه من ذلک، حيث قال: لقد ساءتنى معرفتک إيّاى بهذا الأمر قبل أن ينمى، مخافة هذا الطاغية، وأنّه ظلّ أيّاماً يجتمع معه فى بيته قبل طلب الإذن، وأنّه لم يأذن له حتى أخذ إذن مسلم بن عقيل، وأنّ معقلاً عرّفهم بأنّه مولى لذى الكلاع الحميرى فى الشام،

1- (1) كما يميل إلى ذلک الشيخ محمد جواد الطبسى فى كتابه الركب الحسينى: ج 3 ص 93-94.

والمعروف أنّ الموالى جلّهم لهم علاقة طيّبة بأهل البيت، ومن هنا جرى الذى جرى.

ولكن مع كلّ هـذا التخريـج، يبقى السؤال قائماً والإشـكال متوجّهاً أن يأتى هـذا الجاسوس فى مـدّة وجيزة من الزمن، وفى مرحلـة شـديد الحساسـية، واختراق الجميع بهذه الطريقة السـهلة البسـيطة، وهـم أصحاب التجربة الكبيرة، والذين سمعوا وعلموا وعرفوا أنّ الحرب خدعة، فلابدّ من أخذ الاحتياط كثيراً لذلك!

الخروج من الكوفة

يقول الشيخ السماوى فى إبصار العين(1) فى أنصار الحسين، «ثمّ إنّ مسلم ابن عوسجة، بعد أن قُبض على مسلم وهانى وقُتلا، اختفى مدّة، ثمّ فرّ بأهله إلى الحسين، فوافاه بكربلاء وفداه بنفسه».

وأغلب الظنّ أنّه اختفى عند قبيلته بنى أسد، لأنّهم كانوا أصحاب نفوذ وقوة، ثمّ تمكّن بعد ذلك من الخروج من الكوفة والوصول إلى كربلاء، حيث اللقاء بسـيد الشـهداء. وهناك من يذهب إلى أنّ مسـلم بن عوسـجة قد التحق بالحسين فى مكّة وهو لم يخرج بعد إلى العراق، وهذا يعنى - أو أنّ لازمه يعنى - أنّ مسلم بن عوسجة كان قد خرج من الكوفة قبل يوم 8 ذى الحجّة يوم شهادة مسلم بن عقيل، وهذا ما لا تساعد عليه القرائن، فإنّ كلّ المؤشّرات تؤكّد بقاء هذا الشهيد لحين اعتقال هانى بن عروة وشهادة مسلم بن عقيل عليه السلام، ممّا يرجّح أن يكون اللقاء قد تمّ فى كربلاء مع الحسين.

1- (1) إبصار العين: ص 82.

مسلم بن عوسجة يصحب معه زوجته وولده

وتنقل الروايات التى تتحدّث عن خروج مسلم بن عوسجة من الكوفة أنّه لم يكن قد خرج لوحده، بل كان قد صحب زوجته أمّ خلف وولده خلف معه، حيث كتب الشيخ ذبيح الله محلاتى، نقلاً عن عطاء الله الشافعى فى روضة الأحباب(1) «أنّ مسلماً حينما صرع وسمع خلف بمصرع أبيه، اندفع إلى ساحة المعركة، فاعترضه الحسين وأعلمه أنّه إن قتل فإنّ أمّه ستبقى بعده وحيدة، فأراد خلف الرجوع امتثالاً لأمر أبى عبد الله الحسين، واذا بأمّه تعترضه وهى تقول: بنى إختر نصرة ابن بنت نبيک على سلامة نفسک، أمّا اذا اخترت سلامتک فلن أرضى عنک ابداً. فبرز خلف وحمل عليهم وهو يسمع أمّه تناديه وتشجعه: أبشر يا ولدى، فإنّک ستسقى من ماء الكوثر. فقتل 30 رجلاً إلى أن سقط على أرض المعركة شهيداً صابراً محتسباً» وتقول الروايات أنّه لما سقط إلى الأرض أقبلوا إليه واحتزّوا رأسه ورموا به نحو أمّه، فأخذته أمّه واحتضنته ثمّ بكت وأبكت من كان معها، ثمّ أخذت أسيرة مع زينب وبنات رسول الله.

الشهيد فى كربلاء

ولقد وصل مسلم بن عوسجة إلى كربلاء والتقى بركب الحسين، وأغلب الظنّ أنّه كان بعد اليوم الثانى من المحرّم، يوم وصول الحسين إلى كربلاء. وهنا بدأت مرحلة جديدة فى حياة هذا الشهيد الكربلائى العظيم، حيث المواقف

1- (1) رياحين الشريعة، لذبيح الله محلاتى: ج 3 ص 305.

العظيمة وحيث التفانى فى الدفاع عن الإمام الحسين، معشوقهم الذى انتظروه كثيراً وتحمّلوا الكثير من أجل الوصول اليه. وصل مسلم بن عوسجة ليكون من ضمن اولئک الذين عناهم الحسين بقوله:

«إنى لم أجد أصحاباً خيراً من أصحابى» (1).

ويروى أبو مخنف فى مقتله «عن الضحّاک بن عبد الله المشرقى، أنّ الحسين خطب فى أصحابه ليلة العاشر من المحرّم قائلاً: «إنّ القوم يطلبوننى، ولو أصابونى لذهلوا عن طلب غيرى، وهذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً، ثمّ ليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتى»(2). فأجابه العباس بن على: لم نفعل ذلک؟ لنبقى بعدک؟ لا أرانا الله ذلک أبداً».

يقول أبو مخنف:

ثمّ قام مسلم بن عوسجة فقال للحسين: أنحن نخلّى عنک ولمّا تعذر إلى الله فى أداء حقک».

وهذه كلمة عظيمة أحببت أن أبيّنها قبل أن استرسل فى حديثه رضى الله عنه، فهو يقول بلسان حاله إنّ حقّ الحسين عليه السلام فى عنق كلّ مسلم ومسلمة، وهذا الحق لا يعنى معرفته فقط، وأنه ابن رسول الله وإمام منصوب من قبل الله تعالى، بل إنّ هذا ربّما عرفه كلّ من عاش مع الحسين، بل ينقل أنّ خولّى بن يزيد الأصبحى، حينما جاء برأس الحسين، جاء به وهو يقول لعبيد الله بن زياد:

1- (1) معالم المدرسين: ج 3 ص 90.

2- (2) أبو محنف: ص 109-110.

إملأ ركابى فضّةً أو ذَهَبا إنّى قَتلتُ السيّدَ المحجّبا(1)

قَتلتُ خَيرَ الناس أُمّاً وأبا

فلا تعنى مجرّد المعرفة النسبية بالحسين، وأنّه إمام معصوم ومنصوب من قبل الله أنّ الإنسان قد أدّى حقّه، بل إنّ حقّ الحسين كبير وعظيم بالدرجة التى لا يستطيع الإنسان أن يؤدّيه حتى يراق دمه فى سبيل الله من أجله، بل ومع ذلک يبقى يشکّ فى نفسه؛ هل أدّى حقّه أم لا؟ كما حصل مع شهيد من شهداء كربلاء، ألا وهو سعيد بن عبد الله الحنفى حينما سقط إلى الأرض وجاءه الحسين وأخذ رأسه، قال له: سيّدى يا بن رسول الله، أوفيت؟ إنّه لا يقطع مع كل الذى لاقاه أنّه قد أدّى حقّ الحسين عليه السلام وهكذا نرى مسلم بن عوسجة يقول للحسين: وبم نعتذر وماذا نقول إلى الله وإلى رسوله إذا قصّرنا فى أداء حقّک الواجب علينا، بأن ننصرک ونقف إلى جانبک حتى يسيل دمنا على الأرض.

وهذا درس عظيم علينا أن نتأمّله كثيراً ونحن نعيش ونقرأ ونسمع بواقعة كربلاء والحديث عن أصحاب الحسين عليه السلام، فلا نستكثر عملنا بعد ذلک مهما قدّمنا للحسين من خدمة ومن جهد فى سبيل تخليد مبادئ ثورته، بعد قول رسول الله له:

«يا حسين، إنّ لک فى الجنّة درجة لا تنالها إلاّ بالشهادة».

وهذا درس عظيم لنا جميعاً نستلهمه من حياة هذا الشهيد العظيم.

ثمّ يقول مسلم بن عوسجة رضى الله عنه بعد ذلک: «أما والله، لا أبرح حتى أطعن فى

1- (1) الشيخ السماوى، إبصار الحسين: ص 83؛ أبو محنف: ص 110.

صدورهم رمحی، وأضـربهم بسـیفی ما ثبت قائمه فی یدی، ولا أفارقک، ولو لـم یکن معی سـلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة دونک حتی أموت معک»(1).

وهذه أعلی درجات الولاء، بل إنّ الولاء قد تجسّد من خلال هذا الموقف، وبقیة المواقف الأخری العظیمة التی صنعها أبطال کربلاء.

محاولة مسلم بن عوسجة قتل شمر

وممّا ینقل أیضا، کما فی إبصار العین للشیخ السماوی: «أنّ مسلماً تمکّن فی وقت ما قبل واقعة کربلاء – یوم العاشر – أن یقتل شمر بن ذی الجوشن، وکان مسـلم رامیاً ماهراً قـد تعلّم الرمایـة وأتقنها فی الحروب السابقة، فرام مسـلم أن یرمیه، فالتفت إلی الحسـین لیأخذ منه الإذن قائلاً:

«سیّدی، إنّ الفاسق من أعداء الله وعظماء الجبّارین، وقد أمکن الله منه. فقال له الحسین:

«لا ترمه، فإنّی أکره أن أبدأهم بقتال» (2).

وهنا إشارة أولاً إلی هـذا اللعین، وإنّه کأمیره وسـیّده یزیـد بن معاویـة، فاسق فاجر متظاهر بالفسق، حیث وصـفه العبـد الصالح مسـلم بن عوسجة بأنّه الفاسق، وثانیاً وهو الأعظم فی هذا المقام، أنّ الحسین کان یرید السلم لا الحرب، ویرید الجنّة لهم لا النار، وحتی حینما قاتلوه واختاروا الحرب کان علیه السلام یبکی علیهم، لأنّه کان ینطلق من منطلق القرآن والذی کان یقول:

1- (1) إبصار العین/ص 73.

2- (2) الشیخ المفید الإرشاد: ص 233-234.

«كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ وَ هُوَ كُرْهٌ لَكُمْ 1» .

فلم يكن القتال أمراً محبّباً عند الله ولا عند رسوله، ومع أنّه أمر غير محبوب لما فيه من سفک للدماء وهدر للأموال، بل وتدمير للبلاد والعباد، نجد أنّ القرآن قد أمر المسلمين بأن يقاتلوا:

«وَ قاتِلُوهُمْ حَتّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ 2» .

فالحرب والقتال قد يلجأ اليه حتى الأنبياء ولكن لا عن رغبة بل إطفاءً للفتنة ودرءاً للمفسدة وحفظاً للدين والحقوق من الضياع، وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه و آله يبذل الجهد ويحاور ويناقش ويدافع بكلّ الوسائل المتوفّرة لديه حتى إذا رأى بأن لا مناص من الحرب عندها يأذن بالحرب ولكن وهو يقول:

«لا تقطعوا شجرة ولا تتبعوا مدبراً... الخ»(1).

وهكذا كان أمير المؤمنين، حيث بذل الجهود من أجل الصلح وحفظ دماء المسلمين وخصوصاً مع الخوارج، حيث وقف أمامهم بجيشه، وكان قادراً على القضاء عليهم بشكل كامل، فقال: أخرجوا لنا القاتل، وإذا بهم يقولون له: كلنّا قتله(2) ، فلم يجد بدّاً من أن يقاتلهم بعد أن عفا عنهم مرّات ومرّات، وهم يسرحون ويمرحون فی داخل الكوفة، فالحسين عليه السلام سار على هذا النهج القرآنی النبوی العلوی

1- (3) وسائل الشيعة: ج 15 ص 74.

2- (4) ابو مخنف.

الإسلامی، حیث کان کارهاً للقتال محبّاً للسلام متمنّیاً أنّ القوم یرجعون عن غیّهم، وکانت هذه هی أمنیة جمیع أصحاب أبی عبد الله الحسین، حیث کان الواحد بعد الآخر یخرج فیخطب ویعظ ویدعوهم إلی نصرة الحقّ، وأن یبتعدوا عن الحرب حیث کانوا یذکّرونهم بأنّهم ما زالوا جمیعاً أمّة واحدة، علی دین الإسلام، وأنّهم ما زالوا یقفون علی صعید واحد، ولکن إذا ما وقعت الحرب فإنّ الأرض التی سوف یقفون علیها سوف تختلف عن الأرض التی سوف یقف علیها المسلمون(1).

ومن هنا نجد أنّ الحسین یقول لمسلم بن عوسجة: «لا ترمه، إنّی أکره أن أبدأهم بقتال» لیرسلها کلمةً خالدة بقیت نهجاً لنا، وطریقاً تسیر علی وفقه کلّ الأجیال من أبناء هذه الأمّة، وهذا درس عظیم آخر نستلهمه من شهیدنا الکربلائی، لنسیر علیه ونجعله أمامنا مرشداً وهادیاً إلی الله وإلی صراط مستقیم.

شهادته

لم یقبل هذا الشهید العظیم أن یتأخّر عن اللقاء بالله ورسوله کثیراً، فقد کان شدید الشوق لنیل الشهادة بین یدی الحسین علیه السلام، فکان أول شهید من شهداء کربلاء.

یقول أبو مخنف: «لمّا التحم القتال حملت میمنة ابن سعد [والتی کان فیها عمر بن الحجّاج الزبیدی]، علی میسرة الحسین والتی کان فیها مسلم بن عوسجة، فقاتل مسلم بن عوسجة قتالاً شدیداً لم یسمع بمثله. [ما أعظم هذا الرجل وهو فی سنّ الشیخوخة]، فحمل علی القوم وهو یقول:

1- (1) ومن أراد المزید فالیرجع إلی خطبهم (رض) فی کتب المقاتل، کأبی مخنف والخوارزمی والمقرّم وغیرها.

إنْ تَسألوا عنّی فإنّی ذو لَبَدْ(1) و إنّ بَیتی فی ذُری بَنی أسَدْ

فمَنْ بَغانی حائِدٌ عن الرَشَدْ وکافرٌ بدِینِ جبّارٍ صَمَدْ

ولم یزل یقاتل ویضرب فیهم بسیفه حتی قتل منهم مقتلة عظیمة، ثمّ عطف علیه مسلم بن عبد الله الضبابی وعبد الرحمن بن أبی خشکارة البجلی، فاشترکا فی قتله، مع اشتراک هذین الفارسین - یقال: - وقعت لشدّة القتال غبرة عظیمة، فما انجلت الغبرة إلاّ ومسلم بن عوسجة صریع علی ثری الطف، فمشی إلیه الحسین وبه رمق، فقال له الحسین: رحمک الله یا مسلم، ثمّ قرأ قوله:

«فَمِنْهُمْ مَنْ قَضی نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ یَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِیلاً» (2)»(3).

وکان حبیب بن مظاهر إلی جانب الحسین فقال لمسلم وقد رأی شفتیه تتمتمان: یا أخی یا مسلم، لو لم أعلم أنّی فی الأثر لأحببت أن توصینی بجمیع ما أهمّک، فقال مسلم بن عوسجة وهو یلفظ أنفاسه الأخیرة: أوصیک بهذا - وأشار إلی الحسین علیه السلام - أن تموت دونه. إنّ الکلمات ربّما لا یمکن أن تعطی وتصوّر العظیم من المواقف، وهذا هو أحدها، فإنّ القلم تراه یکلّ، والید تقف، واللسان لا یتکلّم، وهو یری موقفاً عظیماً کهذا الموقف الذی وقفه فیه مسلم بن عوسجة فی حیاته وعند مماته. فهنیئاً لک یا مسلم بن عوسجة هذه الشهادة العظیمة بین یدی مولاک الحسین، جمعنا الله وإیاکم معه تحت ظلّ رحمته، وفی جنّته، إنّه أرحم الراحمین.

1- (1) معنی ذو لبد: الشعر المجتمع بین کتفی الأسد ولهذا یعبر عن الأسد بأنه ذو لبدة (لسان العرب مادة لبد).

2- (2) سورة الأحزاب، الآیة: 23.

3- (3) إبصار العین: 109.

الشهيد حنظلة بن سعد الشبامى

اشارة

بين يدى الشـهيد: أن من جملة الأمور التى ينبغى علينا أن نعيها ونحن نتكلّم عن شـهداء كربلاء، هى أنّ هذا الدين وهذا المذهب لم يُقدَّم إلينا على طبق من ذهب، بل سالت لأجله الدماء الكثيرة، والأرواح، وأُنفقت الأموال، وُضـحِّىَ لأجله بكلّ غالٍ ونفيس، وما إلى ذلک مما قد يطول ذكره، وتأريخنا مُلئ بهـذه الشواهد الكثيرة على ذلک، بل ربما واقعنا الذى نعيش فيه يؤكّد هذه الحقيقة التاريخية المهمّة(1) ، وصدق الشاعر حيث يقول:

الدهرُ آخره شبهٌ بأوّله ناسٌ كناسٍ وأيّامٌ كأيّام(2)

وقـد يسأل الإنسان، لماذا كلّ ذلک، وما الحكمـة فيه؟ فأقول إنّ اسـتذكار هـذه القيم والمعانى السامية، خصوصاً فيمن نتحدّث عنهم، - ألا وهم شهداء كربلاء الذين لم يكونوا فى يوم من الأيام يعيشون فى هامش الحياة بل كانوا من

1- (1) وهذا ما نشاهده على صـعيد الواقع متمثلاً بالهجمة الشرسة على الإسلام بشكل عام، وعلى مذهب أهل البيت عليه السلام بشكل خاص.

2- (2) البصائر والذخائر، لأبى حيّان التوحيدى.

الشخصيات الكبيرة، والمهمّة فی المجتمع وعلی کل الصُعُد(1) - سوف یَهَبُ الکائن البشری قیمةً وجودیةً جدیدة، تبعث فیه الأمل کلّما أدلهمت به الخطوب، وشطت به الدروب، فَیهبُّ من جدید للدفاع عن دینه أو وطنه أو عرضه أو ماله أو کرامته، حیث إنّ العاقل یعلم جیّداً أنّه لیس أکرم علی الله من أولئک العظماء، فإذا کان أولئک قد ضحّوا بکل ما یملکون، فلم لا یضحی هو بکل ما یملک، ومن ثم یکون ذلک دافعاً ممتازاً للتضحیة والفداء.

من هنا، ولأجل الأخذ والتزود من التأریخ وقیمه التی لا تخلو من الفوائد والعبر، دعینا إلی قراءة التاریخ والتفکّر فیه أکثر، یقول سبحانه وتعالی وهو یتحدث عن هذا الأمر بقوله:

«قُلْ سِیرُوا فِی الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَةُ الْمُکَذِّبِینَ 2» .

ولقد کانت کربلاء بحقٍّ وصدقٍ، واحدةً من أهمِّ الکنوز التاریخیة قیماً وعظةً وعبرةً، ومبادئ سامیة، ومعانی خالدة.

«رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَیْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضی نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ یَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِیلاً3» .

1- (1) لم أجد حسب تتبّعی واحداً من شهداء کربلاء، لا یملک وزناً أجتماعیاً أو علمیاً أو عسکریا أو جهادیاً مُمَّیزاً کما سیتبین ذلک بشکل واضح فی طیّات الحدیث عنهم (رض).

ومن أولئک الأفذاذ شـهيدنا حنظلة بن أسـعد الشبامی (رض)، وحتی نعيش أجواء هذه المعانی والمواقف الخالدة فی حياة هذا الشهيد، بل وحياة أسـرته، وبيئتهِ كما سـيأتينا، نحاول ان نسـلّط الأضواء علی ذلک من خلال هـذه السـطور، ولكن وقبل ان نلج فی الحديث عن حياته الشريفة، أود أن أشير إلی ما قاله العلماء فی حقّه.

أقوال العلماء فی الشهيد

1 – قال السـيد محسن الأمين: «حنظلة بن أسـعد بن شـبام بن عبد الله بن حاشد ابن همدان الهمدانی الشـبامی، أستشهد مع الحسين سنة 61 ه –، والهمدانی نسبةً إلی شبام، بوزن كتاب بطن من همدان»(1).

2 – قال أبو مخنف: «جاء حنظلة بن أسـعد الشـبامی إلی الحسين عليه السلام عند نزوله كربلاء، وكان الحسين عليه السلام يرسله إلی عمر بن سعد أيام المهادنة»(2).

3 – قال العلاّمـة المامقانی: «هو حنظلـة بن أسـعد بن جسم بن عبـد الله الهمـدانی الشـبامی، وما فی جملة من كتب الرجال منها: رجال الشـيخ رحمه الله من أبدال الشـبامی بالشامی يعتبر سـهو من قلم الناسخ أو قلمه قدس سره، فإنّ الرجل همدانی شبامی كوفی وليس بشامی وشبام هی من همدان»(3).

4 – قال الشيخ السماوی: «كان وجهاً من وجوه الشيعة، ذا الفصاحة والبلاغة،

1– (1) . أعيان الشيعة 6:258.

2– (2) . مقتل أبی مخنف: 119.

3– (3) . تنقيح المقال للعلامة المامقانی 4:401–402.

شجاعاً قارئاً للقرآن، وله ولد يدعى علياً له ذكر فى التأريخ»(1).

5 – قال المحقق الاسترابادى: «حنظلة بن أسعد الشبامى، وشبام طائفة فى الكوفة، منهم عبد الجبار بن العباس الشبامى من أهل الكوفة وهو من أصحاب الحسين بن على وقتل معه فى كربلاء».

الاختلاف فى اسم الشهيد ونسبه

ذكر أغلب من تحدث عن الشهيد الكربلائى أنّ اسمه كان «حنظلة بن أسعد الشبامى» نعم ورد فى رجال الشيخ الطوسى أسمٌ آخر وهو «أسعد بن حنظلة الشبامى»(2) ، وأغلب الظن أنه كان سهواً من قلمه الشريف كما احتمله السيد الأمين حيث قال: ولم يذكر المؤرخون فى أصحاب الحسين من اسمه أسعد بن حنظلة بل فيهم حنظلة بن أسعد الشبامى كما يأتى، وليس لحنظلة ولد اسمه أسعد بل له ولد اسمه على، فالظاهر أنه وقع اشتباه من الشيخ هنا حيث قلب حنظلة بن أسعد إلى أسعد بن حنظلة»(3).

وفى نفس هذا السياق تحدث العلامة المامقانى رحمة الله تعالى بقوله: «لم أقف فيه إلا على عدِّ الشيخ رحمهُ الله إيّاه فى رجاله من أصحاب الحسين عليه السلام، ولا يخفى أنّه ليس له ذكر فى شهداء الطف، ولا ابناً لحنظلة بن أسعد قتيل الطف – الآتى ذكره – لأنّ له إبناً يدعى: علياً، له ذكر فى التأريخ، ولا أباً لحنظلة ذاك: لأنّ

1- (1) . إبصار العين: 101.

2- (2) . رجال الشيخ الطوسى: 100.

3- (3) . أعيان الشيعة 6:258.

أباه أسعد بن جشم بن عبد الله بن شبام الهمدانی کما یأتی»(1).

وقد احتمل بعضهم اتحاد اسم الشهید حنظلة بن أسعد الشبامی مع اسم شهید آخر من شهداء الطف وهو «سعد بن حنظلة التمیمی»، کما أشار إلی ذلک الشیخ محمد مهدی شمس الدین رحمه الله فی کتابه القیّم أنصار الحسین حیث یقول: «سعد بن حنظلة التمیمی: ذکره ابن شهراشوب، وبحار الأنوار، وقد استظهر التستری فی قاموس الرجال: أنّ هذا هو حنظلة بن أسعد الشبامی المتقدم ذکره، واستدل بأنّ ابن شهراشوب لم یذکر حنظلة المتفق علیه وهو الشبامی، ونرجّح أنّ سعداً هذا غیر حنظلة ذاک لأنّ غیر ابن شهر آشوب قد ذکر سعداً وهو محمد بن أبی طالب الهاشمی فی مقتله کما نقل ذلک المجلسی فی البحار، وأنّ ذاک شبامی من عرب الجنوب، وهذا تمیمی من عرب الشمال، والتصحیف فی هذه الحالة بعید جداً»(2).

وأما نسبة الشهید إلی شبام فهو المشهور عند الفریقین، نعم نسبه بعضهم إلی الشیبانی(3) ، والی الشام کما أشار إلی ذلک السید التفریشی فی نقد الرجال بقوله: «حنظلة بن الاسعد الشامی»(4) ، وعلق القهبانی فی ذیل الترجمة بقوله: الشبامی - نسخة بدل، وفی نقدالرجال نقلاً عن رجال الشیخ، الشامی، وفی جامع الرواة نقلاً عن رجال الشیخ، الشامی، وفی بعض النسخ: أسعد الشبامی قبیلة فی الیمن من

1- (1) . تنقیح المقال 283:9.

2- (2) . أنصار الحسین للعلاّمة شمس الدین: 100.

3- (3) . أنصار الحسین للعلاّمة شمس الدین: 96.

4- (4) . نقد الرجال 175:2

همدان، ومثله فی الوسیط المخطوط من نسختنا.

والصحیح: الشبامی، بدلیل أنّ فی الیمن قبیلة باسم الشبامی ولا توجد قبیلة أو مکان فی الیمن باسم الشامی»(1).

معنی شبام: أمّا شبام التی ینتمی إلیها الشهید الکربلائی، وهی شبام حضرموت، أوکما یعبّر عنها «شیکاغوا الصحراء»، هی واحدة من أربع مدنٍ سُمِّیت بهذا الاسم (شبام)، وهی شبام کوکبان، وشبام سخیم، وشبام حضرموت، وشبام حراز(2).

وهذه المدینة یبدو أنّها تعود إلی القرن الرابع قبل المیلاد، ویرجع بعضهم أصلها إلی الملک شبام(3) ، وهو الذی أنشأها، کعاصمة اقتصادیة لمملکة حضرموت، وفعلاً کانت ملتقی القوافل التجاریة، حیث کانت تعجّ بالوان من المنتجات المهمة، وفی مختلف المجالات.

أمّا نفس کلمة شبام فلم یکن لها معنی مستقلّ کما یؤکّد علی ذلک علماء اللغة.

نعم، یذهب بعضهم إلی أنّ هذه الکلمة یعود معناها إلی شیاه، ومعناه الحّد(4) ، علی أساس أنّ هذه المدن کانت حدّاً لمدن الیمن القدیمة، کحضرموت.

1- (1) . تنقیح المقال 283:9.

2- (2) . معجم البلدان 318:3.

3- (3) . کتاب الإکلیل فی النسب للهمدان: 39.

4- (4) . معجم البلدان 318:3.

وهناک من یجعل أصل الکلمة یعود إلی (شبم) وهو البرد(1) ، وعلی کل التقادیر، فهی مدینة عربیة ترجع إلی همدان، وأنا أعتقد أن المهمّ لیس هذا، وإنّما المهمّ هو الذی جری وحصل لهذه المدینة حینما جاء الإسلام، حیث أخذت القبائل العربیة تفد علی رسول الله صلی الله علیه و آله بحفاوة کبیرة وإکبار، ومنها قبیلة شبام حیث أعلنت إسلامها وقبلها رسول الله صلی الله علیه و آله ودعا لهم، وبعث علیهم زیاد بن لبید البیاضی والیاً علیهم من قبله(2) ، فجاء هذا الصحابی الجلیل واتّخذ شبام عاصمة ومقرّاً له.

ومن هذه المدنیة انطلقت جملة من الثورات، کثورة عبد الله بن یحیی الکندی، سنة 128 ه -(3) ،علی الحکم الأموی الظالم، حیث استطاع ان یستولی علی الحکم فی قبا والمدینة سنة 130 ه -، ولکن الثورة لم تستمرّ، حیث قتل آخر المطاف(4) ، وهناک ثوارت أخری خرجت من هذه المدنیة سواء فی العصر الأموی أو العباسی ضد الظلم والظالمین.

دور قبیلة شبام فی صفین

لقد تمیّزت قبیلة شبام بدورٍ مُمیَّز جداً فی واقعة صفین، حیث قدموا الدماء رخیصة فی نصرة الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام، حتی ورد (وکما سیأتی بعد ذلک) فی کتب التأریخ، أنّ ما من بیت فی هذه القبیلة إلا وقدّم شهیداً أو أکثر فی صفین.

1- (1) . لسان العرب، مادّة شبم: 2189.

2- (2) . الإصابة رقم (2866).

3- (3) . نتف من تاریخ حضرموت 216:1.

4- (4) . نتف من تاریخ حضرموت 216:1.

يقول نصـر بن مزاحم فی کتابه «وقعـة صـفّین»، عن عمر قوله: «حـدّثنی عبد الله بن عاصم القائشـی قال: لمّا مرّ علیٌ بالثوریّین «یعنی ثوّار همدان» سـمع البکاء، فقال: ما هذه الأصوات؟ قیل هذا البکاء علی من قتل فی صـفّین فقال علی علیه السـلام أما إنّی أشهد لمن قتل صابراً محتسـباً بالشـهادة» ثمّ مرّ علی حیٍّ آخر من همدان، وهم الفائشـیون(1) فسـمع الأصوات فقال مثل ذلک، ثمَّ مرّ بالشـبامیین، فسـمع رنةً شدیدة وصوتاً مرتفعاً عالیاً، فخرج إلیه حرب بن شرحبیل الشبامی(2) ، فقال علیٌ: أیغلبکم نساؤکم، ألا تنهونهن عن هذا الصـیاح والرنین؟ قال: یا أمیر المؤمنین، لو کانت داراً أو دارین أو ثلاثاً قـدرنا علی ذلک، ولکن من هـذا الحی ثمانون ومائة قتیل، فلیس من دار إلا وفیها بکاء، أمّـا نحن معشـر الرجـال فإنـا لا نبکی، ولکن نفرح لهم ألا نفرح لهم بالشـهادة؟ فقال علی علیه السـلام: رحم الله قتلاکم وموتاکم. وأقبل یمشی معه وعلی راکب، فقال له علی علیه السلام: إرجع.

ووقف ثم قال له: ارجع، فإن مشی مثلک فتنة للوالی ومذلة للمؤمنین.

ثمّ مضی حتی مر بالناعطیین(3) ، فسمع رجلاً منهم یقال له عبد الرحمن بن

1- (1) . الفائشیون: بطن من همدان القحطانیة ینسبون إلی مالک بن زید بن کهلان (الإنساب: 418، الاشتقاق: 420).

2- (2) . یقول الشـیخ محمد تقی التستری: وکان من وجوه قومه، کان من التابعین وقوله له علیه السـلام فی خبره «أمّا نحن معاشـر الرجال فلا نبکی ونفرح لهم بالشهادة» یدلُّ علی حسن حاله نهج الصباغة فی شرح نهج البلاغة 312:10.

3- (3) . یقول ابن منظور: ناعـط: بطن من همـدان/ لسان العرب: ج 14 / مادة نعط وروی «حتی حـدّ بالناعطیین وجلهم عثمانیـة... فلما نظروا إلی علیّ علیه السلام أبلسوا» تاریخ الطبری 62:5.

مرثد(1) ، فقال: ما صنع علىّ والله شيئاً، ذهب ثمّ انصرف فى غير شىءٍ.

فلمّا نظر إليه أمير المؤمنين أبلس فقال علىّ عليه السلام: وجوه قوم ما رأوا الشام العام.

ثم قال لأصحابه: قوم فارقتهم آنفاً خير من هؤلاء، ثم قال:

أخوک الذى إن أحرضتک ملمة وليس أخوک بالذى إن تمنعت

من الدهر لم يبرح لثبک واجماً عليک أمور ظل يلحاک لائما

ثمّ مضى، فلم يزل يذكر الله حتى دخل الكوفة(2).

وواضح من خلال هذا النصّ، أنّ قبيلة الشـهيد الكربلائى كان لها دور كبيرٌ فى نصرة الإمام أمير المؤمنين فى صفّين، بل يستطيع الإنسان أن يقول، إنّ دورها كان متميّزاً، بحيث إنّ هـذا التميّز أدّى بهم إلى أن لا توجد دار من ديارهم إلاّ وفيها شـهيد وجريح فى معركة العز والكرامة، والذى بلغت النظر فى هذا النص هو قول حرب (حارب) بن شرحبيل الشبامى: أمّا نحن معاشر الرجال، فلا نبكى عليهم، ولكن نفرح لهم.

وهذا وعىٌ عميق وعظيم وبصـيرة ثاقبة، بحيث يصل الأمر إلى عدم البكاء على شهدائهم، وإن كان البكاء فى حدِّ ذاته جائزاً(3) ، ولكنه أراد ان يعبّر عن مدى ارتباطه هو وقومه بالإمام أمير المؤمنين، والإمام قدّر لهم هذه المزّية، ولهذا

1- (1) . عبد الرحمن بن مرثد (يزيد) من بنى عبدى من الناعطيين/ وقعة صفّين/ تحقيق عبد السلام هارون: 532.

2- (2) . وقعة صفّين لنصر بن مزاحم/ تحقيق عبد السلام هارون: 532.

3- (3) . علماً أنّ الإمام لم يمنع من البكاء وإنما منع ارتفاع الأصوات والرنين كما مرّ فى العبارة السابقة.

أجابه بقوله: «رحم الله قتلاكم وموتاكم».

وأنا أفهم من هـذه العبارة أنّ المقتول غير الميّت، فالـذى يسـقط فى ساحة المعركة بحدِّ سـيفٍ أو ضـربة رمح يُعبّر عنه بالمقتول، وأمّا الذى يموت حتف أنفه فهو الميت، فكأنّ الإمام يريـد أن يقول بأنّ من قاتلوا معى وقتلوا كانوا يملكون درجات عالية من البصـيرة والوعى، ومن لـم يقاتـل معى منكم ومـات حتف أنفه، كـان يحمل نفس هـذه البصـيرة وهـذا الوعى، وبعبارة أوجز إنّكم جميعاً من أهل البصائر، فرحم الله قتلاكم وموتاكم، حتى حينما انصـرف إلى غيرهم وجـد بعض من نصـره، ولكنّه كان يعيش ردة فعلٍ ملفتـة للنظر ناتجـة عن ضـعف إيمانٍ وتذبذبٍ فى المواقف، قال معلقاً بقوله: قوم فارقتهم آنفاً، خير من هؤلاء» ثمّ قال:

أخوك الذى إن أحرضَتْكَ مُلِمّةٌ وليسَ أخوكَ بالّذى إنْ تمنّعَتْ

من الدهر لم يَبْرح لثبك واجماً عليك أمور ظل يلحاك لائما

قرأت بخط أبى على البردانى قال: والمشارق بطن من همـدان، وهم أخوة شـبام الـذين قتل يوم صـفين ثمانمائـة، فلما رجع على إلى الكوفة سمع النوح عليهم فقال:

مررت على شبام فلم تجبنى وعز على مالقيت شبام

جدُّ الشهيد الكربلائى

من أجـداد الشـهيد الكربلائى القريبين إليه، إن لـم يكن هو جدّه الأول الذى يلقب ب – «شـبام» واسـمه سـعيد، وكنيته أبو دويلة، كما يؤكّد على ذلك عبد الرحمن ابن عبيد الله السقاف فى كتابه «معجم بلدان حضرموت» والذى ينصّ هو وغيره

بأن «شباماً كان ملكاً على ربيعة وتغلب، فقتله بضع الأراقم من بنى تغلب غدراً، فانتقم له ولده دويلة»(1).

ويقال إنّ «دويلة بن سعيد بن اسعد بن جشم الحاشدى الهمدانى الشبامى، شاعر جاهلى، سيد شبام ورئيسها وصاحب ايامها ووقائعها، كان أبوه ملكاً على ربيعة وعلى أحياء تغلب وقد قتلته غيلة نفر من حى الأراقم التغلبيين، فاستطار الشر بين هذا الحى من تغلب وبين قبيلة شبام الهمدانية، فسرعان ما هبَّ دويلة الشاعر منادياً بثارات أبيه المقتول، فأجابه قومه من شبام واجتمعت إليه خيول قبائل آخرى من همدان.

ورغم ان منازل اعدائه تبعد عن منازل قومه مسيرة شهر إلا أن ذلک لم يقعده عن طلب الثأر لأبيه وتحقق له النصر والظفر على حى الاراقم ونظم فى ذلک شعراً وصف فيه إعداده لتلک الحرب»(2).

والدليل على ما ذكرناه هو ما ذكره الهمدانى فى كتابه الإكليل فى أنساب اليمن وهو يتحدث عن أنساب اليمن وعن خصوص بنى جشم حيث يقول: «فأولد

1- (1) . كتاب الإكليل فى أنساب اليمن للهمدانى 108:10، معجم بلدان حضرموت للسقاف: 259.

2- (2) . بغية الطلب لابن النديم 4762:10.

أسعد بن جسم بن حاشد عبدَ الله، فأولد عبد الله شباماً، وهو سعيد، بطن من همدان»(1).

وكذلک ما ذكره الزنجانی فی وسيلة الدارين بقوله: «وقال ابن الكلبی: ولد أسعد بن جشم بن حاشد بن خيران بن نوف بن همدان عبد الله، وهو شبام، بطن من همدان، وشبام جبل سكنه بنو عبد الله منهم حنظلة بن أسعد الشبامی، الذی قتل مع الحسين عليه السلام»(2).

وبما أنّ نسب الشهيد الكربلائی هو «حنظلة بن أسعد بن شبام «سعيد» بن عبد الله بن أسعد بن حاشد الهمدانی»(3).

فمن ثم يكون دويلة الذی جمع هو وابوه تحتهما شبام وقبائل همدان هو من اعمام الشهيد الكربلائی، والذی يقول المهلهل فيه وفی أبيه:

والحارثان كلاهما ومحرِّقُ وأبو دويلة ملک آل شبام

من هنا نعرف عظمة شخصية هذا الشهيد، والسر فی إرسال الحسين عليه السلام له رسولاً من قبله إلی عمر بن سعد كما سيأتی، حيث كان ينتمی إلی البيوتات العريقة فی التأريخ، والتی كانت لها بصمات واضحة علی الحياة فی الجاهلية والإسلام، وربّما اتضحت الصورة أكثر، وسوف تتّضح أكثر فأكثر ونحن نتحدّث عن شهداء كربلاء، وستثبت تلک المقولة التی تنصّ علی أنّ أصحاب الحسين عليه السلام كانوا جميعاً من سادات المجتمع والمبرّزين فيه، ونحن نعلم كذلک أنّ للبيت والأسرة والعشيرة والبيئة التی يعيشها الإنسان تأثيراً كبيراً علی بناء شخصيته، ومن هنا نجد أنّ النبی صلی الله عليه و آله يوصينا بقوله: «تخيّروا لنطفكم فإنّ العرق دسّاس»، مما يعنی أنّ المتولّد والناشئ، من هذه الجهة سوف يكون عنده استعداد

1- (1) . الإكليل فی أنساب اليمن للهمدانی 108:10.

2- (2) . وسيلة الدارين: 134.

3- (3) . إبصار العين للسماوی: 101.

كبير للخير إن كان الآباء كذلک، واستعداد للشرّ إن كانوا عکس ذلک.

وهذا ما تجسّد واضحاً فی سیرة هذا الشهید، وغیره من الشهداء الذین کان لهم دور کبیر فی التأریخ، وأبوا إلاّ أن تکون لهم القدح المُعلَّی فی تأریخ الإسلام بشکل عام، وفی تأریخ أهل البیت علیهم السلام بشکل خاصّ، وهاهی مواقف شبام فی حروب علیّ علیه السلام واضحةٌ، فلیس غریباً أن یقف الشهید الکربلائی هذا الموقف الذی هو امتداد لمواقف قومه واسرته، وهذا ما سوف نشیر إلیه ونحن نتحدّث عن مواقفه فی کربلاء.

ولد الشهید الکربلائی

لقد تحدّث الکثیر من العلماء عن الشهید الکربلائی وذکروا أنّ له ولداً یسمی «علیاً»، یقول الشیخ السماوی: «وله ولد یدعی علی له ذکر فی التأریخ»(1).

ولئن أغفل التأریخ غفلةً أو تغافلاً أخبار هذا الولد ومآثره الجلیلة تبعاً لأبیه رضی الله عنه، فلقد أبت الحقائق ان تختفی بالکامل مهما بذل الظالمون والمبطلون الجهود من أجل طمسها واخفاء معالمها، ولقد کانت واحدة من هذه المآثر الجلیلة هی تمدُّ العلماء له راویاً ثقةً یروی عنه الخاصة والعام.

ولد الشهید یروی خطبة زهیر بن القین

روی أبو مخنف عن علی بن حنظلة بن أسعد الشبامی عن کثیر بن عبد الله الشعبی قال: «لما زحفنا قبل الحسین علیه السلام خرج إلینا زهیر بن القین علی فرسٍ له

1- (1) . إبصار العین: ص 101.

ذنوب، وهو شاک فی السلاح، فقال: یا أهل الکوفة، نذار لکم من عذاب الله، نذار لکم إنّ حقاً علی المسلم نصیحة أخیه المسلم، ونحن الآن أخوة علی دین واحد وملّة واحدة ما لم یقع بیننا وبینکم السیف، فإذا وقع السیف انقطعت العصمة، وکنا أمة وکنتم أمة، إنّ الله ابتلانا وإیّاکم بذریة نبیه محمد علیهما السلام لینظر ما نحن وانتم عاملون، إنّا ندعوکم إلی نصرهم وخذلان الطاغیة عبید الله بن زیاد، فإنکم لا تدرکون منهما إلا سوء عمل سلطانهما کله، إنّهما یسملان أعینکم ویقطعان أیدیکم وأرجلکم، ویمثلان بکم، ویرفعانکم علی جذوع النخل، ویقتّلان أماثلکم وقراءکم، أمثال حجر بن عدی واصحابه وهانئ بن عروة واشباهه، قال فسبوه وأثنوا علی عبید الله بن زیاد وابیه وقالوا: والله لا نبرح حتی نقتل صاحبک ومن معه، أو نبعث به وبأصحابه إلی الأمیر فقال لهم زهیر: عباد الله ولد فاطمة علیها السلام أحقّ بالودّ والنصر من ابن سمیة، فإن لم تنصروهم فأعیذکم بالله ان تقتلوهم، فخلوا بین هذا الرجل وبین یزید، فلعمری إنّه لیرضی من طاعتکم بدون قتل الحسین علیه السلام، قال: فرماه شمر بسهم وقال له: أسکت أسکت الله نأمتک، فقد أبرمتنا بکثرة کلامک، فقال زهیر: یابن البوال علی عقبیه، ما إیّاک أخاطب أنّما أنت بهیمة، والله ما أظنک تحکم من کتاب الله آیتین، فأبشر بالخزی یوم القیامة والعذاب الألیم، فقال له شمر: إن الله قاتلک وصاحبک عن ساعة، قال زهیر: أفبالموت تخوفنی؟ والله للموت معه أحب الیّ من الخلد معکم، قال: ثم أقبل علی الناس رافعاً صوته: وصاح بهم: عباد الله لا یغرنکم هذا الجلف الجافی وأشباهه، فوالله لا تنال شفاعة محمد قوماً هرقوا دماء ذریته وأهل بیته، وقتلوا من نصرهم

وذبّ عن حريمهم قال فناداه رجل من خلفه: يا زهير إنّ أبا عبـد الله يقول لک: أقبل فلعمری لئن کان مؤمن آل فرعون نصـح لقومه وأبلغ فی الدعاء، لقد نصحت وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ، فذهب اليهم»(1).

شبهة أن الحسين عليه السلام لم يقتل والقاء شبهه على الشهيد حنظلة

لقـد وردت فی بعض المصادر «کما سنشـير إلی ذلک» بعض الروايات والکلمات التی زعمت أنّ الحسـين عليه السـلام لـم يقتل وأنّه ألُقی شبهه علی الشهيد حنظلة بن أسعد الشبامی (رض)، وعليه فالحسين لا يزال حياً.

وقد اعتمدوا فی دعواهم وزعمهم هذا علی مجموعة من الأدلة الواهية (کما سنبين ذلک فی مقام الردّ عليها)، والادلة هی کما يلی:

1 – قول الامام الصادق: «حنظلة ففدی کاسمه لأنه فدی مولانا الحسين بنفسه ففداه مولاه بالضد، والقتل والدّم واقع بالضدّ»(2).

قول الله سبحانه وتعالی:

«وَ لَنْ يَجْعَلَ اللّهُ لِلْکافِرِينَ عَلَی الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً3» .

حيث فهموا من هـذه الآيـة الکريمـة أو هکذا أرادوا أن يفهموها ويفهموها إن صح التعبير، أنّ الله آلی علی نفسه وجزم بشـکل قاطع أن لا يسلّط کافرا علی

1- (1) . تاريخ الطبری 3:319-320.

2- (2) . رواهـا الـدکتور الطريحی فی طيّـات بحثه حول «الحسـين بين التأليه والتشويه» والـذی القاه فی قاعـة خاتم الأنبياء فی الحضـرة الحسينية فی 17 سنة 2010.

مؤمن فينتهک حرمته، ويستبيح دمه ولاشک ولاريب أن يزيد مشمول بهذه الآية الكريمة، حيث أعلن كفره أمام الناس بقوله:

لعبت هاشم بالملک فلا خبر جاء ولا وحی نزل(1)

والحسين عليه السلام فی نفس الوقت كان يمثل الإيمان فی أعلی درجاته وأبعاده واتجاهاته، فكيف يمكن أن يسلّط يزيد عليه، فينتهک حرمته، ويستبيح دمه، ولأجل ذلک جری عليه ما جری علی عيسی بن مريم عليه السلام، حيث رفعه الله عز وجل إليه ولم يجعل لليهود عليه سبيلا، والحسين ليس أهون عند الله من السيد المسيح لاسيما إذا كان الملاک فيهما واحداً.

3 - قوله تعالی:«وَ فَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ 2» حيث رفع الله سبحانه وتعالی - كرامة لأبراهيم عليه السلام واسماعيل - الذبح عن اسماعيل وعوّضه عن ذلک الذبح بكبش عظيم، ومحمد عليهما السلام وولده الحسين عليه السلام، أعظم كرامة ومنزلة وقدراً من إبراهيم واسماعيل عليه السلام، فما جری هناک لاشک سوف يجری هنا.

ولقد أشار إلی ما ذكرناه بشكل واضح وصريح سرور بن القاسم الطبرانی(2)

1- (1) . اللهوف فی قتلی الطفوف: 180.

2- (3) . هو سرور بن القاسم الطبرانی أبو سعيد الملقب بالميمون شيخ العلويين فی اللاذقيّة، ورئيس الطريقة المعروفة عندهم بالجنبلائية، ولد فی طبريا وإليها نسبته وانتقل إلی حلب فتفقه بفقه العلويين أصحاب الخصيبی والجنبلائی، وصنّف كتاباً فی مذهبهم، ثم رحل إلی اللاذقية والتف حوله من فيها منهم واستمر إلی ان توفی ودفن بها علی شاطئ البحر فی مسجد الشعرانی. بحوث فی الملل والنحل 8:421 جعفر السبحانی.

وهو يتحدث عن يوم عاشوراء: «وهو اليوم الذى روت فيه العامة وظاهرية الشيعة وزعمت أنّ فيه مقتل مولانا الحسين منه السلام تعالى الله عما يقول الظالمون المفترون ويظنه الملحدون علواً كبير، وذلک أنّ يزيد بن معاوية لعنه الله أمر شمر ابن ذى الجوشن الضبابى لعنه الله بعد مسير مولانا الحسين منه السلام من المدينة إلى الكوفة، فسار إليه بالجيش وكانت الواقعة بكربلاء على شاطئ العلقمى، وما جرى من القتل والسبى وتسيير الرأس إلى يزيد بن معاوية لعنه الله تعالى واظهر مولانا الحسين منه السلام الغيبة فيه جلّ من لا يغيب والقى شبهه على حنظلة بن اسعد الشبامى، وكانت سيرته تقارب سيرة السيد المسيح على ذكره السلام وما أظهره من القتل والصلب، وكذلک اعتقدت كافة العامة من المسلمين وظاهرية الشيعة أنّ القتل صحيح، وطابقوا النصارى فى القول، فأوقع الله فيهم الحيرة والشک، وقد أخبر الله سبحانه فى كتابه عن قوله:

«وَ لَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلاً وَ لَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ 1» .

ثم قال ردّاً عليهم وعلى كافتهم:

«وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ 2» .

لأنّ سيّدنا الحسين منه السلام هو المسيح والمسيح هو الحسين، والاسماء من آدم فى النبوة والرسالة والإمامة إلى القائم على ذكره السلام، أشخاص السيد محمد منه السلام واسماؤه، وكذلک ظهر فى القبة المحمدية بالخمسة الأسماء،

بمحمد وفاطمة والحسن والحسين ومحسن والخمسة محمد، وكان الحسين شخصاً من اشخاص السيد محمود، وقال أبو عبد الله الخصيبى شرّف الله مقامه فى رسالته: وشاء المعنى ان يظهر بغير الصورة المرئية وهى الانزع البطين أزال الحسين وظهر كمثل صورته وكان الميم فى ذلک الوقت هو الحسين منه السلام، ثم قال أزال الحسن وهو المعنى للحسين وظهر بمثل صورته وكان الميم على بن الحسين منه السلام والسيد الحسين على ذكره السلام على ما قدمت هوالسيد المسيح وهو داخل فى عدد الأسماء التى هى الإسم(1).

وقد أشار الخصيبى(2) إلى هذا المعنى كاملاً فى ديوانه فى أكثر من قصيدة

منها:

سلام على أرض الحسين وحضرتهْ سلام على أرواح أنوار فطرتهْ

سلام على النور المضىء بكربلا بدار سلام الله فى جنب جيرتهْ

سلام على من عظمّ الله قدره ورفّعَه فى القدس معْ خير خيرتهْ

بموضع معراج النبى محمد وبقعة موسى والمسيح وربوتهْ

وبقعه موسى والمسيح وربوتهِ

1- (1) جزء من بحث القاه الدكتور الطريحى فى قاعة خاتم الأنبياء فى الحضرة الحسينية تحت عنوان «الحسين بين التأليه والتشويه» فى 17 سنة 2010 م.

2- (2) . ترجمة (الحسين بن حمدان)قال النجاشى: «الحسين بن حمدان الخصيبى (الحصينى) الجنبلائى، أبو عبد الله، كان فاسد المذهب، له كتب، منها: كتاب الأخوان، كتاب المسائل، كتاب تاريخ الأئمة، كتاب الرسالة تخليط» وقال الشيخ: «الحسين بن حمدان بن الخصيب، له كتاب أسماء النبى صلى الله عليه و آله والأئمة عليهم السلام» وقال ابن الغضائرى: «كذّاب فاسد المذهب، صاحب مقالة ملعونة لا يلتفت إليه» وقال ابن داود: «مات فى شهر ربيع الأول سنة 358 ه -». معجم رجال الحديث للسيد الخوئى 6:3381.

سلام علی من حجّب الله شخصه واظهر للاعداء شبهاً کصورتهْ

کعیسی وهُوْ عیسی ولا فرق بینهم ولاشک فیه انه من سریرتهْ

وقد ظن أهل الشک والزیغ أنهم یرونه مشهوراً بأحسن شهرتهْ

وقالوا قتلناه وما کان قتله ولا صلبوه بل شبیهاً لرؤیتهْ

کذاک حسیناً شبهّوه بکربلا کما شبهوا عیسی سواءً کسیرتهْ

وحاشا حسیناً ابن بنت محمد ضیاءً علیّاً نوره وسط غرَّتهْ

من السیف ان یصدا به أو یناله وحاشاه ان یدعی قتیلاً بحسرتهْ (1)

ویقول فی موضع آخر:

وباکیاً یبکی علی ربه

لستُ بحمد الله من حزبهِ وکلما ناحت له خلّة

علی الذی فرّط فی جنبهِ یبکی علی المقتول فی کربلا

لا خفف الله عن کربهِ معتذراً من سوءِ أفعاله

وغدره أعظم من ذنبهِ قلت لا تبک علی ذاک الذی

لم تطمع الأعداء فی غلبهِ ظنوا ظنونا کلها باطل

من قتله کان ومن سلبهِ وهکذا عیسی جری أمره

وما رواه القوم من صلبهِ ولم یکن قتلاً ولا صلبةً

لکنه شُبّه فی لزبهِ والقتل والصلب علی جانٍ

بارزٍ یا بؤساه فی حربهِ فإنّ جهلتم ویلکم شخصه

فمن نفیل جا ومن لذ بهومن صهّاک ثم من حنتم

زوجة خطّابٍ وفی حقبهِ

1- (1) . ديوان الخصيبى: 65-66.

واسمه أبليس لا غيره

فی سالف الدهر وفی حقبهِ فجوّدوا یا أخوتی لعنه

جود الخصیبی علی سَبَّهِ (1)

ویقول صاحب کتاب «الهفت الشریف» فیما یزعمون أنّه للمفضِّل بن عمر الجعفی: فی الباب الأربعین: قال المفضل: «أخبرنی یا مولای، عن قصة الحسین کیف اشتبه علی الناس قتله وذبحه کما اشتبه علی من کان قبلهم فی قتل المسیح؟

قال الصادق: یا مفضل هذا سر من أسرار الله أشکله علی الناس فعرفوه خاصة أولیائه وعباده المؤمنون المختصون من خلقه... إنّ الإمام یدخل فی الإبدان طوعاً وکرهاً ویخرج منها إذا شاء طوعاً وکرها کما ینزع أحدکم جبته وقمیصه بلا تکلف ولا ریب، فلما اجتمعوا علی الحسین علیه السلام لیذبحوه، خرج من بدنه ورفعه الله إلیه، ومنع الأعداء منه، وقد سخط سخطة جبار عنید، ولا تقوم بعظمته السموات والأرض والجبال، انه قادر سبحانه ان یعاجلهم العذاب، ولکنه حلیم ذو بأس لا یخشی القوة، ولا خلف لوعده، ولا معقب لحکمه کما وصف سبحانه، انه یقول ما یشاء ویظهر فی حجاب ما یشاء، وإنما یعجل من یخاف الفوت.

فاما الله إذا أراد ان یخلق شیئاً یقول له کن فیکون، فإنّه تعالی لا تعجل العقوبة وان الحسین لمّا خرج إلی العراق وکان الله محتجباً به وصار لا ینزل منزلاً صلوات الله علیه إلا ویأتیه جبرئیل فیحدثه حتی إذا کان الیوم الذی اجتمعت فیه العساکر علیه واصطفت الخیول لدیه وقام الحرب، حینئذٍ دعا مولانا الحسین جبرئیل، وقال: یا أخی من أنا؟ قال: أنت الله لا إله إلاّ هو الحی القیوم

1- (1) . دیوان الخصیبی: 85

والمميت والمحيي، انت الـذى تـأمر السـماء فتطيعک والأرض فتنتهى لامرک والجبال فتجيبک والبحار فتسارع إلى طاعتک وانت الـذى لا يصل اليک كيد كائد ولا ضرر ضار.

قال الحسين: يا جبرئيل. قال جبرئيل: لبيک يا مولاى قال الحسين: أفترى هذا الخلق المنكوس تحدثهم انفسهم أن يقتلوا سيدهم لضعفهم، ولكنهم لن يصلوا إلى ذلک، ولا إلى احد من أولياء الله، كما أنهم لن يصلوا إلى عيسى والى أمير المؤمنين على، ولكنهم عملوا ذلک ليحل عليهم العذاب بعد الحجة والبيان.

قال الحسين: يا جبرئيل انطلق إلى هذا الملعون الضال الجاحد المنكوس، وقل له: من تريد ان تحارب؟ قال فانطلق جبرئيل فى صورة رجل غريب مجهول، فدخل على عمر بن سعد وهو جالس على كرسيه بين قواده وحراسه وأبوابه، فخرق صفوفهم حتى وصل إليه ووقف بين يديه.

فلما نظر إليه عمر بن سـعد ارتاب منه، وارتعب وقال له: من أنت؟ قال جبرئيل: أنا عبـد من عبيـد الله جئت أسألک عمن تريـد ان تحارب؟ قال: أريد ان أحارب الحسين بن على، وهذا كتاب عبيد الله بن زياد يأمرنى فيه أن أقتل الحسين بن على وأوجه إليه رأسه واعتزل العسكر.

فقال له: ويحک تقتل رب العالمين وإله الأولين والآخرين وخالق السموات والأرض وما بينهما»(1).

1- (1) . كتاب الهفت الشريف المزعوم للمفضل بن عمر الجعفى: 96-98. تحقيق وتقديم د. مصطفى غالب دار الأندلس - بيروت.

ويقول فى موضع آخر: «وكان الحسين بن على أكرم على الله من أن يذيقه الحديد على أيدى الكفرة، وحاشا أن يذيقه حرّ الحديد، وان عند الله من لطف التدبير ما يتلطف بأوليائه، وينقذهم من أهل عداوته، ويهلك أعداءه وأعداء أوليائه بالحجة البالغة، وأنه عز وجل عادل لا يجور، وحليم لا يميل، ولقد فعل الله سبحانه بالحسين فعلة لم يفعلها بالمسيح ولا بزكريا ولا بيحيى ولا بأحد من الأنبياء.

وأن الذبح فى الظاهر كان إلى اسماعيل الذى فدّى بذبحٍ عظيم، هو الحسين الذى هو عينه واسمه ونسبه، وليس بينهما فرق كأنهما واحد، ولقد ذبح فى الظاهر أكثر من الف مرة على ما يتوهمون أهل الكفر، وإنما الحسين مثله كمثل المسيح»(1) إلى أن تقول: «يا مفضل ما نقول شيعتى فى ذلک؟ قلت، يا مولاى: يروى عن جابر عن الباقر فى قوله: «وفديناه بذبح عظيم»(2) ، أن اسحاق هو الحسن والحسين هو اسماعيل... قال المفضل والله يا مولاى اشفيتنى وأذهبت عنى كل همّ وغم، قال الصادق: ان الله تعالى شفاءٌ لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين والباطن هو شفاء للصدور، قلت الحمد لله على ذلک.

فقال يا مفضل هذا سبب ذبح الكبش، ألم أخبرک بتفصيل اليوم الذى اجتمعوا على قتل الحسين. قلت: نعم. ثم البا والسلام»(3).

1- (1) . كتاب الهفت الشريف المزعوم للمفضل بن عمر الجعفى: 93، تحقيق د. مصطفى غالب.

2- (2) . الصافات/ 107.

3- (3) . كتاب الهفت الشريف المزعوم للمفضل بن عمر الجعفى: 90، تحقيق د. مصطفى غالب.

ولاشک ولاریب لکل من یقرأ هـذه الأحادیث وکلمات من تقدم یتلمس الغلو ظاهراً واضـحاً لکل ذی بصـیرة وبصـر، مهما حاول البعض تأویل بعض الکلمات التی وردت فی هذه النصوص المتقدمة.

الرد علی هذه الشبهة

وعلیه فإن هناک جملة من الروایات التی جاءت عن طریق أهل البیت علیهم السـلام لردّ مثل هذه الشبهات التی یبدو أنها بدأت بعد مصرع الحسین علیه السلام واستمرت حتی زمان الغیبة الصغری کما سیتبین لک ذلک.

ومن هذه الروایات....

1 – روایـة الإمام الرضا علیه السـلام: فقد روی صاحب عیون أخبار الرضا علیه السـلام: «قال: قلت للرضا علیه السـلام إنّ فی سواد الکوفة قوماً یزعمون أن الحسـین علیه السـلام لم یقتل وأنّه ألقی شـبهه علی حنظلة بن أسعد الشبامی وأنه رفع إلی السماء کما رفع عیسی بن مریم، ویحتجون بهذه الآیة:

«وَ لَنْ یَجْعَلَ اللّهُ لِلْکافِرِینَ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ سَبِیلاً1» .

فقال کذبوا علیهم غضب الله ولعنته وکفروا بتکذیبهم لنبی الله فی إخباره بأنّ الحسـین بن علی سیقتل، والله لقد قتل الحسین وقتل من کان خیراً من الحسـین علیه السـلام أمیر المؤمنین والحسن بن علی، ومـا منا إلا مقتول وإنی والله لمقتول بالسم باغتیال من یغتالنی أعرف ذلک بعهد معهود إلیّ من رسول الله صلی الله علیه و آله أخبره به جبرئیل عن رب العالمین.

ص:114

وأمّا قول الله «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً» فإنّه يقول ولن يجعل الله لكافرٍ على مؤمن حجـة، وقـد أخبر الله عز وجل عن كفار قتلوا النبيين بغير الحق ومع قتلهم إيّاهم أن يجعل الله لهم على أنبيائه سبيلاً من طريق الحجة»(1).

وهناک إضافة إلى هذا التفسـير الذى ذكره الإمام عليه السـلام تفسير آخر يذكره صاحب تفسير الأمثل بأن الآية يمكن ان تكون شاملة حتى فى خصوص التسـلط العسـكرى ومـا فى شـاكلته، ولكن مع تعليق مهم من قبله أحببت إيراده لأـهميته، يقول الشـيخ مكارم الشـيرازى فى تفسيره، لهذه الآية الكريمة:

«ومـا نشاهـده من انتصـار للكافرين على المسـلمين فى الميادين المختلفـة، إنما هو بسـبب ان المسـلمين المغلوبين لم يكونوا ليمثلوا فى الحقيقـة المسـلمين المؤمنين الحقيقيين، بل إنهم مسـلمون نسوا آدابهم وتقاليدهم الإيمانية وتخلوا عن مسؤولياتهم وتكاليفهم وواجباتهم الدينية بصورة تامة، فلا كلام عن الإتحاد والتضامن والأخوة الإسـلامية بهم، ولا هم يقومون بواجب الجهاد بمعناه الحقيقى كما لم يبادروا إلى اكتساب العلم الـذى اوجبه الإسـلام وجعله فريضـة على كل مسـلم ودعا إلى تحصـيله وطلبه من الولادة حتى ساعـة الوفاة حيث قال النبى: «أطلب العلم من المهد إلى اللحد».

ولما اصـبحوا هكذا استحقوا ان يكونوا مغلوبين، وقد استدل جمع من الفقهاء بهذه الآية على أن الكفار لا يمكن ان يسلطوا على المسلمين المؤمنين من

1- (1) . عيون أخبار الرضا: 1:220.

الناحية الحقوقية والحكمية، ونظراً للعمومية الملحوظة فى الآية لا يستبعدون أن تشمل هذا الأمر أيضاً»(1).

2 - رواية الإمام زين العابدين هم: كفار ومباحو الدم:

روى المجلسى فى بحاره تحت باب: أنّ مصيبته صلوات الله عليه كانت من أعظم المصائب، وذلّ الناس بقتله، وردّ قول من قال أنه عليه السلام لم يقتل ولكن شبّه لهم. جلمة من الروايات منها رواية الإمام زين العابدين عليه السلام، وهى رواية طويلة نذكر محل الحاجة منها:

قال عبد الله بن الفضل الهاشمى: فقلت له (يعنى زين العابدين): يابن رسول الله صلى الله عليه و آله فكيف سمت العامة يوم عاشوراء يوم بركة؟ فبكى عليه السلام ثم قال: لما قتل الحسين عليه السلام تقرب الناس بالشام إلى يزيد، فوضعوا له الأخبار وأخذوا عليها الجوائز من الأموال، فكان مما وضعوا له أمر هذا اليوم، وأنّه يوم بركة، ليعدل الناس فيه من الجزع والبكاء والمصيبة والحزن، إلى الفرح والسرور والتبرك والاستعداد فيه، حكم الله بيننا وبينهم.

قال: ثم قال عليه السلام: يابن عم وان ذلک لأقل ضرراً على الإسلام وأهله مما وضعه قوم انتحلوا مودتنا وزعموا أنهم يدينون بموالاتنا ويقولون بإمامتنا: زعموا أن الحسين لم يقتل وأنّه شبه للناس أمره كعيسى بن مريم، فلا لائمة إذاً على بنى أمية ولا عتب على زعمهم، يابن عم من زعم ان الحسين لم يقتل فقد كذب رسول الله وعلياً وكذب من بعده من الأئمة عليهم السلام فى إخبارهم

1- (1) . تفسير الأمثل 3:499.

بقتله، ومن كذبهم فهو كافر بالله العظيم، ودمه مباح لكل من سمع ذلک منه»(1).

3 – رواية الإمام المهدى: كفر وتكذيب وضلال:

فقد ذكر محمد بن يعقوب الكلينى عن اسحاق بن يعقوب قال: سألت محمد بن عثمان العمرى ان يوصل لى كتاباً قد سُئلت فيه عن مسائل أشكلت علىّ فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان «أمّا ما سئلت عنه خير مما أتاكم وأمّا ظهور الفرج فإنّه إلى الله وكذّب الوقاتون، وأمّا قول من زعم ان الحسين لم يقتل فكفر وتكذيب وضلال(2)...»(3).

4 – رد العلامة المجلسى:

ذكر المجلسى (رحمه الله) فى بحاره باباً بهذا العنوان (العلة التى من أجلها لم يكف الله قتلة الأئمة عليهم السلام ومن ظلمهم عن قتلهم وعلّة ابتلائهم صلوات الله عليهم أجمعين)(4).

ولاشک أن المجلسى فى ذكره لهذا الباب أراد أن يردّ على شبهة عدم قتل الحسين عليه السلام، بشكل خاص، وما يرد فى نفس الموضوع عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بشكل عام، وللمثال سوف اذكر رواية واحدة ذكرها المجلسى تحت هذا الباب،

1– (1) . بحار الأنوار 270:44.

2– (2) الغيبة للشيخ الطوسى: ص 176.

3– (3) وهذا يعنى ان هذه المسألة استمرت حتى إلى زمان الغيبة الصغرى، ويبدو أنها لم تكن بالمسألة الهيّنة البسيطة، حتى عبّر عنها إسحاق بن يعقوب بأنها مسائل أشكلت علىّ لكثرة من سأل عنها وأراد جوابها فتأمل.

4– (4) . بحار الأنوار 180:53.

والطبرسی فی الاحتجاج، والصدوق فی علل الشرائع وکمال الدین وهی:

محمد بن إبراهیم بن إسحاق الطالقانی قال: کنت عند الشیخ أبی القاسم الحسین بن روح قدس الله روحه مع جماعة فیهم علی بن عیسی القصری فقام إلیه رجل فقال له: أرید ان أسألک عن شیء فقال له: سل عما بدا لک فقال الرجل: أخبرنی عن الحسین بن علی صلی الله علیه و آله أهو ولیّ الله؟ قال: نعم، قال: أخبرنی عن قاتله أهو عدو الله؟ قال: نعم، قال الرجل: فهل یجوز ان یسلّط الله عدوه علی ولیه؟ فقال له أبو القاسم قدس الله روحه: أفهم عنی ما أقول لک، إعلم أنّ الله عز وجل لا یخاطب الناس بشهادة العیان، ولا یشافههم بالکلام، ولکنه عز وجل بعث إلیهم رسولاً، من أجناسهم وأصنافهم بشراً مثلهم، فلو بعث إلیهم رسلاً من غیر صنفهم وصورهم لنفروا عنهم، ولم یقبلوا منهم، فلما جاؤوهم وکانوا من جنسهم یأکلون الطعام، ویمشون فی الأسواق قالوا لهم: أنتم بشر مثلنا فلا نقبل منکم حتی تأتونا بشیء نعجز أن نأتی بمثله، فنعلم أنکم مخصوصون دوننا بما لا نقدر علیه، فجعل الله عز وجل لهم المعجزات التی یعجز الخلق عنها، فمنهم من جاء بالطوفان بعد الانذار والاعذار فغرق جمیع من طغی وتمرد، ومنهم من ألقی فی النار، فکانت علیه برداً وسلاما، ومنهم من أخرج من الحجر الصلد ناقة وأجری فی ضرعها لبناً، ومنهم من خلق له البحر وفجر له من الحجر العیون، وجعل له العصا الیابسة ثعباناً فتلقف ما یأفکون، ومنهم من أبرأ الأکمه والأبرص وأحیا الموتی بأذن الله عز وجل وأنبأهم بما یأکلون وما یدخرون فی بیوتهم، ومنهم من انشق له القمر وکلّمه البهائم مثل البعیروالذئب وغیر ذلک.

فلمـا أتوا بمثـل هـذه المعجزات، وعجز الخلق من أممهم عن أن يـأتوا بمثله كان من تقـدير الله عز وجل، ولطفه بعباده وحكمته، أن جعل انبيـاءه مع هـذه المعجزات فى حـالٍ غـالبين، وفى أخرى مغلوبين، وفى حالٍ قاهرين، وفى حالٍ مقهورين، ولو جعلهم عز وجل فى جميع أحوالهم غـالبين وقـاهرين، ولم يبتلهم ولم يمتحنهم لاتخـذهم النـاس آلهـة من دون الله عز وجـل، ولمـا عرف فضل صبرهم على البلاء والمحن والاختبـار. ولكنه عز وجـل جعـل أحوالهم فى ذلـک كـأحوال غيرهم، ليكونوا فى حال المحنـة والبلوى صابرين، وفى حال العافية والظهور على الاعداء شاكرين ويكونوا فى جميع احوالهم متواضـعين، غير شامخين ولا متجبرين، وليعلم العباد أنّ لهم عليهم السـلام إلهاً هو خالقهم ومدبرهم، فيعبدوه ويطيعوا رسله وتكون حجة الله ثابتة على من تجاوز الحدّ فيهم، وادعى لهم الربوبية، أو عاند وخالف وعصى وجحد بما أتت به الأنبياء والرسل، وليهلک من هلک عن بينة، ويحيى من حى عن بينة.

قال محمد بن إبراهيم بن إسـحاق: فعدت إلى الشـيخ أبى القاسم بن الحسين بن روح قدس الله روحه من الغد وأنا أقول فى نفسى: أتراه ذكر ما ذكر لنا يوم أمس من عنـد نفسه؟ فابتدأنى فقال لى: يا محمد بن إبراهيم لان أخرّ من السـماء فتخطفنى الطير، أو تهوى بى الريح فى مكان سحيـق أحب اليّ من أن أقول فى دين الله تعـالى ذكره برأيى ومن عنـد نفسـى، بـل ذلـک عن الأصـل، ومسـموع عن الحجـة صـلوات الله عليه»(1).

1- (1) بحار الأنوار 44:273-274، علل الشرائع 1:230، كمال الدين 3:184، الاحتجاج: ص 243.

ولا ننسى بأن هذه وامثالها بأعتقادى هى من جملة التشويهات المقصودة من قبل أعداء الإسلام وأهل البيت عليهم السلام، فى تخريب وتحريف إن صح التعبير صورة هذا اليوم العظيم فى نفوس المؤمنين، فهناك من فرح وسُرَّ فيه لروايات ما أنزل الله بها من سلطان، وهناك من شوهه من الداخل بادعاء عدم قتل الحسين عليه السلام.

وقت وصول الشهيد إلى كربلاء

لقد وصل الشهيد حنظلة بن أسعد الشبامى (رض) إلى الحسين عليه السلام، فى يوم وصوله عليه السلام إلى كربلاء والذى صادف فى اليوم الثانى من محرّم سنة 61 ه -، وصل الشهيد إلى الحسين عليه السلام بعد رحلة شاقة استطاع من خلالها ان يتخلص من بين فكىّ عبيد الله بن زياد الذى صار ينهش بها كل من يشمَّ منه رائحة الولاء للحسين فضلاًعن التفكير فى الخروج والوصول إليه، يقول السيد الزنجانى فى وسيلة الدارين: «وقال أبو مخنف: حدّثنى سليمان بن أبى راشد عن حميد بن مسلم قال: جاء حنظلة بن أسعد الشبامى إلى الحسين عليه السلام عند نزوله كربلاء»(1).

الشهيد حنظلة رسول الحسين إلى ابن سعد

ما إن وصل الشهيد (رض) إلى كربلاء فى اليوم الثانى من محرم، حتى أرسله الحسين عليه السلام، رسولاً من قبله إلى ابن سعد فيما عرف عند ارباب التأريخ بأيام الهدنة، يقول السيد الزنجانى فى وسيلة الدارين: «وكان الحسين يرسله إلى

1- (1) وسيلة الدارين: 135.

عمر بن سعد للمكالمة أيّام المهادنة»(1).

ومما لاشک فيه ولاريب أن اختيار الحسين عليه السلام للشهيد حنظلة رسولاً من قبله إلى ابن سعد يدلل وبشكل واضح على مدى العقل الراجح والإيمان الثابت للشهيد بل والخبرة الاجتماعية العالية لاسيما فى مجتمع مهم كمجتمع الكوفة حيث يحمل فى جنباته الكثير من القبائل والبيوتات المهمة.

وقديماً قالوا: «ارسل حكيماً ولا توصه»(2)، وفى هذا يقول الزبير بن عبد المطلب ابياتاً منها:

إذا كنت فى حاجةٍ مُرسِلاً وإن باب أمر عليک التوى

فأرسل حكيماً ولا توصهِ فشاور لبيباً ولا تعصهِ (3)

ويقول آخر:

إذا أرسلت فى أمرٍ رسولاً فأفهمه وأرسله حكيماً(4)

ويقول آخر:

إذا كان الرسول كذاً بليداً تكسّرت الحوائج فى الصدورِ

فأرسل من إذا لحظتهُ عينى حكى لک طرفه ما فى ضميرىَ (5)

ويقول الدنيورى: «ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها، الكتاب يدل على

1- (1) وسيلة الدارين: 135.

2- (2) جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى 1:99.

3- (3) نفس المصدر.

4- (4) نفس المصدر.

5- (5) نفس المصدر.

عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهدية تدل على عقل هاديها»(1).

ولقـد وعى الشـهيد حنظلـة فكر الحسـين عليه السـلام ونهضـته واطلّع على ما يريـد بنحوٍ لا يقبل الشك والترديد، حتى صار محل اعتماد الحسين عليه السلام ولا يتصور أحد أن مهمة الشهيد تقتصر على بعث الرسالة إيصالها إلى ابن سعد فقط، بل إن مهمته لأكبر من ذلك فقد تحتاج الرسالـة إلى توضـيح بعض فقراتها وقد تحتاج إلى بيان رأى الحسـين عليه السـلام فى بعض المسائل لاسـيما إذا دخل القوم معه فى حوارٍ أو نقاش، وهو أمر متوقع فى حالات كهذه.

وهـذه لعمرى منزلـة عظيمـة وكـبيرة ان يكون المعصوم واثقـاً من إنسـانٍ بحيث يلتقى فهم المعصوم، وهو فهم السـماء، مع فهم اصـحاب الحسين عليه السلام، وهذا يعنى انّهم رضوان الله عليهم كان هواهم هوى الحسين، ورأيهم رأى الحسين، وفكرهم فكر الحسين، ومنهجهم منهج الحسـين، بل إن التأريخ لا يذكر لنا موقفاًواحداً كان فيه – معاذ الله – أنصار الحسـين عليه السلام يملكون رأياً مخالفاً لرأى الحسين، بل العكس هو الصحيح، حيث نجد أنّهم وصلوا إلى درجة التسليم إلى المعصوم(2) فى كل الأمور، وهذا يمثل اعلى درجات الولاء، هذا مع رفعـة شأنهم وعلو منزلتهم الاجتماعية فقد كان الرجل يملك منزلة اجتماعية كبيرة يسـتطيع من خلالها ان يجالس كبار القوم فى جيش ابن سعد ويتحدّث معهم، خصوصاً فى ظروف حسّاسة كالظروف التى كان فيها الحسين عليه السلام،

1- (1) كتاب المجالسة وجواهر العلم للدينورى: حديث 2412.

2- (2) كما تشـير الآيـة الكريمـة:«فَلا وَ رَبِّکَ لا يُؤْمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوکَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً» سورة النساء: 65.

ولكن ويا للأسف، لا يذكر لنا التأريخ شيئاً عمّا جرى فى تلك المراسلات، وهذه واحدة من مظلوميّات كربلاء.

أسماء رسل الحسين عليه السلام وسفراءه

وختاماً نذكر أسـماء بعض الشـهداء الذى قاموا بدور الرسول والناقل لكلمات الإمام الحسـين وتوجيهاته وهم خمسة شهداء، ما عدا الشهيد حنظلة (رض).

1 – مسلم بن عقيل، رسول الإمام إلى اهل الكوفة.

2 – سليمان بن رزين (بن أبى رزين)، وكان رسول الإمام إلى رؤساء الاخماس فى البصرة.

3 – عبد الله بن يقطر، وكان رسول الإمام إلى مسلم بن عقيل أو العكس.

4 – قيس بن مسهِّر الصيداوى، رسول الإمام إلى مسلم بن عقيل من بطن ذى الرمة (الرقة).

5 – عمرو بن قرضة الأنصارى، رسول الإمام إلى عمر بن سعد أيّام المهادنة.

الشهيد حنظلة قارئا للقرآن

جاء فى الروايات، وكما يـذكر المؤرخون جميعاً وهم يتحدثون عن هذا الشـهيد، أنّه «كان قرائاً للقرآن» فقد ذكر السـماوى فى إبصار العين وهو يترجم للشهيد قوله: «كان وجهاً من وجوه الشيعة، ذا لسان وفصاحة، شجاعاً قارئاً للقرآن»(1).

1– (1) . إبصار العين للشيخ السماوى: 101.

وهذه الفقرة تعنى الكثير، حيث تفيد أنّ الأنصار كانوا من عشّاق كتاب الله، بل ومن معلميّه وموصلى آياته إلى الناس، ولا ننسى جميعاً فى ليلة العاشر من المحرّم عندما باتوا تلك الليلة يقرأون القرآن، عشقاً وحبّاً لتلاوته وتدبّراً لآياته، وما أحوجنا نحن فى هذا اليوم، ان نعى هذه الحقيقة الحسينية العاشورائية، وهى أن الحسينى الحقيقى، هو ذلک الذى يحمل الولاء الحسينى فى قلبه، وفى نفس الوقت يحمل القرآن فى قلبه متمثلاً بذلک قول رسول الله صلى الله عليه و آله الذى يقول: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تظلّوا من بعدى أبداً؛ كتاب الله وعترتى أهل بيتى، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا علىَّ الحوض»(1) ، وسيأتينا إن شاء الله فى بقيّة الإجزاء لهذه الموسوعة، ونحن نتحدث عن أصحاب الحسين عليه السلام، أنّ هذه الصفة، أعنى صفة حمل القرآن وتجسيده قولاً وعملاً، كانت صفة عامة لهم، ولا ننسى فى نهاية الحديث ان برير بن خضير الهمدانى كانوا يعبرون عنه بأنّه من شيوخ القراء فى مسجد الكوفة، وهى علاقة مهمة وأساسية سوف نسلّط الأضواء عليها ونحن نتحدث عن الشهيد رضى الله عنه.

خطبة الشهيد حنظلة فى كربلاء

ليس كل من صحب الحسين عليه السلام واستشهد بين يديه، كان ممن أوتى فرصة الحديث والوعظ لجيش عمر بن سعد، فقط حدّثنا التأريخ أن جماعة تميزوا دون غيرهم فى هذه المنقبة المهمة.

وكان من جملة هؤلاء الشهيد حنظلة بن أسعد الشبامى، والذى خطب خطبة

1- (1) . الحاكم فى المستدرک 109:3، ينابيع المودة: 25، الصواعق المحرقة: 150.

عظمية احتوت جملة من المفاهيم المهمة نحاول ان نسلّط الأضواء عليها بعد ذكر الخطبة كاملة.

يقول أبو مخنف فى مقتله: «وجاء حنظلة بن أسـعد الشـبامى، فقام بين يدى الحسين عليه السلام: فأخذ ينادى: يا قوم إنّى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب:

«مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَ عادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَ مَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ * وَ يا قَوْمِ إِنِّى أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ما لَكُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ عاصِمٍ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ1» .

يا قوم لا تقتلوا حسيناً عليه السلام، فيسحتكم الله بعذابٍ:

«وَ قَدْ خابَ مَنِ افْتَرى 2» .

فقال له الحسـين عليه السـلام: «يا بن أسعد - رحمک الله - إنّهم قد استوجبوا العذاب حيث ردّوا عليک ما دعوتهم إليه من الحقّ، ونهضوا إليک ليستبيحوک وأصحابک، فكيف بهم الآن وقد قتلوا أخوانک الصالحين.

قال: صدقت، جعلت فداک! أنت أفقه منىّ وأحقّ بذلک، أفلا نروح إلى الآخرة ونلحق بأخواننا؟ فقال عليه السلام: رحُ إلى خير من الدنيا وما فيها وإلى مُلک لا يبلى، فقال السـلام عليک أبا عبد الله، صـلى الله عليک وعلى أهل بيتک وعرّف بيننا وبينک فى جنته، فقال عليه السـلام: آمين، آمين»(1).

1- (3) . مقتل أبى مخنف: 235-236.

وقفات مع خطبة الشهيد

أولاً: جاء فی الروایات أنّ الشـهید بقی مع الحسـین علیه السلام حتی لم یبقَ معه من أصحابه إلا أثنان وهما عمرو بن سوید بن أبی المطاع الخثعمی وبشـر بن عمرو الحضـرمی، وکان بین الفینة والأُخری یستأذن الحسین علیه السلام من أجل ان یتحدث مع القوم، علّه یکون سبباً فی هدایة واحد منهم، ومن ثم ینتسله من نار جهنم، وهذا إ، دلّ علی شیء فانما یدلّ علی وعی عمیق وکبیر لمسؤولیته الشرعیة والتی ینبغی علی الإنسـان المبلّغ والداعیـة إلی الله عزّ وجـل أن لاـ یتنـازل عنها بأیّ حال من الأحوال، مهما ادلهمت الخطوب حیث یتوجب علیه أن یوصل صوته إلی کلّ من یسـمعه، کما تحرک علی اساس ذلک شـهیدنا الکربلائی وهو یعیش آخر ساعة من حیاته علی الثری، حتی یتحول إلی قـدوة یمشـی خلفها کل کربلائی حسـینی بالشـکل الـذی لا یدع الیأس یدخل إلی جوفه أبداً، بل ویظل یعیش الأمل فی أن یسـتنقذ ما یمکن له استنقاذه.

والقرآن الکریم ربما یعطینا درساً هامّاً فی هذا المجال، حیث یقول فی آیة من آیاته الکریمة:

«وَ إِذْ قالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِکُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِیداً قالُوا مَعْذِرَةً إِلی رَبِّکُمْ وَ لَعَلَّهُمْ یَتَّقُونَ 1»

وقد جاءت هذه الآیة الکریمة فی قصة أصـحاب السـبت وملخصها أن الله أمر أهل قریة یسکنها الیهود بعدم صید الحیتان یوم السبت وأبیح لهم فی باقی أیام

الأسبوع، فوسوس لهم الشيطان بأن ينصبوا شباكهم يوم السبت فإذا ما جاء يوم الأحد أخذوا ما حملته شباكهم من السمک.

عند ذلک انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام.

يقول الشيخ مكارم الشيرازى فى تفسيره الأمثل: «عندما واجهت هذه الجماعة من بنى اسرائيل هذا الامتحان الكبير الذى كان متداخلاً مع حياتهم تداخلاً كبيراً، انقسموا إلى ثلاث فرق:

الفريق الأول: وكانوا يشكلون الأكثرية، وهم الذين خالفوا هذا الأمر الالهى.

الفريق الثانى: وكانوا على القاعدة، يشكلون الأقلية، وهم الذين قاموا تجاه الفريق الأول بوظيفة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

الفريق الثالث: وهم الساكتون المحايدون الذين لم يوافقوا العصاة، ولا قاموا بوظيفة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر».

وهنا يذكر البارى عز وجل حواراً دار بين العصاة وبين الذين نهوهم عن ارتكاب هذه المخالفة «وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً» «فأجابهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر: بأننا ننهى عن المنكر لأننا نؤدى واجبنا اتجاه الله تعالى وحتى لا نكون مسؤولين تجاهه، هذا مضافاً إلى أننا نأمل ان يؤثر كلامنا فى قلوبهم، ويكفوا عن طغيانهم وتعنتهم «قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون» ويستفاد من الجملة الحاضرة أن هؤلاء الواعظين كانوا يفعلون ذلک بهدفين:

الأول: أنهم كانوا يعظون العصاة حتى يكونوا معذورين عند الله والآخر: عسى ان يؤثروا فى نفوس العصاة، ويفهم من هذا الكلام أنهم حتى مع عـدم احتمـال التأثير، فانهم كانوا لا يحجمون عن الوعظ والنصـيحة فى حين أن وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مشـروطان باحتمال التأثير».

وهذا هو عين ما صـنعه الشـهيد حنظلة بن أسـعد الشبامى فى كربلاء حينما وقف حتى آخر اللحظات وهو يتحدث معهم ويوعظهم ولسان حاله يقول لكل من يعترض عليه «معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقّون».

وكم عشـنا قصصاً وقرأنا قصصاً وسمعنا قصصاً لأناس لم يكن أحدٌ يتصوّر أنّهم سيؤثرون فى يوم ما بالموعظة، وإذا بها تغلب كيانهم بشكل كامـل، فتحولوا إلى أنـاسٍ صالحين، وبعضـهم صار من أعاظم الـدعاء إلى الله، ولماذا يـذهب الإنسان بعيـداً، ففى نفس تلك الواقعـة تأثر جماعة من جيش عمر بن سعد بمواعظ الحسين واصحابه، وانتقلوا إلى صفِّ أبى عبد الله واستشهدوا بين يديه.

ثانياً: اختيار الشـهيد حنظلة لهذه السورة «أعنى سورة المؤمن أو ما يعرف بمؤمن آل فرعون» من جانب، وتذكير الحسين عليه السلام لزهير بن القين حينما خطب فى أهل الكوفـة بقوله: «لئن كان مؤمن آل فرعون نصـح لقومه وأبلغ فى الدعاء، لقد نصـحت وابلغت لو نفع النصـح والإبلاغ»(1).

ليجعلنا أمام حقيقة مهمة ألا وهى وحدة التشخيص ووحدة الطرح من قبل المعصوم وأصحابه.

1- (1) أدب الطف: ج 1 ص 121.

فيما أن المعركة التى يقفون فيها فى يوم عاشوراء تمثل فى واقعها صـراعاً بين الحق والباطل والهدى والضلال ناسب أن يُطرح خطاب مؤمن آل فرعون مع قومه، والذى كان محوره الحقيقى ومضمونه الأساس حق وباطل وهدى وضلال.

ولقـد وقف مؤمن آل فرعون مناصـراً للحق ومدافعاً عنه بكل ما يملک وما تنازل عن مبدئه قيد انملة بل وقف ناصـحاً وواعظاً ومذكراً «يا قوم إنى أخـاف عليكم مثـل يوم الأحزاب»، وكأنه يريـد أن يـذكّرَهم بأن هؤلاء الـذين تحزّبوا واجتمعوا وتآمروا على قتل الأنبياء تعرضوا لهزيمة منكرة واهلكوا من قبل الله، وها هو رسول الله يقف بعـد انتهاء معركـة بـدر مخاطباً كل الطغاة والمتكبرين «الذين وقفوا أمامه وحاولوا قتله» وقال لهم: «يا شـيبة بن ربيعـة ويا أميـة بن خلف ويا فلان ويا فلان هل وجـدتم ما وعـد ربكم حقاً؟ فإنى وجـدت ما وعدنى ربى حقاً، لقد كذبتمونى وصدقنى الناس وأخرجتمونى وآوانى الناس وخذلتمونى ونصرنى الناس»(1).

«يا قوم إنى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب» قاله مؤمن آل فرعون وطبّقه الشـهيد على واقعه وعلينا أن نعيشه ونطبقه على واقعنا، فإيّانا ثم إيّانا أن نكون فى خنـدق معـادٍ للحق واهله، إيّانـا ثم إيّانـا أن نتحول إلى حربٍ لله ورسوله، إيّانـا ثم إيّانـا أن نكون مطيّـة تصل الطغاة من خلال ظهورنا إلى اهدافهم فنكون كمن باع دينه بدنيا غيره.

«ويا قوم إنى أخاف عليكم يوم التنادِ» لقد حاول الشهيد تبعاً لمؤمن آل

1- (1) السيرة النبوية لابن هشام: ج 1 ص 639.

فرعون أن يستعمل أعظم الالفاظ وأعمق المعانى لإيصال الهداية لمن يتحدث معهم عسى ان يكون ذلک دافعاً ومحركاً لهم فى تدبر كلماته وتعقّل الفاظه ومن ثم نجاتهم من النار وفوزهم بالجنة.

وفى ظل هذا السياق وهذا النسق الذى تحرک على اساسه الشهيد حنظلة «جاء النداء المذكّر بالآخرة وعذابها وأهوالها وكأنهم كالمنكرين للبعث الذى لا يحسبون له حساباً»(1) ، إنّه يوم التناد، حيث تنادى الأم ابنها فلا يستجيب لها، وينادى الابن أُمّه فلا تستجيب له، وينادى الأخ اخاه فلا يستجيب له، وينادى التابع المتبوع فلا يستجيب له، وينادى الضعفاء الأقوياء فلا يستجيبون لهم.

يا قومِ إنى أخاف عليكم أهوال هذا اليوم العظيم، فارحموا أنفسكم من عذابه وسكراته من خلال الاستجابة لنداء العقل والدين فى الوقوف إلى جانب الحق والعدل أمام الباطل والجور.

ثالثاً: لقد طبق الشهيد حنظلة المفاهيم القرآنية على مصاديقهم الواقعية، فهذا مؤمن آل فرعون يخاطب قومه بالآية المتقدمة وهذا حنظلة بن أسعد يخاطب أصحاب عمر بن سعد بنفس الآية الكريمة، وهذا يعنى بعبارة آخرى تطبيق القرآن على العترة الطاهرة والتى لا تختلف فى عطائها ووظيفتها عن عطاء ووظيفة الأنبياء، ومن هنا نجد أن الشهيد حنظلة بدل أن يقول «ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذابٍ وقد خاب من افترى» وهى كلمة السحرة الذين وقفوا إلى جانب موسى عليه السلام وسألته، دفاعاً عنه وعن مبادئه، تلک الكلمة التى قالوها أمام

1- (1) . تفسير التحرير 136:24.

عشـرات الآلاف من الناس المضـلّلة، فأراد حنظلة أن يطبقها على الحسـين عليه السلام وهو يدافع عن رسالة جده عليهما السلام وقد قالها مدّوية أمام كل تلك الآلاف المؤلفة من الناس المغرّر بهم الذين جاؤوا لقتال أبى عبد الله الحسين عليه السلام، قال: «يا قوم لا تقتلوا حسيناً فيسحتكم الله بعذابٍ وقد خاب من افترى» ولكنهم بدل أن يتأثّروا بها، إذا بهم يرمونه بالسهام، ورحم الله الشاعر حيث يقول:

لم أنسه إذ قامَ فيهم خاطباً فغدوا حيارى لا يرون لوعظهِ

فإذا هُمُ لا يملكون خطابا إلاّ الأسنّة والسهامَ جوابا

رابعاً: قول الحسـين عليه السلام، للشهيد حنظلة: «إرجع يابن أسعد فإنّهم قد استوجبوا العذاب حينما ردّوا عليک ما دعوتهم إليه من الحقن ونهضوا اليک يستبيحوک وأصحابک فكيف بهم الآن وقد قتلوا أخوانک الصالحين»(1).

وهنا يشـير الإمام الحسـين عليه السـلام، فى حـديثه هـذا إلى مفهوم قرآنى إيمانى، ألا وهو عقوبة ردّ الحقّ بعد معرفته، وكأن الحسـين عليه السلام يريد ان يذكرّ الشهيد بدعوة نوح إلى قومه وكيفية مواجهتهم له، يقول القرآن الكريم متحدثاً عن نوح عليه السلام ودعوته لقومه:

«قـالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلاـً وَ نَهاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِى إِلاّ فِراراً * وَ إِنِّى كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِى آذانِهِمْ وَ اسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ وَ أَصَرُّوا وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً * ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهاراً * ثُمَّ إِنِّى أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْراراً * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفّاراً2» .

1- (1) أعيان الشيعة 26:7 للسيّد محسن الأمين.

وبعد كلّ هذا البيان والمعرفة التى واجهوها بمنتهى القسوة والتحجر وردّ الحق الذى جاءهم به نوح عليه السلام جاءت العقوبة الإلهية.

«رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيّاراً * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَ لا يَلِدُوا إِلاّ فاجِراً كَفّاراً1» ، وقوله «فَدَعا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ * وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْماءُ عَلى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ2» .

وهكذا حينما تحدث القرآن الكريم عن أهل الكتاب وردّهم الحق بعد ما عرفوه وما ترتب على ذلك من عذاب وحساب.

«وَ مَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلاّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِآياتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ 3» .

وقوله تعالى:

«كَيْفَ يَهْدِي اللّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ وَ شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَ جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ وَ اللّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ * أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللّهِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ النّاسِ أَجْمَعِينَ * خالِدِينَ فِيها لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ 4» .

كل هذا وغيره ليرشدنا إلى هذه الحقيقة القرآنية الحسينية العاشورائية التى ذكرها الحسين عليه السلام للشهيد حنظلة أن ردّ دعوة الحق لابد أنها سوف تترک آثارها عليهم إن عاجلاً كما حصل فى نفس اليوم العاشر من المحرّم لبعضهم(1) وإن آجلاً حينما سلط الله عليهم غلام ثقيف فسقاهم كأساً مصبّرة بحيث لم يدع قاتلاً إلا وقتله، قتلة بقتلة كما ذكر ذلک الحسين عليه السلام يوم العاشر من المحرم «اللهم احبس عنهم مطر السماء وابعث عليهم سنين كسنى يوسف وسلط عليهم غلام ثقيف، يسقيهم كأساً مصبرة فانهم كذبونا وخذلونا وانت ربنا عليک توكلنا واليک المصير، والله لا يدع واحداً منهم إلا انتقم لى منه قلتة بقتلة، وضربة بضربة وإنه لينتصر لى ولأهل بيتى واشياعى»(2).

خامساً: قول الشهيد حنظلة «صدقت يا أبا عبد الله، سيّدى افلا نروح إلى الجنّة؟»(3).

وما أعظمها من كلمة! وما أعظم قائلها هذا الذى اشتاق إلى الجنّة بدرجة كبيرة جداً، بحيث إنّه أصبح لا يطيق البقاء فى هذه الدنيا، وخصوصاً بعد أن فارق الأحبة والأعزّة من أصحاب الحسين! إنها ميزة مهمة للشهيد بل ولجميع شهداء

1- (1) أمثال ابن حوزة التميمى حينما قال للحسين يا حسين تعجلت بالنار قبل يوم القيامة فدعا عليه الحسين عليه السلام وقال اللهم حزه إلى النار فاضطرمت به فرسه فى جدول، فوقع فيه وتعلقت رجله بالركاب ووقع رأسه فى الأرض ونفر الفرس فأخذه، يمر به فيضرب برأسه كل حجر وكل شجرة حتى مات. معالم المدرستين 100:3، نقلاً عن تاريخ الطبرى.

2- (2) مقتل الخوارزمى 7:2، اللهوف فى قتلى الطفوف: 56.

3- (3) اللهوف فى قتلى الطفوف: 47.

الطف (رض)، منها هو برير بن خضـير يمازح عبـد الرحمن بن عبـد ربه الأنصارى فقال له: «دعنا فوالله ما هـذه بساعة باطل، فقال له برير: والله لقـد علم قومى أنّنى ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً ولكن والله إنى لمستبشـر بما نحن لاقون، والله إنّه ليس بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم، ولوددت أنهم قد مالوا علينا بأسيافهم الساعة»(1).

وهكذا كان الشهيد حنظلة يتوق إلى الجنة والى حورها ونعيمها الدائم لاسيّما فى ظل رضا الله الأكبر:

«فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ2» .

لقد كان الشـهيد يريد أن يدخل الجنة بسـرعة ليلتحق بركب من مضـى قبله، ولكنه فى نفس الوقت يريد أن يدخل الجنة بإذن الحسـين عليه السـلام ولهذا نجده ليسأل الحسـين عليه السـلام مثل هذا السؤال الذى يتضمن فى حقيقته طلب الإذن من الحسين عليه السلام فى النزول إلى المعركة والدخول إلى الجنة، سيدى أفلا نروح إلى الجنة؟.

وقت شهادة الشهيد حنظلة

لقد اختلفت الروايات فى وقت شهادة حنظلة (رض)، والتى يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يرى بأن الشهيد (رض) قد التحق بالرفيق الأعلى بعد شهادة

1- (1)) معالم المدرستين 3:95.

الفتيين الجاريين، يقول أبو مخنف فى مقتله: «وجاء الفتيان الجابريان: سيف بن الحارث بن سريع ومالک بن عبد بن سريع وهما ابنا عمٍّ وأخوان لامٍّ، فأتيا حسيناً عليه السلام فدنيا منه، وهما يبكيان، فقال عليه السلام: أى ابنى أخى، ما يبكيكما؟ فوالله، أنا لأرجو أن تكونا قريرى عين عن ساعة «قالا: جعلنا الله فداک، لا والله ما على انفسنا نبكى ولكنّا نبكى عليک، نراک وقد أحيط بک ولا نقدر على ان نمنعک، فقال عليه السلام: فجزاكما الله - يا ابنى أخى - بوجدكما من ذلک ومواساتكما إياىّ بأنفسكما أحسن جزاء المتّقين».

ثم استقدم الفتيان الجابريان يلتفتان إلى حسين عليه السلام، ويقولان: السلام عليک يا بن رسول الله، فقال عليه السلام: «وعليكما السلام ورحمة الله» فقاتلا حتى قتلا.

وجاء حنظلة بن أسعد الشبامى فقام بين يدى حسين عليه السلام فأخذ ينادى...»(1).

القسم الثانى: يرى أن الشهيد (رض)، قد التحق بالرفيق الأعلى بعد شهادة برير بن خضير يقول السيد المقرّم فى مقتله: «ولما رجع كعب بن جابر إلى اهله عتبت عليه امرأته النوار وقالت: أعنت على ابن فاطمة وقتلت سيّد القراء(2)،

لقد أتيت عظيماً من الأمر، والله لا أكلمک من رأسى كلمة أبداً... إلى يقول ونادى حنظلة بن أسعد الشبامى: ياقوم...»(3).

القسم الثالث: وهى التى ترى ان شهادته (رض)، كانت بعد شهادة عمرو بن

1- (1) مقتل أبى مخنف: 234-235 / تحقيق الشيخ اليوسفى.
2- (2) تعنى به الشهيد برير بن خضير الهمدانى حيث كان يعرف من شيوخ القراء فى مسجد الكوفة.
3- (3) مقتل الحسين للمقرّم: 250-251.

خالـد الصـيداوى وقبـل شـهادة زهير بن القين، يقول ابن نما فى مثير الأحزان: «وبرز عمرو بن خالـد الصـيداوى(1) ، فقاتـل فقال له عليه السلام: «تقدم فإنا لاحقون بک عن ساعة» فتقدم فقتل وجاء حنظلة بن أسعد الشامى(2) ، فوقف بين يدى الحسين عليه السلام يقيه الرماح والسـهام والسـيوف بوجهه ونحره ثم التفت إلى الحسـين فقـال أفلا نروح إلى ربنا ونلحق؟ فقال: رح إلى ما هو خير لک من الـدنيا وما فيها، فقاتل قتال الشجعان وصبر على مضض الطعان حتى قتل وألحقه الله بدار الرضوان، وتقدم زهير بن القين...»(3).

الشهيد يدعو والحسين يؤمّن له

ما إن أذن الحسـين للشـهيد أن ينزل إلى ساحـة المعركـة حتى أخذ وجه حنظلة يشـرق نوراً ويتلألأ فرحاً بما هو قادم عليه من نعيم لا يبلى ورضاً من رب الأرض والسما، ولكنه مع كل هذه النعم، طلب أمراً آخر من الله عز وجل وأمّن الحسين لطلبه، لقد قال حنظلة للحسين عليه السـلام فى آخر كلماته: «السـلام عليک يا أبا عبـد الله، السـلام عليک وعلى أهل بيتک، وعرّف بيننا وبينک فى الجنّة فقال الحسـين: آمين آمين»(4).

وهذه الكلمات لاشک أن الشهيد أراد من خلالها أن لا يكون فى الجنّة إلا

1- (1) والصحيح الصيداوى بدل الصيدائى كما عند مشهور العلماء.

2- (2) والصحيح الشبامى بدل الشامى كما بيّنا ذلک فى بداية الحديث عن الشهيد (رض).

3- (3) مثير الأحزان لابن نما الحلى 12:3.

4- (4) إبصار العين: 101.

مع الحسين عليه السلام وأهل بيته عليه السلام، وأن يعَرّف الله تعالى بينه وبين الحسين عليه السلام فى الجنّة، وهذا غاية المسؤول ونهاية المأمول أن يجلس المحبوب إلى جانب حبيبه، وهكذا لم تمضِ إلا مدّة وجيزة من الزمن بعد ان قتل منهم مقتلة عظيمة حتى تعطّفوا عليه فقتلوه فى دوحة الحرب فسقط مضرجاً بدمائه إلى جانب إخوته وأحبته، وهو وإن كان قد حوى الفخر كل الفخر بموقفه هذا، ولكنّه أزاد على الفخر فخراً، وعلى العزّ عزّاً، وعلى الرفعة رفعةً بتسليم الإمام صاحب الزمان عليه فى زيارة الناحية بقوله: «السلام على حنظلة بن أسعد الشبامى ورحمة الله وبركاته»(1)، ونحن بدورنا نسلّم على الشهيد بعيون عبرى وصدور حرّى وقلوب ملؤها الاشتياق إلى شخصه الكريم وولائه العظيم ونسأل الله سبحانه وتعالى الذى أكرمه بهذا المقام ان يكرمنا بالسير على خطاه ورحمة الله وبركاته.

1- (1) . المزار للشهيد الأول: 151.

الشهید کردوس التغلبی رحمه الله

اشارة

صحابی جلیل من أصحاب رسول الله صلی الله علیه و آله، وقائد کبیر محنّک فی جیش علی بن أبی طالب علیه السلام، عرف عنه الثبات مع الحقّ مع شدّة الفتن وکثرة المنعطفات، والتی تزلزلت فیها أقدام قوم وثبتت فیها أقدام قوم آخرین، وعرفوا الحقّ فمالوا إلیه، إمامهم ووليّهم علی أمیر المؤمنین، وبعده الحسن، وبعده الحسین علیهم السلام ومن جملتهم الشهید کردوس، وقد عدّه الرجالیون والمؤرّخون من جملة الرواة الثقاة، إضافة إلی کونه رئیساً مطاعاً فی قومه، وهذه کلّها نقاط مشرقة فی حیاة هذا الرجل نحاول أن نسلّط علیها الأضواء علّنا نکون موفّقین فی اتّباع سیرته واقتفاء أثره.

اسم الشهید

هو کردوس یقول ابن منظور فی لسان العرب فی مادّة کردس: «الکردوس فِقرة من فقِر الکاهل، وکلّ عظم ضخم فهو کردوس، وکلّ عظم کثیر اللحم عظمت نحضته کردوس، وقالوا: الکرادیس رؤوس العظام، واحدها کردوس،

وكـلّ عظمين التقيا فى مفصل فهو كردوس»(1) فمعنى كردوس على ما تقدّم يعنى القوى الضـخم، فكأنّ الشـهيد كان اسـماً على مسمّى، حيث عرف بشجاعة متميّزة، وقدرة فائقة على مقارعته للأبطال وثباته فى ساحات القتال وعدم اكتراثه بالأسنّة والنبال.

الاختلاف فى اسمه

اسم كردوس محلّ اتّفاق فيما أعلم عند من ترجم له إلاّ ما شذّ، نعم ورد فى أنصار الحسـين للشـيخ محمد مهدى شمس الدين(2) أنّه ذكر اسم كردوس، وهو المعتمد عنده، ولكنّه فى نفس الوقت وضع بين قوسين (كرش) وطبيعى لابدّ من وجود دليل اعتمد عليه فى ذلك وإن لم نطلّع عليه، من اختلاف النسخ أو ما شاكل ذلك، ولكن ما ذكره الشيخ شمس الدين رحمه الله لم يذكره آخر، ومن ثم يكون عندنا اتّفاق، أو لا أقلّ شبه اتّفاق عند الفريقين فى أنّ اسم الشهيد هو كردوس دون غيره من الأسماء.

اسم والد الشهيد

وأما اسم أبيه فقد وقع الاختلاف فيه كثيراً، فقد ورد أنّ اسـمه زهير، وهذا محلّ اتفاق عند علمائنا، كما فى إبصار العين للسـماوى(3)، وابن شهر آشوب(4) فى

1- (1) لسان العرب: ج 6 ص 195.

2- (2) أنصار الحسين: ص 107.

3- (3) إبصار العين: ص 151.

4- (4) مناقب ابن شهر آشوب: ج 4 ص 267.

المناقب، ووسيلة الدارين(1) وغيرهم.

أمّا عند الآخرين فقد ذكروا اسماءً أربعة، حيث ذكر البخارى فى التاريخ الكبير ما نصّه: «كردوس بن عباس التغلبى، قاله أشعث بن سوار، وقال زائدة بن منصور: كردوس بن هانى التغلبى، وقال سليمان بن حرب، عن شعبة، عن عمر بن مرّة، عن أبى وائل، عن كردوس بن عمرو: وكان يقرأ الكتب»(2).

حيث ذكر كما تقدّم أنّ اسم الأب مختلف فيه، بين عباس و هانئ و عمرو، كما هو واضح.

وأمّا الاسم الرابع وهو قيس، فقد ذُكر مع الأسماء الثلاثة الأولى مجتمعة، فى تعجيل المنفعة لابن حجر، حيث قال:(3) «كردوس بن قيس قاصّ العامّة بالكوفة، عن رجل بدرى له صحبة. وعنه عبد الملک بن ميسرة، أظنّه الذى قبله، يعنى الثعلبى، وكان ذكر أنّه اختُلف فى اسم ابيه، فقيل: عباس، وقيل: عمرو، وقيل: هانئ».

ونفس هذا الذى ذكره ابن حجر فى تعجيل المنفعة، ذكره فى كتابه الآخر تهذيب التهذيب (مَنْ اسمه كدام وكردوس وكرز) قال: «كردوس بن العباس الثعلبى، ويقال ابن هانئ الثعلبى، ويقال ابن عمرو الغطفانى، ويقال إنّهم ثلاثة، روى عن الأشعث بن قيس وحذيفة وابن مسعود بن شعبة وأبى مسعود الأنصارى

1- (1) وسيلة الدارين: ص 185.

2- (2) التاريخ الكبير: ص 557.

3- (3) تعجيل المنفعة: ج 1 ص 351 (907).

وأبی موسی الأشعری وعائشة، وروی عنه عبد الملک بن عمیر وأبو وائل وزیاد بن علامة والحارث بن سلیمان الکندی وأشعث بن أبی الشعثاء وأشعث بن سوار وابن عون ومنصور بن المعتمر وآخرون»(1).

وبعد ما تقدّم من اختلافهم فی اسم أب الشهید وما ذکروه، نود أن نثیر حوله ما یلی:

شخصیة واحدة أم شخصیات متعددة ؟

إنّهم وإن اختلفوا فی اسم أبیه ولکنّهم یشیرون فی طیّات کلماتهم إلی أنهم شخصیة واحدة ولیست شخصیّات متعدّدة، حیث وجدت بعد البحث والتمحیص وبذل الوقت أنّ کلّ ما یذکروه فی کتبهم من روایات حول واحد من هؤلاء الثلاثة یکون متطابقاً فی الغالب، ممّا یؤیّد أنّ المُتحدّث عنه واحد لا غیر.

فمثلاً حینما یتحدّثون عن أنّه کان قاصّاً فی الکوفة، فهذا الوصف قد ذکروه فی ترجمة کردوس بن العباس وکردوس بن عمرو وکردوس بن قیس، حیث ینقل صاحب کتاب الآداب الشرعیة(2) ، یقول: «حدّثنا هشام، حدّثنا شعبة، عن عبد الملک بن مسیرة: سمعت کردوس بن قیس، وکان قاص العامّة فی الکوفة» ثمّ یقول: «أخبرنی رجل من أصحاب بدر، أنّه سمع النبی صلی الله علیه و آله یقول: لأن أقعد فی مثل هذا المجلس أحبّ إلیّ من أن أعتق أربع نسمات»(3).

1- (1) تهذیب التهذیب: ج 8، ص 387.

2- (2) الآداب الشرعیة: ج 2 ص 159.

3- (3) نفس المصدر.

وصفة القاصّ فی الکوفة وردت کذلک فی کردوس بن عمرو، حیث ینقل البزّاز فی روایته فی البحر الزخّار(1) من طریق روح بن عبادة قال: «أخبرنا شعبة قال: أخبرنا عبد الملک بن میسرة قال: سمعت کردوس بن عمرو قال: سمعت رجلاً من أهل بدر، قال شعبة: أراه علی بن أبی طالب، أنّ رسول الله صلی الله علیه و آله قال: «لأن تفصّل المفصّل أحبّ إلیّ من کذا باباً» قال شعبة: فقلت لعبد الملک: أیّ مفصّل؟ قال: القصص، ثمّ قال البزّاز: ولا نعلم روی کردوس بن عمرو عن علی إلاّ هذا الحدیث».

وقد ذکر ابن حبّان فی الثقات ما یشعر أنّ کردوس بن عمرو کان قاصّاً، حیث یقول: «کردوس بن عمرو الثعلبی، کنیته أبو نعیم، وکان یقرأ الکتب ویحکی عن الإنجیل والتوراة، روی عنه أبو وائل، وقد قیل: کنیته أبو وائل»(2).

والمتعارف علیه أنّ الحکایات التی تحکی فی تلک الحقبة إنّما کانت عبارة عن حکایات وقصص الیهود والنصاری فی الإنجیل والتوراة، ومن ثم تکون هذه الروایة التی تتحدّث عن کردوس بن عمرو هی بمضمونها نفس تلک التی تتحدّث عن کردوس بن قیس، أمّا کردوس بن العباس وکردوس بن هانئ التغلبی فقد ذکرهما البخاری فی تاریخه الکبیر، وعلق علیهما بأنّ کردوساً کان قاصّ الجماعة، وهو الکوفی، ثمّ بعد ذلک ذکر کردوس بن عمر الذی عبر عنه بالذی یقرأ الکتب، وهذا نصّ کلامه: «کردوس بن عباس التغلبی، قاله أشعث بن سوار، وقال زائدة بن منصور: کردوس بن هانئ التغلبی، وقال محمد بن بشّار، عن أزهر

1- (1) البحر الزخّار: ج 3 ص 130.

2- (2) الثقات لابن حبّان: ح 5139.

ابن عون قال: رأيت كردوساً التغلبى وكان قاصّ الجماعة، وهو الكوفى، وقال سليمان بن حرب، عن شعبة، عن عمرو بن مرّة، عن أبى وائل، عن كردوس بن عمرو: وكان يقرأ الكتب».(1)

وممّا تقدّم يتبيّن أنّ صفة القاصّ التى ذكروها للشهيد الكربلائى، تارة يطلقونها لكردوس بن قيس كما فى الآداب الشرعية، وتارة أخرى لكردوس بن عمرو كما فى البحر الزخّار، ومرّة لكردوس بن العباس وكردوس بن هانئ كما يفهم ذلك من البخارى فى تاريخه، ممّا يعنى أنّهم يتحدّثون عن شخصية واحدة، غاية ما فى الأمر اختلفت الروايات فى اسم الأب، إمّا لاختلاف النسخ أو لسبب آخر ربما لا نعرفه.

ومن أجل هذا صار بعضهم حينما يتحدّث عن الشهيد يترك الحديث عن اسم أبيه والاختلاف فيه، ويكتفى بكردوس التغلبى، لشهرته.

يقول أبو حاتم: «أمّا على بن المدينى فجعل كردوس بن عمرو على حدة وكردوس بن هانئ على حدة وكردوس بن العباس على حدة، قال ابن أبى حاتم: سألت أبى عن ذلك (يعنى عن أنهم شخصيّات ثلاثة وليست واحدة) فقال: فيه نظر، وقال الدورى، عن ابن معين: كردوس التغلبى مشهور»(2).

وأخيراً ذكر ابن الأثير فى أسد الغابة بعد ذكر الاختلاف فى ذكر الأب، هل هو عمرو أم غيره: «قلت: أخرج أبو موسى حديث من أحيا ليلتى العيدين، فى هذه

1- (1) التاريخ الكبير: ص 557.

2- (2) تهذيب التهذيب: ص 1310 (من اسمه كدام وكردوس وكرز).

الترجمة، وأفردها عن ترجمة كردوس بن عمرو، وهذا الحديث قد أخرجه أبو نعيم فى ترجمة كردوس بن عمرو، فدلّ ذلک على أنّهما واحد، فلا أعلم من اين علم أبو موسى أنّهما اثنان وقد جعلهما أبو نعيم واحداً، ولم يذكر إلاّ الأول، لاسيّما وهذا الاسم ممّا تقلّ به التسمية».(1)

نسب الشهيد كردوس

أمّا النسب الذى يرجع اليه، فمشهور العلماء عند الفريقين يذهب إلى أنّه تغلبى، فقد ذكره ابن سعد فى الطبقات بالتغلبى(2) وكذلک البخارى فى التاريخ الكبير(3) وابن حِبّان فى الثقات(4) والمزّى فى تهذيب الكمال(5) وآخرون.

نعم، هناک من ذهب إلى أنّه ثعلبى، ولكن هذه النسبة إمّا تذكر بعد ذكر النسبة الأولى (بقليل) مثلاً، فتكون ضعيفة وغير متبنّاة، بخلاف النسبة الأولى.

وإما أنّ تذكر فى البداية، كما ذهب إلى ذلک البعض، مثل الذهبى فى الكاشف(6) حيث ذكره أولاً ثمّ ذكر بعد ذلک مباشرة: ويقال التغلبى.

ومع ذلک فإنّ من تبنّى أنّه ثعلبى جماعة قليلة فى قبال التغلبى الذى ذهب إليه مشهور العلماء، هذا كلّه فى خصوص المدرسة الثانية.

1- (1) أسد الغابة، باب الكاف - كردوس.

2- (2) ابن سعد، الطبقات: ص 183.

3- (3) التاريخ الكبير، باب الكاف (1035).

4- (4) ابن حبّان فى الثقات: ج 1 ص 197.

5- (5) تهذيب الكمال للمزّى: ص 1144.

6- (6) الكاشف: 4652.

وأمّا على أساس علماء مدرسة أهل البيت فقد أجمعوا على أنّ نسبه هو التغلبى، إلاّ اللهمّ ما ذكره صاحب الهامش على كتاب نقد الرجال، للسيد مصطفى الحسينى بقوله: فى نسختى (م) و (ت) الثعلبى(1). ممّا يقوى فى النفس أنّ الثعلبى إنّما هى تصحيف عن التغلبى، وبما أنّ الشهيد قد اتّفق على أنّ اسمه كردوس ونسبهُ التغلبى كما تقدّم، فقد ارتأينا ذكره ب - «الشهيد كردوس التغلبى» فقط.

قبيلة الشهيد

لقـد كانت قبيلة بنى تغلب منجبة للأبطال والفرسان والشـعراء والأدباء، ولقد عرفت بين العرب بأنّها قبيلة عزيزة الجانب، أبيّة عصـيّة لا يكبح جماحهـا إلاّ متسـلّط بجبروت، وكـانت تحمل فى نفس الوقت أنفـة وفخراً كبيرين نتيجـة لما كانت تملكه من تاريـخ عظيم من البطولات والأمجاد ولهذا كلّه كانت اذا ما أرادت أن تنزل فى مكان ما، لا تهاب أحداً ولا تخشـى من شىء، حيث كانت تنزل حيثما هطل المطر، كلّ ذلک لعزّتها ومنعتها وقوة بأسها.

وقـد اشـتهر من قبيلـة تغلب جماعة منهم كليب الذى كان يحمى مواقع السـحاب، وأخوه البطل المهلهل، وكلثوم بن مالک أفرس العرب، والأخطل والقطامى، وكعب وعمير أبناء جعيل والعتابى فى الاسـلام(2). فضـلاً عن عمرو بن كلثوم قاتل عمرو بن هند، وهو نار على علم، حيث عرفه كلّ صغير وكبير، لشعره

1- (1) نقد الرجال: ج 4 ص 4274.

2- (2) مجلة النبأ (عدد 57) شهر صفر 1422 ه - أيار 2001 م (مقال: من أعلام الشيعة سيف الدولة الحمدانى).

ولبأسه وقوته وسداد رأيه، حيث مَلّكه قومه وعمره 15 سنة، ولقد كان من فخر هذه القبيلة أن قال عمرو بن كلثوم فى معلّقته الرائعة:

وإنّا الحاكمون بما أردنا وإنّا النازلون بحيث شينا

وإنّا النازلون بكلّ ثغرٍ يخاف النازلون به المنونا

إذا ما الملك سام الناس خسفاً أبينا أن نقرّ الخسف فينا

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ملأنا البرّ حتى ضاق عنا وموج البحر نملؤه سفينا

اذا بلغ الفطام لنا رضيعٌ تخرّ له الجبابر ساجدينا

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا

وينقل أن هذه القصيدة كانت تزيد على الألف بيت، «وكانت بنو تغلب يعظّمونها ويرويها صغارهم وكبارهم، لما حوته من الفخر والحماسة مع جزالتها وسهولة ألفاظها وحفظها»(1).

ومع كونهم من صميم العرب إلاّ أنّهم كانوا قد تأثّروا بالروم والمسيحية، حتى عرفت هذه القبيلة بأنّها من القبائل المسيحية، واستمرّوا على ذلک حتى جاء الإسلام، كما يؤكّد على ذلک ابن قيّم الجوزية.(2)

فعبّر عنهم فى الروايات بأنّهم نصارى العرب، إضافة إلى آخرين أمثال نصارى نجران، وهؤلاء لم يدخل منهم الكثير فى الإسلام بل دخل منهم القليل، وينقل أنّهم جاءوا إلى رسول الله فى عام وفود القبائل العربية فى السنة التاسعة

1- (1) أشعار الشعراء الستة للأعلم الشنتمرى: ص 98.

2- (2) أحكام أهل الذمة لابن القيم الجوزية: ص 26.

للهجرة أو العاشرة، حيث يقول ابن سعد فى الطبقات(1): «إنّ ستة عشر رجلاً من بنى تغلب مسلمين ونصارى، وفدوا إلى رسول الله عليهم صُلب الـذهب، فنزلوا دار رملة بنت الحارث، فصالح رسول الله صـلى الله عليه و آله النصارى على أن يقرّهم فى دينهم على أن لا يصـبغوا أولادهم فى النصرانية، وأجاز المسلمين منهم بجوائزهم».

وإنّما اشترط رسول الله صـلى الله عليه و آله عليهم ذلک لأنّ النصارى كانوا يغسـلون أولادهم فى الماء بعد ولادتهم، بل وحتى الحوامل، ويعتقدون بذلک أنّهم سوف يتطهّرون من إثم آدم وبنيه، لأنّ هذا الماء هو الماء الذى ولد فيه عيسـى عليه السلام، وتسمى هذه العملية عند المسيح بالتعميد.

وهنا يقف القرآن الكريم موقفاً حازماً مبيّناً لهم أنّ هـذه العملية لا يمكن بأىّ حال من الأحوال أن تعطى الطهارة للإنسان، لأنّ الطهارة أمرٌ معنوى يأتى للإنسان من داخله، من خلال تفاعله مع قيم السـماء وأخلاق الرسالـة، ولو غمس الإنسان نفسه بالماء الأصـفر الذى يعدّوه فى حوض ألف مرّة، بل فى جميع المياه ولو كانت مياه البحار والمحيطات، فإنّ هـذا سوف لا يزيل أىّ شـىء من النجاسات الخُلُقيّـة عن نفس هذا الإنسان وعقله وقلبه.

ومن ثم فإنّ التطهّر بالطريقة التى يؤمنون بها هو ضـرب من الخرافة وسخافة للعقل البشرى، وذلک أن التخلّص من كلّ موروثه الذى يحمله خلال دقائق فى الماء هو أمر غير عقلائى. يقول القرآن الكريم:

«قُولُوا آمَنّا بِاللّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ»

1- (1) الطبقات: ج 1 ص 143.

«وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ ما أُوتِيَ مُوسى وَ عِيسى وَ ما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما هُمْ فِي شِقاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * صِبْغَةَ اللّهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَ نَحْنُ لَهُ عابِدُونَ 1» .

ويقول الشيخ الطبرسى فى كتابه مجمع البيان، فى تفسير هذه الآية: «صبغة الله مأخوذة من الصبغ، لأنّ بعض النصارى كانوا إذا ولد لهم مولود غمسوه فى ماء لهم يسمونه المعمودية، يجعلون ذلک تطهيراً له، فقيل صبغة الله، أى تطهير الله لا تطهيركم بتلک الصبغة» ثمّ يقول «وإنّما سمّى الدين صبغة لأنّه هيئة تظهر بالمشاهدة من أثر الطهارة والصلاة وغير ذلک من الآثار الجميلة التى هى كالصبغة»(1).

ويقول الطبرى فى تفسيره: «يعنى تعالى ذكره بالصبغة، صبغة الإسلام، وذلک أنّ النصارى إذا أرادت أن تنصّر أطفالهم جعلتهم فى ماء لهم تزعم أنّ ذلک لها تقديس بمنزلة غسل الجنابة لأهل الإسلام، وأنّه صبغة لهم فى النصرانية، فقال الله تعالى ذكره اذ قالوا لنبيه محمد وأصحابه المؤمنين به:

«كُونُوا هُوداً أَوْ نَصارى تَهْتَدُوا» .

قل لهم يا محمد: أيّها اليهود والنصارى، بل اتّبعوا ملّة إبراهيم صبغة الله التى

1- (2) مجمع البيان: ج 1 ص 138.

هی أحسن الصبغ، فإنّها هی الحنیفیة المسلمة، ودعوا الشرک والضلال عن محجّة هداة»(1).

ومن هنا نعرف أنّ ما طلبه رسول الله صلی الله علیه و آله منهم کان لا یؤثّر علی أهل النصرانیة ولا علی اختیارهم لها، وإنّما کان الموضوع ینصبّ علی رفع مستوی عقولهم ومستوی تفکیرهم فی جزئیة صغیرة کانوا یتمسّکون بها فی حیاتهم.

نعم وردت فی بعض الروایات أنّ النبی صلی الله علیه و آله صالحهم علی أن لا ینصّروا أبناءهم، أو بتعبیر آخر أن لا یصبغوا أولادهم فی النصرانیة، کما فی الروایة التی یذکرها ابن کثیر فی البدایة والنهایة «أنّهم کانوا ستة عشر رجلاً مسلمین ونصاری علیهم صلب الذهب، فنزلوا دار رملة بنت الحارث فصالح رسول الله صلی الله علیه و آله النصاری علی أن لا یصبغوا أولادهم فی النصرانیة، وأجاز المسلمین منهم»(2) وهذه الروایة وأمثالها فی التعبیر لا یمکن قبولها لأسباب منها:

1 - إنّ ذلک یخالف نصّاً صریحاً واضحاً فی القرآن الکریم یقول:

«لا إِکْراهَ فِی الدِّینِ 3» .

وما یذکرونه فی هذه الروایة فیه اکراه لهذه الفئة فی عدم تنصیر أبنائهم، ومن ثم هم لابدّ أنّ یقبلوا من أجل أن یعیشوا، فتنتهی بهم الحال إلی دخول الإسلام، ولکن لا بشکل اختیاری وإنما جبری مفروض علیهم، وهذا ما لا یقرّه

1- (1) تفسیر الطبری، تفسیر آیة: 138.

2- (2) البدایة والنهایة ج 5، هامش ص 108، وفیه (یضیّعوا) بدل (یصبغوا) وهو تصحیف.

الإسلام أبداً.

2 - لو صحّت هذه الرواية لكان بنو تغلب قد تحوّلوا جميعاً إلى الإسلام ولم يبق لهم فى المسيحية ذكر، وهذه الفرضية لا يمكن قبولها، لأنّ المؤرّخين يجمعون على أنّ بنى تغلب بقوا على نصرانيتهم إلى مدّة ليست بالقليلة، ربّما استمرت طيلة الحقبة الأموية(1) وجزءًا من الحقبة العباسية إلى أن حصل الانقلاب الطبيعى بحكم معيشتهم مع المسلمين وتأثّرهم بهم بشكل تدريجى، حتى آمنوا اختياراً لا اضطراراً.

ولهذا كلّه وغيره قلنا بأنّ مثل هذا التعبير لا يقبل فى هذه الرواية، ويقبل ما جاء فى الرواية الأولى لأنّه موافق للقرآن والسنّة وأحداث التاريخ والواقع، ولقد ذكر الطبرسى تأييداً لما ذكرنا فى تفسير الآية: 138 من سورة البقرة قوله: «أخذ العهد من بنى تغلب أن لا يصبغوا أولادهم، أى لا يلقّنونهم النصرانية، لكن يدعونهم حتى يبلغوا فيختاروا لأنفسهم ما شاؤوا من الأديان»(2).

نعم رووا نفس هذه الرواية عن عمر أنّه صالح بنى تغلب فى حياته على أنّ لا ينصّروا صبيانهم، وأن يدفعوا ضعف ما يدفعه المسلمون من الصدقة، حيث ينقل ابن حزم فى المحلّى(3) عن طريق هشيم، «عن المغيرة بن مقسم، عن السفّاح ابن المثنى، عن زرعة بن النعمان أو النعمان بن زرعة أنّه كلّم عمر فى بنى تغلب

1- (1) خزانة الأدب لعبد القادر البغدادى: ص 1415.

2- (2) تفسير الطبرسى، تفسير آية: 138.

3- (3) المحلّى لابن حزم: ج 2 م (701).

وقال له: إنّهم عرب يأنفون من الجزيـة، فلا تعن عـدوّک بهم، فصالحهم عمر على أنّ اضـعف عليهم الصدقة واشترط عليهم أن لا ينصّـروا أبناءهم».

والكلام فى هـذه الرواية هو عين الكلام عن الرواية السابقة حيث ذكرت تنصـير الأبناء فضـلاً عن الحكم فى تضـعيف الصدقة من قبل عمر عليهم، وهذا ما تفرّد به عمر ولم يقل به أحد قبله، حيث خالف صريح القرآن بقوله:

«حَتّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صاغِرُونَ 1» .

وخير ما قرأت فى ردّ حـديث عمر المتقـدّم هو قول ابن حزم فى المحلى: «هـذا كلّ ما موّهوا به، وهـدموا به أكثر أصولهم، لأنّهم يقولون لا يقبل خبر الآحاد الثقات التى لم يجمع عليها فيما إذا كثرت فيه البلوى، وهـذا أمر تكثر فيه البلوى ولا يعرفه أهل المدينـة وغيرهم، فقبلوا فيه خبراً لا خير فيه، وهم قـد ردّوا بأقلّ من هذا خبر الوضوء من مسّ الذكر، ويقولون لا يقبل خبر الآحاد الثقات اذا كان زائداً على ما فى القرآن أو مخالفاً له، وردّوا بهذا حديث اليمين مع الشاهد وكذبوا ما هو مخالف لما فى القرآن، ولا خلاف للقرآن أكثر من قوله تعالى:

«حَتّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صاغِرُونَ» .

فقالوا: هم إلاّ بنى تغلب فلا يؤدّون الجزية ولا صـغار عليهم، بل يؤدّون الصدقة مضاعفة عليهم، فخالفوا القرآن والسـنن المنقولة كافة بخبر لا خير فيه، وقالوا: لا يقبل خبر الآحاد الثقات اذا خالف الأصول، وردّوا بـذلک خبر القرعـة فى الأعبـد السـتة، وخبر المصـراة، وكـذّبوهما مخالفين للأصول بل هما أصلان من كبار

الأصول، وخالفوا هاهنا جميع الأصول فى الصدقات، وفى الجزية بخبر لا يساوى بعرة، وتعللوا بالاضـطراب فى أخبار الثقات، وردّوا بذلک خبر لا تحرم الرضعة ولا الرضعتان وخبر قطع إلاّ فى ربع دينار فصاعداً، وأخذوا هاهنا بأسقط خبر وأشدّه اضطراباً، لأنه يقول مرّة عن السفّاح بـن مطرف، ومرّة عن السـفاح بن المثنى، ومرّة عن داود بن كردوس أنّه صالـح عمر على بنى تغلب، ومرّة عن داود بن كردوس عن عبـادة بن النعمان أو زرعـة بن النعمان أو النعمان بن زرعـة أنّه صالح عمر، ومع شدّة الاضـطراب المفرط فإنّ جميع هؤلاء لا يدرى أحد من هم من خلق الله تعالى؟

وكم قضيّة خالفوا فيها عمر ككلامه مع عثمان فى الخطبة ونفية الزنا، وإغرامه فى السرقة قبل القطع، وغير ذلک.

وقد صحّ عن عمر بأصحّ الطرق – من طريق عبد الرحمن بن مهدى، عن شعبة، عن الحكم بن عيينة، عن إبراهيم النخعى، عن زياد بن حدير قال: أمرنى عمر بن الخطاب أن آخذ من نصارى بنى تغلب العشـر، ومن نصارى أهل الكتاب نصف العشـر، قال أبو محمد: فكما لم يسقط أخذ نصف العشـر من أهل الكتاب الجزية عنهم، فكذلک لا يسـقط اخذ العشر من بنى تغلب أيضاً الجزية عنهم، وهذا أصحّ قياس لو كان شىء من القياس صـحيحاً فقـد خالفوا القياس أيضاً، ثمّ لو صـحّ وثبت لكانوا قـد خالفوه، لأنّ جميع من رووه عنه أولهم عن آخرهم يقولون كلّهم: إنّ بنى تغلب قـد نقضوا تلـک الذمـة فبطـل ذلـک الحكم، ورووا ذلک أيضاً عن على عليه السـلام فخالفوا عمر وعليا والخبر الـذى احتجّوا به والقرآن والسنن، فى أخذ

الجزية من كلّ كتابى فى أرض العرب، وغيرها كهجر واليمن وغيرهما فعل الصحابة والقياس، ونعوذ بالله من الخذلان»(1).

فقد ثبت فيما تقدّم أنّ فى هذه الرواية وأمثالها من المخالفات ما لا يمكن بأىّ حال من الأحوال قبوله، نعم ربّما تكون الرواية التى رواها ابن الشهيد الكربلائى داود بن كردوس هى الأقرب إلى الواقع، والمتماشية مع حكم رسول الله فى أن لا يصبغوا أولادهم، وأن يأخذ منهم الجزية لا الصدقة.

وبهذا يقول السيد مرتضى العسكرى فى معالم المدرستين، وهو يتحدّث عن خطبة لأمير المؤمنين ذكرها بعد توليّه الحكم بعد الخلفاء الثلاثة، وشكواه بأنّهم خالفوا سنناً لرسول الله فأخذ الإمام فى الحديث عنها بشكل مفصّل، وإنّه حاول أن يرجع الأمور إلى سابق عهدها، كما هى فى زمن رسول الله، فكان أن عدّد فيما عدّد «وسبيت ذرارى بنى تغلب»(2).

يقول فى الهامش عن عبارة الإمام التى ذكرها «لأنّ عمر رفع عنهم الجزية، فهم ليسوا بأهل ذمة، فيحلّ سبى ذراريهم، كما روى ذلك عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «إنّ بنى تغلب من نصارى العرب، أنفوا واستنكفوا من قبول الجزية، وسألوا عمر أن يعفيهم عن الجزية ويؤدّوا الزكاة مضاعفة، فخشى أن يلحقوا بالروم، فصالحهم على أن صرف ذلك على رؤوسهم وضاعف عليهم الصدقة»(3).

1- (1) المحلّى: ج 2 مسألة (701).

2- (2) معالم المدرستين: ج 2 ص 353.

3- (3) الهامش رقم: 8 معالم المدرستين: ج 2 ص 353.

بنو تغلب ودولة الحمدانيين

والعجيب فى هذا الأمر أنّ هذه القبيلة التى كانت عصيّة وأبت الدخول فى الإسلام إلاّ قليلاً منها تحولت بعد ذلک وبشكل طوعى إلى قبيلة طابعها العامّ هو الإسـلام، وليس هذا فقط، بل والولاء لأهل البيت، حيث عرفوا بعد ذلک بأنّهم من الشـيعة، بل واسـتطاعوا أن ينشـئوا دولة عرفت بدولة الحمدانيين أو ما يعرف بالدولة الحمدانية فى الموصل وحلب.

وبالاتّفاق ينتسب الحمـدانيون إلى تغلب حينما تحوّلوا فى نهايـة القرن الثالث إلى مسـلمين، ويذكر حسن إبراهيم حسن فى كتابه(1) «إنّه: اضـطرّ قسم كبير من بنى تغلب إلى الهجرة، فهاجروا إلى البحرين، وبقى جزء منهم فى الجزيرة وبلاد العراق، وهذا القسم هو الذى قاد لواء اليقظة الفكرية والسياسية فى أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع، والذى ترأس هذه اليقظة هم بنو حمدان من تغلب».

ولا يشكّ كذلک أحد فى أنّ هذه الدولة كانت شـيعية موالية لأهل البيت عليهم السـلام، ولقد ظهر مثل هذا الأمر واضحاً من خلال هجرة العلماء الشـيعة اليها، إضافـة إلى أنّ سـيف الدولة ضـرب على سـكّة الدينار لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله، على ولىّ الله، فاطمة، حسن، حسين، وجبرئيل.

ويقول ابن النديم(2): «كان الحمدانيون شيعة ولكن فى غير غلوّ، وكان سيف الدولة نفسه يتشيّع، فغلب على أهل حلب التشيع».

1- (1) تاريخ الإسلام: ج 3 ص 122.

2- (2) بغية الطلب فى تاريخ حلب لابن النديم: ج 1 ص 134.

ويقول المتنبى:

يا سيف دولة ذى الجلال ومن له خير الخلائق والأنام سمىّ

أو ما ترى صفّين كيف أتيتها فانجاب عنها العسكرُ الغربىّ

فكأنّه جيش ابن حربٍ رُعْتَهُ حتى كأنّك يا علىّ علىّ (1)

حين كان اسم الخليفة الحمدانى على بن أبى الهيجاء، وكان شيعياً يطرب اذا شُبِّهَ بعلى بن أبى طالب.

ثمّ أنّ أبا فراس الحمدانى، الشاعر الكبير المعروف، كان يدلّل فى شعره على أنّه شيعى واثنا عشرى، مع أنّ الذى ربّاه وهو طفل وعلمه من خلال اختيار معلّم له، هو سيف الدولة الحمدانى.

وربما من هنا بالذات نستطيع أن نفسر وجود التشيّع فى حلب وفى مصر(2) ، كذلك كما يؤكّد على ذلك دائرة المعارف الشيعية(3) ، وكذلك كتاب حلب والتشيّع.(4)

ولقد كان للدولة الحمدانية الدور الكبير فى ازدهار الثقافية الإسلامية فى حلب وغيرها، من خلال نبذ التعصّب المذهبى، وتشجيعهم على العلم والفكر، وبخاصة من قبل سيف الدولة، والتضحيات والمواقف المشرّفة التى كانت للحمدانيين فى تصدّيهم للروم.

1- (1) نفس المصدر.

2- (2) من خلال الدولة الكبيرة التى أقيمت هناك والتى سمّيت بالدولة الفاطمية، تيمّناً بالزهراء.

3- (3) دائرة المعارف الشيعية: ج 4 ص 57.

4- (4) ص 87.

مواقف الشهيد فی صفّين

الموقف الأول: ونلمح للشـهيد موقفاً عظيماً كبيراً يدلّ على وعی وبصـيرة نافذين، حيث كانت الأمور واضحة والمحجّة بيّنة عنده، فنلمح له موقفاً فی وقت عصيب فی فتنة كبيرة، وذلک حينما رفعت المصاحف من قبل جيش معاوية بن أبی سفيان من خلال مكيدة عمرو بن العاص الشـهيرة، ومـا أن رفعت المصـاحف فوق الرمـاح حتی انقسم القوم إلی قسـمين قسم مـاجوا وقالوا: اكلتنا الحرب وقتلت الرجال، وقال قوم آخرون: نقاتـل علی ما قاتلناهم عليه بالأمس، ولكن كان أصـحاب هـذا القول هم الأقلّ، ثمّ رجعت حتی هـذه القلّـة عن قولها ومالت إلی الموادعـة، وعنـدها قام أمير المؤمنين وقال: «إنّه لم يزل أمری معكم علی ما أحبّ، إلی أن أخـذت منكم الحرب، وقـد والله أخـذت منكم وتركت، وأخـذت من عـدوّكم فلم تترک، وإنّها فيهم أنكی وأنهک، ألا إنّی كنت بالأمس أمير المؤمنين، فأصـبحت اليوم مأموراً، وكنت ناهياً فأصـبحت منهيّاً، وقد أحببتم البقاء وليس لی أن أحملكم علی ما تكرهون» فأیّ غيور لا يشـعر فی قلبه الحسـرة والأسف حين سـماعه لهذه الكلمات وهو يری الشخصـية الأولی بعد رسول الله ++++ عليهما السـلام تعيش كلّ هذا الحزن والإحباط بعد فشل مشـروعه الكبير الذی أراد من خلاله حفظ كرامـة الأمّة واسترداد عزّتها وهيبتها ومجدها، وإذا بها لا تقبل إلاّ الهوان ولا ترضـی إلاّ بالذل وهی تجنح إلی السـلام المهين مجبرة وقـد مـدّت يد الصـلح إلی يد طالما قطعت أوصال الاسـلام إربا إربا، وهـم يعلمون ذلک، ولكن ويالالأسف كانوا لا يحملون إرادة كافية تجعلهم يقفون موقف الصلب المدافع، واذا بعلی بن أبی

طالب يجلس وفى ذلک الوقت بالـذات وهو يرى التخاذل قد وصل إلى أعلى درجاته ممّا دعاه إلى الرضوخ للأمر الواقع فقد أكلت الحرب وأخـذت الكثير، ولم يعودوا قادرين حتى على رفع السـيف فضـلاً عن المقاتلـة به، وبعـد أن جلس أمير المؤمنين متألّماً قام رؤساء القبائل، يقول ابن مزاحم، فى قعة صفّين:

خطبة الشهيد كردوس فى صفين

فأمّا ربيعة، وهى الجبهة العظمى، فقام نيابة عنها الشـهيد الكربلائى العظيم كردوس بن هانى فقال: «أيّها الناس، إنّا والله ما تولّينا معاوية منذ تبرّأنا منه، ولا تبرّأنا من على منذ توليناه، وإنّ قتلانا لشـهداء وإن أحياءنا لأبرار، وإنّ علياً لعلى بيّنة من ربّه ما أحدث إلاّ الانصاف، وكلّ محقّ منصف، فمن سلّم له نجا ومن خالفه هلک»(1).

وهذا النصّ الكريم من الشهيد الكربلائى يبيّن نقاطاً مهمّة فى ظرف هامّ ومهمّ، حيث يتحدّث عن الولاء للحقّ والبراءة من الباطل، وإنّ هذا المفهوم العظيم قد اختمر فى ذهنه وراح يطبّقه فى حياته ضمن ما يرى من مصاديق، وها هو يرى الحقّ الذى يقول عنه رسول الله «على مع الحقّ، والحقّ مع على»، وينادى ويسـتغيث من أجل نصـرته، فيقف إلى جانبه، ويرى الباطل متمثّلاً بمعاوية والذى جاء يريد أن يفتک، هو ومن قبله أبوه وبنوه من بعده، بالإسلام، بل ونبىّ الإسلام.

ويأبى الشهيد إلاّ أن يقف مع الحقّ ضدّ هذا الباطل، وقد كشف الشهيد عن

1- (1) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ص 485.

مدى وعيه لهذا المبدأ ومدى تشخيصه لمصاديقه الخارجية بقوله: «إنّا ما تولّينا معاوية منذ تبرّأنا منه» وهذه إشارة إلى البراءة من الباطل ومن أهله والمنتسبين اليه حتى ولو رفعوا شعار الحقّ ظاهراً ليموّهوا على الناس.

ثم أشار بقوله «وما تبرّأنا من على منـذ أن تولّيناه» إلى مبدأ الولاية التى أُمرنا بالتمسّک بها مهما كانت الظروف والأحوال، لأنّ بها وفيها ومن خلالها يحفظ الإسـلام والدين بمبادئه وقيمه التى أراد الله أن ينشـرها بين الناس، وقد شـخصت هذه الولاية من قبل الشـهيد الكربلائى فى صفّين بعلى بن أبى طالب ومن بعده بالحسن المجتبى ومن بعده بالحسين الشهيد بكربلاء حيث انتهت حياته بين يديه.

ثم يقول:«وإنّ قتلانـا لشـهداء» لأنّهم أصـحاب الحقّ، وأصـحاب الحقّ دائماً هم الشـهداء عنـد ربّهم حتى لو لم يستشـهدوا، فإنّهم الأبرار الصدّيقون.

ثمّ يؤكّد على حقيقـة مهمّـة وهى قوله «وإنّ علياً على بيّنـة من ربّه» يعنى أنّ علياً لم يتحرّک لهوى ولم يتحرّک بـدوافع عصبية أو جاهلية أو لوجود حسّاسـية بينه وبين معاوية، وإنّما هى مواقف الإسلام ومواقف الرسالة التى وقفها قبل على رسول الله صلى الله عليه و آله فى تصدّيه للمشركين والمنافقين، ومصداقاً لقوله تعالى على لسان النبى صلى الله عليه و آله:

«قُلْ إِنِّى عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى1» .

ومن ثم فإنّ حركة على لا تريد لهذه الأمة إلاّ تحقيق العدالة وحفظ

الحقوق، ولـذلک يقول «ما أحدث إلاّ الإنصاف» وبما أنّ كلّ محقّ منصف، فإذاً هو لا يبالى بالجموع، وعلينا نحن كذلک أن لا نبالى بكثرة أهل الباطل اذا كنا نعيش الوعى والبصيرة، فلماذا إذاً كلّ هذا الخذلان.

ثمّ يختمها بقوله: «فمن سلّم له نجا، ومن خالفه هلک وفى الآخرة عذاب الله والخزى»

حضور الشهيد كردوس الاجتماعى

ولا شكّ أنّ الشـهيد الكربلائى بوقوفه نيابة عن ربيعة وهى القبيلة العصـيّة وصاحبة المنعة ليكشف وبشـكل قاطع مدى حضوره الاجتماعى الكبير بين قومه، بل فى المجتمع ككلّ. فلمّا بلغ معاويـة مقالة كردوس لقومه تألّم ألماً شديداً، لعلمه أنّ ربيعة لها دور كبير فى القتال، حتى أنّه لينقل عن معاوية قوله: «ما لقيت من أحد ما لقيت من ربيعة» وهنا ينقل التاريخ لنا أبياتاً من الشـعر تكشف عن صلابة هذا الرجل ودوره فى صفّين:

لن يهلک القوم ان تبدى نصيحتهم إلّا شقيقٌ أخو ذهلٍ وكردوس

وابن المعمّر لا تنفكّ خطبته فيها البيان وأمر القوم ملبوس

أمّا حريثٌ فإن الله ضلّله إذ قام معترضاً والمرء كردوس

طأطأ خضينٌ هنا فى فتنةٍ جمحت إنّ ابن وعلة فيها كان محسوس

منّوا علينا ومنّاهم وقال لهم قولاً يهيج له البزل القناعيس

كلّ القبائل قد أدى نصيحته إلّا ربيعة رغم القوم محبوس(1)

1- (1) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ص 468.

وقال شاعر آخر وهو النجاشی:

إنّ الأراقم لا یغشاهم بوسٌ ما دافع الله عن حوباء کردوس

نمته من تغلب الغلبا فوارسها تلک الرؤوس وأبناء المرائیس

لن تدرکوا الدهرَ کردوساً وأسرته أبناء ثعلبة الحادی وذو العیس

ویقول خالد بن المعمر:

شقیقٌ وکردوس ابن سیّد تغلب وقد قام فیها خالد بن المعمّر(1)

2 – وهناک موقف آخر للشهید فی صفّین یکشف عن مدی حبّه للإمام وتمسکه به مهما کانت الظروف، وذلک فی الوقت الذی قام فیه عمرو بن العاص وتکلم وقال: إنّ هذا قد خلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه کما خلعه وأثبت صاحبی معاویة فی الخلافة، فإنّه ولیّ عثمان والطالب بدمه وأحقّ الناس بمقامه، فقال أبو موسی: مالک قد غدرت وفجرت، إنّما مثلک مثل الکلب إن تحمل علیه یلهث أو تترکه یلهث فقال عمرو: إنّما مثلک کمثل الحمار یحمل أسفاراً وحمل شریح بن هانئ علی عمرو فقنّعه بالسوط، وحمل علی شریح ابن عمرو فقنّعه بالسوط، وقام الناس فحجزوا بینهم فکان شریح یقول: ما ندمت علی شیء ندامتی إلاّ أکون ضربت عمروا بالسیف بدل السوط ولکن أتی الدهر بما أتی به. والتمس أصحاب علی علیه السلام أبا موسی فرکب ناقته ولحق بمکّة، وکان ابن عباس یقول: قبّح الله أبا موسی، لقد حذّرته وهدیته إلی الرأی فما عقل، یقول نصر: ورجع عمرو إلی منزله فی دومة الجندل فکتب إلی معاویة:

1- (1) نفس المصدر.

أتتک الخلافة مزفوفةً هنيئاً مريئاً تقرّ العيونا

فلمّا سمع الشهيد كردوس بذلک قام مغضباً وقال أبيات تدلّ على حرصه على الإسلام والإمام:

ألا ليت من يرضى من الناس كلّهم بعمرو وعبد الله فى لجّةِ البحر

رضينا بحكم الله لا حكم غيره وبالله ربّاً والنبىّ وبالذكر

وبالأصلع الهادى علىٍّ إمامنا رضينا بذاک الشيخ فى العسر واليسر

رضينا به حيّاً وميتاً وإنّه إمام هدىً فى الحكم والنهى والأمرِ

فمن قال لا قلنا بلى إنّ أمره لأفضل ما نعطاه فى ليلة القدر

وما لابن هندٍ بيعةٌ فى رقابنا وما بيننا غير المثقّفةِ السمر

وضربٌ يزيل الهام عن مستقرّه وهيهات هيهات الرضا آخر الدهر

أبت لى أشياخ الأراقم سبّه أُسبّ بها حتى أُغيّب فى القبر(1)

ويا لها من أبيات عظيمة قد حوت علماً ومعرفة وتجربة وسلوكاً وشجاعة فى أعلى مستوياتها، فهنيئاً للشهيد وعيه، فإنّ أمثال هؤلاء هم الذين حفظوا لنا الإسلام ونقلوه الينا صحيحاً معافى، وهؤلاء هم القدوات التى دعينا للاقتداء بهم والسير على نهجهم، ولهذا وفّقه الله إلى أن يكون أحد الشهداء العظام فى معركة الطفّ العظيمة، وما أحوجنا فى وقتنا هذا إلى أن نعيش الوعى والبصيرة فى مذهبنا وديننا ونحن نرى ونسمع ونقرأ ونلمس الخناجر تترى فى خاصرة الموالين والمسلمين من داخلنا وخارجنا لتسقيط هذا المذهب العظيم وتدمير الإسلام وتشويه صورته.

1- (1) وقعة صفين/ص 548.

مـا أحوجنا إلى أن نكون على قـدر المسؤوليـة فنبـذل قصارى جهـدنا كلّ بحسـبه؛ العالم بعلمه، والمؤمن بسـلوكه، والشابّ بوعيه، والمرأة بالتزامها، وهكـذا، ولا نسـقط تحت تأثير شـبهات هؤلاء المغرضـين الـذين يتربّصون بنا وبأمتّنا الـدوائر، أولئک الـذين يصدق عليهم أنّهم خفافيش الظلام التى لا يمكن أن تعيش فى النور أبداً.

إنّنا فى الوقت الذى نسـتذكر سـيرة هذا الشهيد العظيم فى صفّين، إنّما نريد أن نوصل رسالة إلى كلّ المنصفين، بل والغيارى جميعاً مفادها أنّكم إذا ما أردتم أن تكونوا من المؤمنين، من ذوى البصائر فعليكم أن تفهموا هذا الشـهيد وتقرأوه جيّداً، وتعرفوا ما قدّم من أجل نصرة الحقّ حتى تتأسّوا به.

الموقف الثـالث: ولنسـمع له نصّـاً آخر قـاله فى صـفّين: «يـا أهل العراق لا يهـدّنّكم ما ترون من رفع المصاحف فإنّها مكيـدة» يقول لهم شخّصوا كما شـخصت أنا الموقف بدقّة، وانظروا بعين البصيرة لا البصر، ستجدون أنّها لعبة ومكيدة منهم لأنّهم لا يعرفون من القرآن شيئاً، ولو علموه ووعوه لما قاتلونا وما خالفونا.

مع الشهيد فى رواياته

لقد حوت كتب المسـلمين الكثير من الروايات التى نقلها لنا الشهيد الكربلائى، وفى علوم شتّى، ممّا يدلّل على مدى اطّلاعه وحفظه، وهنا نذكر هنا بعض تلک الروايات:

أولا: ينقل ابن سعد فی الطبقات(1) عن کردوس التغلبی، عن زوجة رسول الله صلی الله علیه و آله أنّه سمعها قالت: «إنّ آل محمد لم یشبعوا ثلاثة أیّام متوالیة من طعام برّ حتی مضی النبی إلی سبیله». وفی روایة أخری «أنّه کان یأتی علی آل محمد شهر لا نخبز فیه. قلت: یا أمّ المؤمنین، ممّا کان یأکل رسول الله؟ فقالت لنا: إنّما هو التمر والماء».

هکذا کان رسول الله وهکذا کان أهل بیته مثله، لأنّهم أکثر الناس معرفة به واتّباعاً له، کان رسول الله یجعل نفسه یعیش أدنی مستوی یمکن أن یعیشه إنسان مسلم فی مجتمعه، فیواسیه بجوعه وعطشه، ولذلک نجد أنّ النبی قد حمل آلام الناس وآمالها لأنّه عاش معهم وعاش کلّ ما یحسّون ویشعرون به، فکان یتقطّع ألماً علی کلّ فقیر وجائع ومحتاج ومسکین ویتیم، ولقد قال فی حقّ الیتیم:«أنا وکافل الیتیم کهاتین وأشار إلی إبهامه وسبابته»(2). وقد تعلّم أهل بیته ذلک منه، فقد ربّاهم المصطفی علیهما السلام علی هذا ودرجوا علیه، فخرجوا إلی الدین وهم أکثر الناس مواساةً وإحساناً للفقراء والجائعین، کانت العیون تنام وعیونهم ساهرة من أجل أن یوصلوا لقمة العیش لمن لا یملک خبزاً یسدّ به رمقه ورمق أولاده، ولا أراک تحتاج إلی ذکر قصص علی علیه السلام والحسن والحسین وزین العابدین وبقیة الأئمة علیهم السلام فی هذا المجال، والتی ملأت کتب الفریقین فی خروجهم علیهم السلام لیلاً وحمل الأکیاس المملوءة بالطعام إلی فقراء المدینة وغیرهم.

1- (1) ابن سعد فی الطبقات: ص 183.

2- (2) صحیح مسلم: ج 14 ص 247.

فهذه الرواية من الشـهيد الكربلائى تحملنا مسؤولية الشـعور بالآخرين، وان لا نغمض جفوننا وحولنا أكباد جائعة تحنّ إلى لقمة من الخبز، وكـذلک تحمّل المسؤوليـة الكبرى قائد الأمة وتدعوه إلى أن يعيش أحوال الفقير وآلامه؛ حينما ينظر اليه يشـعر بالألم والحسـرة، يستشـعر الفقير أنّ هناک من يواسـيه ويبذل الكثير من أجله، ولقد قال على عليه السلام كلمته الرائعة حينما سأله الأحنف بن قيس حينما رآه قد ختم الكيس الذى فيه كسـيرات من خبز الشـعير: لم تختمه يا أمير المؤمنين؟ قال: «أخشـى أن يضع عليه أحد هذين الغلامين الحسن والحسين شيئاً من السـمن فقال: سـيدى، أمحرّم عليكم هذا؟ قال: لا، ولكن هكذا ينبغى على أئمّة المسلمين أن يساووا ضعاف رعيّتهم حتى لا يتبيّغ بالفقير فقره».(1)

ثانياً: ينقل الدارمى فى سننه(2) قائلاً: أخبرنا يزيد بن هارون، حدّثنا شـعيب عن كردوس عن عبد الله قال: «إنّ للقلوب لنشاطاً وإقبالاً، وإنّ لها لتولية وإدباراً، فحدّثوا الناس ما أقبلوا عليكم».

هذه الرواية التى رواها لنا الشـهيد الكربلائى، عن صـحابى مثله وعى مفاهيم الشـريعة، وهضـم أحاديث رسول الله، فأخذت تخرج من فمه كالـدرر والجواهر، ففى الحـديث قاعـدة تربوية عظيمة المعانى والآثار فى مجال التعليم والوعظ والإرشاد، حيث تشـير إلى أنّ هذه القلوب التى تحملها تعيش إقبالاً على الله وتوجّها اليه، فتحصل نتيجة لذلک حالة نشاط وحيوية يعيشها ويشعر بها الإنسان،

1- (1) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج 11 ص 32.

2- (2) سنن الدارمى: ص 448.

فينطلق من خلالها للعبادة وللقراءة وطلب العلم، بل وحتى للوعظ وللإرشاد، وللتبليغ عن الله ورسوله؛ وقد تعيش القلوب حالة من حالات الإدبار والتولّى، ويحصل نتيجة لها ضعف فى النشاط الحيوى للإنسان، فتراه يفتر فى عبادته وعلمه ووعظه وتبليغه ودعوته إلى الله سبحانه وتعالى.

وهنا لابدّ من الإشارة إلى أنّ حالات الإدبار والتولية التى تعيشها قلوبنا أحياناً، إنّما هى من أجل تنبيهنا إلى نعمة وسعادة التوجّه والإقبال وأهمّيته، والتى مرّت بنا ولم نعرف قدرها لأنّ السعادة لا تعرف إلاّ إذا فُقدت فتأتى الحكمة الإلهية التى تريد أن تعرّفنا حلاوة التوجّه ولذة الإقبال من خلال فقدانها أحياناً، وكلنا يشعر بوجدانه أنّه كلّما كان إقبال قلبه أكثر، كان نشاطه الروحى أكثر.

وهنا تأتى القاعدة التربوية التى تقول: إنّك ينبغى عليك أنّ تستغلّ هذه الفرصة وهذا الإقبال فى نفسك فتستفيد منها استماعاً وإلقاءً، واذا حصل أن صار العكس، فعليك أن لا تكلّف نفسك أكثر ممّا تتحمّل، ولكن اصبر حتى تزول ثمّ عد إلى حركتك من جديد، لتجعل منها وقت راحة لتستعدّ للحركة القادمة.

وهذا ما يحتاجه الداعى والمربّى فى حركته، ويفيدنا هذا الحديث كذلك أنّ المربّى والداعى الذى يجد إقبال الناس عليه، هنا يأتى فيقول له عليك أن تستثمر هذا الإقبال بأن تقبل عليهم وتحدّثهم ولا تتركهم، وتقدّم لهم ما يعود عليهم بالفائدة فى دينهم ودنياهم، وإذا رأيتهم أدبروا فأوقف كلّ شىء حتى تعالج نقاط الضعف التى رأوها فيك، والشهيد الكربلائى حينما يروى لنا هذا الحديث فإنّما يكشف لنا عن نفائس العلوم والنظريات فى شتّى المجالات، والتى

تحتاج منّا إلى بذل الجهد والوقت لاستخراجها والتزوّد منها.

ثالثاً: روى الشيخ الصدوق وابن حجر(1) ، عن كردوس، أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قال: «من أحيا ليلتى العيد وليلة النصف من شعبان لم يمت قلبه يوم تموت القلوب» وهذا الحديث ورد فى كتب الفريقين فى فضل ليلة النصف من شعبان، وكذلک ليلتى العيد، بل ورد فى الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ علياً كان يعجبه أن يفرّغ نفسه أربع ليال من السنة؛ أول ليلة من رجب، وليلة النحر، وليلة الفطر، وليلة النصف من شعبان» (2).

فقد أشارت بعض الروايات إلى أنّ فى ليلتى العيد وصبيحتيهما تتمّ عملية قطف الثمرات وأخذ الجوائز، بعد العمل الشاقّ الذى قدّمه المؤمنون فى صيام شهر رمضان وفى أداء مراسيم الحجّ وأعماله، حتى ورد فى الروايات عن سعيد بن أوس الأنصارى عن أبيه: قال رسول الله صلى الله عليه و آله:

«اذا كان يوم الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطريق فنادوا اغدوا يا معشر المسلمين إلى ربٍّ كريمٍ يمنّ بالخير ثمّ يثيب عليه الجزيل، لقد أُمرتم بقيام الليل فقمتم، وأمرتم بصيام النهار فصمتم، وأطعتم ربّكم، فاقبضوا جوائزكم، فإذا صلوا نادى منادٍ ألا إنّ ربّكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم، فهو يوم الجائزة، ويسمى ذلک اليوم فى السماء يوم الجائزة» (3).

1- (1) ثواب الأعمال: ص 77، الاصابة: ج 5 ص 580.

2- (2) فضائل الأشهر الثلاثة، للشيخ الصدوق: ص 46.

3- (3) المعجم الكبير للطبرانى: ج 1 ص 226.

ومن هنا نعرف أنّ إحياء هاتين الليلتين إنّما هو إشارة إلى أنه ينبغى للانسان المؤمن أن يعيش حالة الترقّب لما سوف يؤول اليه أمره عند الله، فهـل يكون من أصـحاب اليمين وممّن سـتكون جـائزته الجنّـة والعتق من النار أم لا؟ وهـذا بحـدّ ذاته يـدعو الإنسان إلى أن يعود إلى الله ويلتمس منه غفران الـذنوب التى لم تغفر، والتجاوز عن التقصـير الـذى مضـى، هذا كلّه فى خصوص هاتين الليلتين، وأما ليلة النصف من شعبان، فقـد ورد فى بعض الروايات أنّ التقدير للإنسان من رزق وأجل وعطاء وما شاكل ذلک، كلّه يكتب له ويقدّر من خلال لية النصـف من شـعبان، وأمّا فى ليلة القدر فيكون فيها الإمضاء(1) ، وهذا إن دلّ على شـىء فإنّما يدلّ على فضل هذه الليلة وارتباط مصـير كلّ فرد منا فيها بشكل كامل، ومن ثم لا ينبغى التهاون فيها وعدم الاهتمام بها، وعليه فينبغى على كلّ فرد منّا أن يستثمر كلّ ساعة فيها، بل وكلّ دقيقة، من أجل تقـديم الأفضل، من أعمال عباديـة وإخلاص وتوجّه، حتى يكون ذلک ذخيرة صالحـة له؛ للتقـدير الذى يتناسب معها، ومثل هذا الأمر لا يتمّ إلاّ من خلال إحيائها ومن هنا يتّضح أهمّية الحديث الذى ورد عن الشهيد الكربلائى فى التأكيد عليها كما تقدّم.

رابعاً: روى ابن كثير فى تفسيره(2) عند تفسير قوله تعالى:

«وَ أَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَ لا شَفِيعٌ 3» .

1- (1) وللمزيد يراجع كتاب إقبال الأعمال، للسيّد ابن طاووس الحسينى: ج 3 ص 422.

2- (2) تفسير ابن كثير: ص 51.

عن الشـهيد الكربلاـئى، عن ابن مسـعود قوله: مرّ الملأـ من قريش على رسول الله وعنـده خبّاب وصـهيب وبلال وعمّار فقالوا: يا محمـد، أرضـيت بهؤلاـء؟ أهؤلاء الـذين منّ الله عليهم من بيننا؟ أنحن نصـير معک تبعاً لهؤلاء؟ أطردهم فلعلّک إن طردتهم أن نتّبعک، فنزل قوله تعالى:

«وَ أَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَ لا شَفِيعٌ» .

وورد فى رواية أخرى، عن الشهيد، عن ابن مسعود قوله: فنزلت:

«وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ»

(1).

هكـذا ينقـل الينـا الشـهيد الكربلاـئى كيف عـانى رسول الله من قومه، كيف أرادوا له أن يترک الفقراء والمسـاكين ويتوجّه اليهم فقط لأنّهم أصـحاب الأـموال والجـاه والحظوة ولكنّه أبى إلاّ أن يبقى معهم ويثبت من أجلهم، وباعتقادى أنّ رسول الله صـلى الله عليه و آله لو سـمع قولهم وطرد تلک الثلّة المؤمنة واتّجه إلى أصحاب الغنى والأموال، لما كانت عقيدته لتأخذ كلّ هذا المدى وتعطى كلّ هذا الأثر.

ويبدو أنّ هذا هو المنهج نفسه الذى قد اتّبعته الأقوام السابقة مع أنبيائها، حيث ينبّئنا القرآن بخبرهم ويقول عن لسانهم:

«وَ ما نَراکَ اتَّبَعَکَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَراذِلُنا بادِيَ الرَّأْيِ 2» .

وهذا دليل على أنّ الأنبياء ما كانوا ليتّبعهم سوى من عاش الألم والمعاناة

1- (1) سورة الأنعام، الآية: 52.

فی حیاته، وأمّا المترفون فکانوا یقفون بوجوههم، لخوفهم علی جاههم وسلطانهم الفارغ من کلّ محتوی إنسانی؛ یقول القرآن الکریم:

«وَ ما أَرْسَلْنا فِی قَرْیَةٍ مِنْ نَذِیرٍ إِلاّ قالَ مُتْرَفُوها إِنّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ کافِرُونَ 1» .

وکأنّ الحدیث الذی رواه لنا الشهید الکربلائی یرید أن یقول لنا جمیعاً: لا تستوحشوا من قلّة أتباع الحقّ ولا تحتقروهم، فهم الذخیرة الحقیقیة فی السماء والأرض، وهم اللبنة الأساسیة لتغییر المجتمعات، وأمّا غیرهم فزَبَدٌ لا قیمة له.

خامساً: روی الشهید الکربلائی قال: أخبرنی رجل من أهل بدر أنّه سمع النبی صلی الله علیه و آله یقول: «لئن أقعد فی مثل هذا المجلس أحبّ إلیّ من أن أعتق أربع رقاب» قال شعبة: أیّ مجلس تعنی؟ قال: کان قاصّاً(1).

الشهید خطیباً وواعظاً

لقد ذکر کل من ترجم لهذا الشهید وتحدّث عنه أنّه کان قاصّاً فی الکوفة، ومعنی ذلک أنّه کان واعظاً وخطیباً، ولا ریب أنّ من یتصدّی للوعظ والإرشاد واعظا به فی مسجد الکوفة، أو الکوفة بشکل عامّ، لابدّ أنّه قد امتلک من الخصائص النفسیة والعلمیة والثقافیة ما یؤهّله لأن یقوم بهذا النشاط الاجتماعی الکبیر، فضلاً عن التزامه وورعه وتقواه، وقد عبّرت عنه الروایات بأنّه کان یقرأ الکتب (یعنی للأدیان السابقة) علی أساس أنّه کان بالأصل مسیحیاً مثقّفاً، ثمّ

1- (2) مسند أحمد: ج 3 ح 15335.

تحوّل إلى الإسلام، وبقى على طريقته فى طلب العلم ونشره، حيث تحوّل بعد دخوله الإسلام إلى منبر لنشر العلوم الإسلامية والأخلاقية.

سادساً: روى الشهيد الكربلائى عن رسول الله صلى الله عليه و آله قوله: «لا يقتطع رجل مالاً إلاّ لقى الله يوم القيامة وهو أجذم»(1) ، وهذه الرواية تشير إلى حرمة الأموال وخطرها فى نفس الوقت، حيث إنّ اقتطاع جزء بسيط من مال الآخرين يعنى إنّک ستلقى الله أجذم، يعنى أنّ هناک جزءاً من جسمک وجسدک سيقطع عوضاً عن ذلک المال الذى اقتطعته من أخيک بلا وجه حقّ، ولقد وردت فى هذا الحديث قصّة ذكرها المؤرخون قال المزى فى تهذيب الكمال «حدثنا كردوس التغلبى عن الأشعث بن قيس الكندى، وهى أنّ رجلاً من كندة ورجلاً من حضرموت اختصما إلى النبى فى أرضٍ باليمن، فقال الحضرمى: يا رسول الله، أرضى اغتصبها أبو هذا (وهو يشير إلى الكندى) فقال للكندى: ما تقول؟ قال: أقول: إنّ أرضى فى يدى ورثتها من أبى. فقال للحضرمى: هل لک بيّنة؟ قال: لا، ولكن يحلف بالذى لا إله إلاّ هو، ما يعلم أنّها أرضى اغتصبها أبوه، فتهيّأ الكندى للحلف، عندها قال رسول الله صلى الله عليه و آله: "لا يقتطع الرجل مالاً إلاّ لقى الله به أجذم" فردّها الكندى»(2). وممّا يستفاد من الحديث أنّ البيّنة على المدّعى، واليمين على المدّعى عليه اذا أنكر.

وبه استدلّ من يقول إنّه اذا اعترف المدّعى أنّه لا بيّنة له لم يقبل دعواه بعد

1- (1) المزى فى تهذيب الكمال: ص 1021.

2- (2) تهذيب الكمال للمزى: ص 1021.

ذلک، ورد بأنّه لیس فیه حجّة علی ذلک، لأنّ الأشعث لم یدّع بعد ذلک أنّ له بیّنة، وفیه - أی وفی الحدیث -: أنّ للحاکم أن یطلب من المدّعی علیه عند عدم البیّنة وإن لم یطلبه صاحب الحقّ، لأنّ النبی صلی الله علیه و آله أمره بالحلف، وفیه کذلک: إبطال مسألة الظفر، لأنّه ردّده بین البیّنة والیمین، فدلّ علی عدم الأخذ بغیر ذلک.(1)

سابعاً: روی الشهید الکربلائی عن النبی صلی الله علیه و آله أنّه قال: «یوم عرفة الیوم الذی یعرف فیه الناس»(2).

یوم عرفة هو الیوم التاسع من شهر ذی الحجّة، وهو یوم الوقوف بأرض عرفات، وهو أحد مناسک الحجّ، وللإنسان أن یقول عرفة، کما له أن یقول عرفات، لأنّها جمع عرفة.

وقد أُختلف فی تسمیته إلی أقوال، منها: أنّه من العرف بمعنی الرائحة الزکیة، لأنّ فیها تصبح رائحتها منتشرة بشکل کبیر لکثرة الذبح.

ومنها أنّ العباد یتعرّفون علی ربّهم بالطاعات والعبادات.

ومنها الصبر، لأن العِرْف المعروف هو الصبر.

ومنها أنّ الله بعث جبرئیل علیه السلام إلی إبراهیم علیه السلام فحجّ به حتی اذا أتی عرفة قال: عرفت، وکان قد أتاها مرّة قبل ذلک. ومنها أنّ آدم وحواء تعارفا بعد الهبوط إلی الأرض علیه.

ومنها قول الشهید الکربلائی؛ «لأنّ الناس یجتمعون به فیتعارفون، وفی

1- (1) عمدة القاری فی شرح صحیح البخاری، باب الخصومة فی البئر والبقاء فیها.
2- (2) تهذیب الکمال للمزی: ص 1144.

الروايـة عن أهـل البيت عليهم السـلام أنّ جبرئيـل قـال لإبـراهيم عليه السـلام: هناک اعترف بـذنبک واعرف مناسـککک، فلـذلک سـمّيت عرفة».(1)

أبناء الشهيد

لم تحدّثنا الروايات عن عدد أبناء الشـهيد، ولكنّهم ذكروا بأنّ للشـهيد ولداً كبيراً اسمه داود، ويبدو أنّه كان من الشخصيّات المهمة والعلمية فى حياة أبيه، ولقد ترجم له جملة من العلماء والمحدّثين، حتى أنّهم يروون أنّه قال: كنت أنا

الوسيط فى الصلح الذى جرى بين الخليفة الثانى عمر وبين بنى تغلب (قبيلة الشهيد الكربلائى) حينما أرادوا أن يلحقوا بالروم.(2)

شهادته

لقد بقى الشهيد بعد رسول الله يعيش على مضض، وهو يرى بأمّ عينيه كيف يُغتصب حقّ أصحاب الحقّ الإلهى، ومن وصّى بهم رسول الله ويُبعدون عن أماكنهم التى وضـعهم الله بها. وليس هذا فقط وإنّما تجهّز الناس من أجل القضاء عليهم، حتى وصل الأمر إلى سيّد الشهداء فأصبحت الدنيا لا تساوى عنده شيئاً إذ قد بليت الأمة براعٍ مثل يزيد.

ولئن أحجم التاريخ عن ذكر مواقف كردوس وحركته فى داخل الكوفة مع مسـلم بن عقيل وهانئ بن عروة وغيرهما، فإنّ الأحداث والمواقف التى حملها لنا التاريخ عن الرجل فى موقفه مع الحسين عليه السلام فى الطفّ، لا تدع لنا مجالاً

1- (1) من لا يحضره الفقيه: ج 2 ص 196.

2- (2) رواه البيهقى: ج 9 ص 211 ح 11519.

للشكّ فى أنّ الشـهيد كانت له بطولات رائعـة وصولات عظيمـة، ولكنّ التاريخ قد أسدل السـتار عليها، ولقد بقى الشـهيد فى داخل الكوفة متخفّياً عن أعين الظالمين، مطارداً من مكان إلى مكان، إلى أن وصل الحسين إلى كربلاء، فتسلّل اليه ليلاً ومعه أخواه قاسط وعبد الله، ولـم يلبثوا حتى تقـدّموا بين يديه، واذا بهم شـهداء مضـرّجين بالدماء فى الحملة الأولى، ولئن كانت الشـهادة بين يدى الحسـين شـرفاً فلقد حاز هؤلاء الشـهداء على شـرف مضاعف حينما جاءهم التسليم من قبل الإمام المهدى فى زيارته للشهداء قائلاً: «السلام على قاسط وكردوس ابنى زهير التغلبى ورحمة الله وبركاته».

ص:173

الشهيد بشر بن عمرو الحضرمی الکندی علیه السلام

اشارة

لقد تميّزت حياة هذا الشـهيد العظيم بجملة من الخصائص نحن بأمسّ الحاجة اليها خصوصاً فی هذا الزمن الذی كثرت فيه الأعذار الزائفة والحجج الواهية التی ما أنزل الله بها من سلطان، والتی يراد من خلالها التخلّی عن التكليف الشرعی، كما سيتبيّن ذلک لنا فی طيّات حديثنا عن الشهيد.

واحـدة من هـذه الخصائص التی تميّز بها هـذا الشـهيد الكربلائی دون غيره، هو أنّه بقی هو وسويـد بن عمرو بن أبی المطاع الخثعمی آخر رجلين مع الحسين، من أصحابه، قبل أن يبدأ أهل البيت عليهم السلام بالبراز والقتال كما ذكر ذلک الطبری(1) ، والشيخ شمس الدين(2) ، والسيد الخوئی(3) ، وغيرهم.

1- (1) تاريخ الطبری: ج 5 ص 432.

2- (2) أنصار الحسين للشيخ شمس الدين: ص 77.

3- (3) معجم رجال الحديث: ج 3 ص 314.

أسرة الشهيد

الشـهيد بشـر بن عمرو الحضـرمى الكندى يرجع فى الأصل إلى حضرموت، وهذا يعنى أنه من اليمن، ومن عرب الجنوب تحديداً، وسوف نرى ونحن نتحدّث عن شهداء كربلاء أنّ هناك عدداً كبيراً منهم يرجع أصله إلى اليمن وإلى عرب الجنوب بشكل خاصّ، حتى لقد شكّلت هذه الظاهرة والتى يمكن أن نعبّر عنها بالظاهرة اليمنية فى أنصار الحسـين أمراً يسـتحقّ أن يدرس وأن يسلّط عليه الضوء، لأنّ فى ذلك إبرازاً وبيانـاً لمعادن هـذه الصـفوة من المؤمنين، وكشف ما تمتلك من قـدرات وقابليّات أخلاقيـة ووراثيـة كانت من جملـة أسـباب التوفيق ونيل السعادة فى الدارين، ولذلك نحاول أن نسلّط الأضواء وبشكل سريع على هذه الظاهرة اليمنية فى أنصار الحسين.

عرب الجنوب وعرب الشمال

وفى البداية يجب أن نعرف أنّ مصـطلح عرب الجنوب يقابله مصـطلح عرب الشمال، وكلاهما يرجع إلى اليمن ولكنّ عرب الجنوب تميّزوا عن الآخرين بأنّهم:

أولاً: هم أصل اللغة العربية بل هم لبابها، كما يؤكّد على ذلك علماء اللغة واصـحاب الاختصاص، حيث يذكرون أنّ العرب ينقسمون إلى قسمين أساسيّين:

1. العرب العاربة، وهم عرب الجنوب، وينسبون إلى قحطان، وموطنهم الأصلى هو اليمن، وهؤلاء كانوا يتكلّمون اللغة العربية بالأصل.

2. العرب المستعربة، وهم عرب الشمال، ويعبّر عنهم بعدّة تعابير مثل:

العدنانيون، والنزاريون، والمعديون، وينسبون إلى عدنان.(1)

ثانياً: إنّ عرب اليمن حينما دخلوا إلى الإسلام، وخصوصاً عرب الجنوب منهم، بعد أن دعاهم على بن أبى طالب إلى الإسلام ودخلوا فيه، وقفوا إلى جانبه ولم يفارقوه، كهمدان والأزد وغيرهم، وكانت مواقفهم معه بمنتهى الشهامة حتى أنّ الإمام أمير المؤمنين مدحهم فى أكثر من موقف، وخصوصاً همدان حينما قال فيهم:

دعوتُ فلبّانى مِنَ القومِ عُصْبَةٌ فوارسُ مِن همدانَ غيرُ لِئامِ

لِهمدانَ أخلاقٌ كِرامٌ تَزينُهُمْ وبأسٌ إذا لاقوا وحَدٌّ خِصامِ

وجِدٌّ وصِدقٌ فى الحروبِ ونَجْدَةٌ وقولٌ إذا قالوا بغيرِ أثامِ

متى تأتِهِمْ فى دارِهم تَستضيفُهمْ تَبِتْ ناعِماً فى خِدمةٍ وطَعامِ

جَزَى اللهُ همدانَ الجِنانَ فإنّها سُمامُ العِدى فى كلِّ يومِ زُحامِ

فلو كنتُ بوّاباً على باب جنّةٍ لقلتُ لهمدانَ ادخلوا بسلامِ (2)

فكأنّها أرادت من خلال مواقفها المبدئية مع على عليه السلام أن تردّ له هذا الجميل الذى صارت هى بسببه فى زمرة المسلمين، ومن هنا نجد التفانى فى أعلى درجاته فى اليمنيين بشكل عامّ، وخصوصاً عرب الجنوب منهم، وربّما هذا هو الذى يفسّر لنا معنى تلك النصائح التى أسداها عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية للحسين حينما أراد الخروج من المدينة إلى العراق، بالذهاب إلى اليمن،

1- (1) للمزيد يراجع كتاب تاريخ العرب فى الجاهلية وفى عصر الدعوة الاسلامية د. رشيدة الجميلى: ص 38.

2- (2) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 5 / ص 217.

وعلّل ذلک کما عند بعض العلماء، لبعد الیمن، ولوجود شیعة وموالین له ولأبیه، کما فی مقتل الحسین للخوارزمی(1) ، ومروج الذهب للمسعودی(2) ، وربما هذا هو الذی یفسّر لنا کذلک ما ورد فی بعض الروایات من أنّ أحد أرکان ثورة الإصلاح العالمی الذین یظهرون فی آخر الزمان ویکونون مع الإمام المهدی هو الیمانی، بمعنی أنّه سیکون کذلک من تلک المنطقة بالذات، ومن هنا نجد أنّ مؤشّرات مشارکة هؤلاء دون غیرهم واضحة جلیة للعیان، بل إنّ هذه الظاهرة الیمنیة تجسّدت بعد کربلاء کذلک، حینما خرجت نساء همدان وکهلان وربیعة والنخع (عرب الجنوب) متظاهرات علی تنصیب عمر بن سعد والیاً علی الکوفة بعد مقتل الحسین علیه السلام، وهنّ یقلن: «أما رضی بعمر بن سعد بقتل الحسین حتی أراد أن یکون أمیراً علینا فی الکوفة، فبکی الناس وأعرضوا عن عمر بن سعد»(3).

وکانت هذه الظاهرة الیمنیة هی السبب فی عدم تولّی ابن سعد إمارة الکوفة.

وقد یقول قائل

وقد یقول قائل وما معنی ذلک کلّه ولم یشارک من عرب الجنوب العدد الکافی والذی یتناسب مع کلّ ما یذکر من مواقف وکلمات؟

فی الحقیقة إنّ هذا السؤال مهمّ للغایة، وقد أرّقتنی الإجابة علیه، ولکن وبعد

1- (1) مقتل الحسین للخوارزمی: ج 1 ص 187.

2- (2) مروج الذهب للمسعودی: ج 3 ص 64.

3- (3) أنصار الحسین لشمس الدین: ص 199.

بذل الجهد الذى استمرّ لفترة ليست باليسيرة، وصلت إلى قناعة من خلال النصوص والوثائق إلى أنّ هؤلاء كانوا من سادات القوم ورؤساء العشائر، ولهذا كانوا قادرين على السيطرة على الموقف لو قدر للثورة أن تنتصر، وتمكنوا من الاستيلاء على الحكم، وكانوا قادرين إذا لم يتح لهم النصر – كما حدث فى الواقع – أن يفجّروا طوفاناً من الغضب ضدّ الحكم المنحرف فى قلوب جماهير غفيرة من الناس، وأن يضعوهم على طريق الوعى الحقيقى، وأن يجعلوا منهم جمهوراً يغذّى الثورات باستمرار، وهذا ما حدث فى الواقع»(1). وربما كان لأجل ذلک كلّه أن حصلت ردّة فعل عند السلطة الأموية آنذاک كبيرة جداً، ربما وصلت إلى درجة الهستيريا فى التعامل مع هؤلاء الثوّار، حيث قطع رأس مسلم بن عقيل ورمى بجسده إلى الأرض، وجرّ هانى بن عروة فى الأسواق، ورمى بجسد عبد الله بن يقطر من أعلى القصر، وهكذا قيس بن مسهر الصيداوى، بل حتى قطع الرؤوس الشريفة لشهداء كربلاء وحملها على أطراف الأسنّة والدخول بها وهى معلّقة عليها إلى المدن، وأولها الكوفة، إنّما كان لأجل إدخال الرعب على قلوب الكوفيّين الذين يرتبطون مع هؤلاء بصلة قبلية وعشائرية وإيمانية من أن يتّخذوا نفس الموقف لأنّ النتائج سوف تكون كهذه النتائج؛ رؤوس معلقة على الرماح، وأجساد ترضّ ها الخيول. ومن هنا نعرف لماذا كان أكثر فى أنصار الحسين من عرب الجنوب وإن كان فيهم عدداً من عرب الشمال، ولكنّ الأغلب كانوا من عرب الجنوب، ومنهم هذا الشهيد الذى نتحدّث عنه.

1- (1) نفس المصدر: ص 202.

نسب الشهيد حضرمی أم كندی

وأمّا نسبة الكندی له فإنّ المؤرّخين يقولون إنّ عداده فی كندة، يعنی أنّه فی الأصل ليس من كندة، ولكنّه جاء والتحق بها فعُدّ منها، وطبيعی أنّ كلّ قبيلة لا ترضی أن يدخل إليها غريب ويحسب منها إلاّ من خلال شروط وأسباب يذكرون منها مثلاً التحالف، بأن يحصل بينها وبين الشخص الذی يرغب فی الدخول إليها تحالف، مثل ما حصل للمقداد بن الأسود الكندی، فمع أنّه ليس من كندة ولكنّه عُدّ منها، نتيجة تحالف حصل فيما بينه وبينهم(1). وقد ينتقل شخص من مكان إلی مكان آخر ويعيش مع قبيلة أخری، ولكونه شخصية علمية أو اجتماعية كبيرة فلا تمانع القبيلة فی ذلک، ومن ثم ينسب اليها، وهناک أسباب أخری ربّما يطول شرحها.

وغرضنا من ذلک كلّه ان نقول إنّ الشهيد الكربلائی لم يكن من كندة، وإنّما عُدّ منها، وإلّا فهو من حضرموت؛ إمّا هی المدينة التی عرفت واشتهرت فی اليمن، وإمّا من بنی حضرموت، فخذ من الظبی من يافع إحدی قبائل اليمن(2) وعلی كلا التقديرين فإنّ الرجل يُعدّ من عرب الجنوب كما بيّنا.

نقطة مضيئة

فی حياة هذا الشهيد الكربلائی العظيم جملة من النقاط المهمة التی تمثّل إضاءات يستضیء بها المؤمنون، ولكن هناک نقطة مهمة جداً فی حياته، والتی لها

1- (1) الصحابی المقداد بن الأسود لمحمد علی أسير: ص 15-28.

2- (2) أنصار الحسين لشمس الدين: ص 78.

آثارهـا الكبيرة على حياتنـا لمـا تحمل من مضامين عاليـة وقيم ساميـة ودروس فى المحبّـة والعشق لله ولرسوله ولأئمـة أهل البيت عليهم السـلام، حيث أتيـح لهـذا الشـهيد الكربلاـئى أن يغـادر كربلاء بعـذر مقبول من قبل الإمام الحسـين عليه السـلام ولكنّه أبى إلاّ المشاركة والشهادة بين يدى الحسين، فما هذا العذر وما قصّة ما حدث؟

يقول المؤرّخون(1): عندما أقبل ليل العاشـر من المحرّم، وبعد سقوط قرص الشمس، جاء أحدهم برسالة إلى بشر بن عمرو الحضرمى بعد ان سأل عنه، فقال له: لقد أُسـر ابنک فى ثغر الرىّ وهو يجاهد مع المسلمين هناک من أجل دحر الفرس الذين كانوا يحاولون منذ أن فتحت الرى سنة 17 للهجرة(2) أن يغزوها بين الفينة والأخرى، وعليه فيجب أن تتصـرّف فقد أوصلنا اليک الخبر، وعند ما سمع الشهيد الكربلائى ذلک لم يشأ أن يخبر أحداً، ولكن يبدو أنّ الخبر وصل إلى الحسـين عليه السـلام فاستدعى الشهيد وقال له كما فى تنقيح المقال:«بلغنى أنّ ولدک أسـر فى ثغر الرى، فقال: سيّدى عند الله أحتسبه ونفسى، ما كنت لأحبّ ان يؤسر ولدى وأن أبقى بعده حيّاً، فقال له الحسين: رحمک الله، أنت فى حلٍّ من بيعتى، فاعمل فى فكاک رقبـة ابنک. وقَدّم اليه الحسـين خمسة أثواب وبرود قيمتها ألف دينار، فقال له: سـيدى أبا عبد الله، أكلتنى السباع إن أنا فارقتک واسأل عنک الركبان مع قلّة الأعوان، لا يكون ذلک ابداء»(3).

1- (1) منهم السيّد ابن طاووس فى اللهوف: ص 93 (بتصرف)؛ تنقيح المقال: ج 12 ص 293-294.

2- (2) الكامل لابن الأثير/ج 2 / أحداث سنة 21 ه -، وقد ذكر فيها أقوالاً منها أنّ الفتح حصل سنة 18 ه - و 19 ه -..

3- (3) تنقيح المقال/ ج 2 / ص 173.

ولنا إزاء هذا الموقف العظيم جملة من النقاط:

أولاً: إنّ الحسين عليه السلام قدّمَ إلى الشهيد الكربلائى قيمة الفداء أو ما يصلح أن يكون مساعداً له فى مهمّته، وذلک لعلم الحسين أنّ الحكومة والدولة آنذاک متمثّلة بيزيد وبنى أمية، لا تهتمّ بقضايا المسلمين المهمة، نعم هى مهتمّة بقضايا أخرى كالفسق والفجور والمجون والليالى الحمراء، وملاعبة القرود والفهود التى كان خليفة المسلمين يزيد بن معاوية مولعاً بتربيتها واللعب بها، هذه هى اهتمامات الدولة.

أمّا ما يعود بالخير على المسلمين ويقوّى شوكتهم ويرفع من معنوياتهم، كفكّ أسيرهم، فهو آخر ما يمكن أن يفكّروا فيه، وبعبارة أخرى أنّ الدولة لا تشعر بالمسؤولية أمام مواطنيها، فيما يعود عليهم بالخير ودفع الضرّ، لعدم صلاحيتها لذلک أصلاً، ولهذا قام الحسين بذلک، أو دعا إليه، وهذا بنفسه كاشف عن عدم شرعية هذه الدولة.

وإن كان بعضهم يحاول أن يحمل عمل الإمام فى تقديم المال إلى الشهيد الكربلائى على أنّ هناک مفهوماً عرفياً يساعد على هذا الاحتمال، وهو أنّ الأسرة أو القبيلة أو العشيرة أو حتى الأصدقاء، يمكن أن يقدّموا عوناً للأسير فى إطلاق سراحه، وأنا أعتقد أنّ هذا الاحتمال وإن كان مقبولاً، ولكن الاحتمال الأول يبقى هو السبب الأقوى فى تقديم المال من قبل الإمام إليه.

ثانياً: ان توقيت الإذن بالانصراف من قبل الحسين عليه السلام جاء، كما تؤكّد على ذلک الروايات، غروب يوم التاسع من المحرّم (ليلة العاشر) وهذا يعنى الكثير

بالنسبة إلى الشهيد الكربلائى، حيث إنّ كلّ المؤشّرات تدلّل على أنّ طبول الحرب قد دقّت، وأنّها صارت قاب قوسين أو أدنى، والدليل على ذلک أنّ الحسين عليه السلام طلب تأجيل الحرب من يوم التاسع من المحرّم إلى يوم العاشر منه، وأن يُمهل تلک الليلة من أجل العبادة وقراءة القرآن والاستعداد للقاء الله تعالى. ومن هنا، ومن هذه النقطة بالذات، يستطيع الشهيد الكربلائى أن يغادر كربلاء بعذر مشروع، بعد أن تأكّد للجميع أنّه موطّن نفسه على الشهادة، حيث أنّ الشهيد قد بقى إلى جانب الحسين بعد إعلان الحرب وتأكُّدها، ومضى على ذلک وقت ليس بالقليل، فكان باستطاعته الخروج من كربلاء دون أن يشكّ أحد بأنّه جَبُن أو آثر الحياة الدنيا أو شىء من هذا القبيل.

وأنا على يقين بأنّ الحسين عليه السلام كان جادّاً فى إعطائه هذا الإذن وتقديم هذه الرخصة له، وليس كما يقول بعضهم بأنّه كان يريد اختباره وبيان حقيقة ما يفكّر فيه وينوى فعله، لأنّ قول الإمام حجّة تبيح له عذراً شرعياً - وهو الأهمّ - يجيز له الخروج من كربلاء، ولكنّه أبى إلاّ ترک هذه الرخصة وهذا الإذن، وأبى إلاّ الجهاد والشهادة بين يدى أبى عبد الله الحسين، وكأنّى بلسان حاله يقول: اذا كان لى أن أخرج من كربلاء برخصة شرعية وبدون ملامة عرفية، فإنّى سأخسر خيراً لا يقاس به كلّ خير، ولا يمكن أن أحصل عليه بعد اليوم مهما عشت؛ سأخسر شهادة دعا رسول الله صلى الله عليه و آله قبل أكثر من 60 سنة إلى الاستعداد لها، ومن ثم فإنّى وفق هذه المقاييس ينبغى أن أقدّم كلّ هذه الامتيازات التى سوف أحصل عليها على هذا الإذن وهذه الرخصة.

وهذه فی تقدیری خصـلة مهمة وأساسـیة یتمیّز بها هذا الشهید العظیم تستحق التأمّل، وسیأتینا فی بقیة الشهداء أنّ هناک شهیداً آخر کان له عذر شـرعی ولکنّه أبی إلاّ الشـهادة والجهاد والدفاع عن الحسین علیه السلام، فنحن نقرأ فی تاریخ الطفّ أنّ هناک الشیخ الکبیر الذی سقط عنه التکلیف بالجهاد، الـذی حینما رآه الحسـین شادّاً بطنه بقطعة قماش ورافعاً حاجبیه بعصابة بکی وقال: رحمک الله یا شـیخ(1) ، ونقرأ کـذلک فی کربلاء أنّ هناک الصبی الـذی لم یبلغ الحلم، وکان التکلیف ساقطاً عن أمثاله، وقد قال له الحسـین: بنی ارجع إلی أمّک إنّی لا أحبّ أن أجمـع علیهـا عزاءین فی آن واحد(2) ، ولکنّه أبی إلاّ الشـهادة، وأیضـاً أنّ هناک الأعرج الـذی أبی إلاّ أن یطأ بعرجته الجنة(3) ، وهکذا آخرون ممّن شـملتهم الرخصة، بل إنّ هناک رخصة عامّة تشـمل جمیع شـهداء کربلاء، وهو قول الحسین وخطابه لهم لیلة العاشر من المحرّم حینما قال:

«هذا اللیل قد غشیکم فاتّخذوه جملاً، ولیأخذ کلّ واحد منکم بید رجل من أهل بیتی (4) ... الخ».

بـل قـد وجـدت فی بعض الروایات أنّ بین شـهداء کربلاء من کان علیه دین، وکان مأذوناً علی أساس ذلک أن یخرج لأداء دینه، ولمّا سـمع الحسین به التفت إلی مناديه فنادی بأن لا یقاتل معی من علیه دین، کما فی الروایة عن موسی بن

1- (1) وهو الشهید أنس بن الحرث بن کاهل الأسدی (رض).

2- (2) هو الشهید عمرو بن جنادة الأنصاری (رض).

3- (3) هو الشهید مسلم بن کثیر الأزدی (رض).

4- (4) أدب الطفّ ج 1 / ص 120.

عمر عن أبيه، أنّ الحسين أمرنى أن أنادى ليلة عاشوراء «أن لا يقتل معى رجل وعليه دين» ثمّ قال الحسين:

«فإنّى سمعت جدّى رسول الله يقول: من مات وعليه دين أخذت حسناته يوم القيامة» (1).

وهذا لا يعنى بالطبع عدم إمكان الجهاد أصلاً، وإنّما يجب عليه أن يقدّم وفاء الدين ثمّ بعد ذلک يأتى إلى الجهاد لكى لا يخسر حسناته يوم القيامة، ومع كلّ هذا كان هذا الشهيد قد رتّب أمره وعيّن من يقوم مقامه فى أداء دينه، ولمّا سمع كلام الحسين وأنّه يريده بالذات، قال له: سيّدى أبا عبد الله، إنّ علىَّ ديناً وقد ضمنته لى زوجتى، فقال له الحسين عليه السلام:

«وما ضمان امرأة».

وهنا إشارة إلى عدم القدرة غالباً عند المرأة مثل هذه الأمور، وربّما كانت هذه زيادة من الراوى، خصوصاً وقد نقل الذهبى(2) مضمون الرواية هذه عن أبى الجحّاف، عن أبيه، عن رجل، أنّ الحسين قال له:

«لا يقتل معى رجل وعليه دين».

من دون هذه الزيادة «وما ضمان امرأة»، وعلى كلّ تقدير فقد كان هناک شهيد كربلائى يملک مسوّغاً شرعياً بالخروج من كربلاء لأداء الدين، ولكنّه أبى إلاّ أن يرتّب أمر الدين، ويرفض العمل بهذه الرخصة الشرعية.

1- (1) كلمات الإمام الحسين عليه السلام / ص 417.

2- (2) سير اعلام النبلاء: ج 3 ص، المصنف لأبى شيبة: ح 30591.

ظاهرة رفض الاعذار الشرعية فى أصحاب الحسين عليه السلام

إذن نحن فى كربلاء أمام ظاهرة رفض الأعـذار الشـرعية، والمسوغـة للخروج من ساحـة المعركة، ومن قتال لا هوادة فيه، ومن موت لا ريب فيه. فى الحقيقة وأنا أقرأ هذه الروايات وأجمع وأسـتقرئ المواقف حول هذا الشـهيد وما يرتبط به، جاءت فى ذهنى الآيات الشريفة فى سورة التوبة وفى غيرها، والتى تتحدّث عن فئة لا تملك عذراً مشـروعاً ومع ذلک كانت تقدّم الأعذار لرسول الله صـلى الله عليه و آله من أجل أن تتخلّف عن الجهاد، ويتحدّث كذلک عن فئة أخرى كانت تقدّم أعذاراً مشروعة ومقبولة من أجل البقاء فى بيوتها، فقلت فى نفسى: ما اعظم أصـحاب أبى عبد الله، أولئک الذين كانوا يملكون أعذاراً مشروعة ويأذن لهم الحسين عليه السلام ويأبون إلاّ الشهادة بين يديه، وحتى يتبيّن لک عظمـة هؤلاء وجلالـة قـدرهم أذكر هنا بعض الآيات التى تتحـدّث عن هذا الموضوع، حيث يخبرنا القرآن الكريم فى سورة التوبة عن أولئک المعذّرين:

«وَ جاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَ قَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللّهَ وَ رَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ 1» .

يقول السيّد الطباطبائى فى الميزان: «الظاهر أنّ المراد بالمعذّرين هم أهل العذر، كالذى لا يجد نفقة ولا سلاحاً، بدليل قوله:

«وَ قَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللّهَ وَ رَسُولَهُ» .

والسياق يدلّ على أنّ فى الكلام قياساً لإحدى الطائفتين على الأخرى،

ليُظهر به لؤم المنافقين وخسّتهم وفساد قلوبهم وشقاء نفوسهم، حيث إنّ فريضة الجهاد الدينية والنصرة لله ورسوله، هيّج لذلک المعذّرين من الأعراب وجاؤوا إلى رسول الله (النبى) يستأذنونه، ولم يؤثّر فى هؤلاء الكاذبين شيئاً»(1).

ويقول مفسر آخر: «وقرأ الجمهور المعذّرون بالتشديد ففيه وجهان أحدهما أن يكون أصله المعتذرون فأدغمت التاء فى الذال، وهم الذين لهم عذر، ومنه قول لَبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذر

فالمعذرون على هذا هم المحقون فى اعتذارهم... والمعنى: أنه جاء هؤلاء من الأعراب بما جاءوا به من الأعذار بحقٍ أو بباطل على كلا التفسيرين لأجل أن يأذن لهم رسول الله صلى الله عليه و آله بالتخفيف عن الغزو، وطائفة لم يعتذروا، بل قعدوا عن الغزو لغير عذر، وهم منافقو الأعراب الذين كذبوا الله ورسوله ولم يؤمنوا ولا صدقوا، ثم توعدهم الله سبحانه، فقال:

«سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ» .

أى من الأعراب، وهم الذين اعتذروا بالأعذار الباطلة، والذين لم يعتذروا، بل كذبوا الله ورسوله «عَذابٌ أَلِيمٌ» أى كثير الألم، فيصدق على عذاب الدنيا وعذاب الآخرة»(2). لعلّ الضمير يعود إلى الأعراب الذين جاء ذكرهم فى نطاق الحديث عن المعذّرين، وبذلک نفهم من الآية أن الله قد أعطى العذر للفئة الأولى

1- (1) تفسير الميزان للسيد الطباطبائى، تفسير الآية 90 من سورة التوبة.

2- (2) تفسير فتح القدير للشوكانى: ج 1 ص 590-591.

ولم يعـذر الفئة الثانية فى موقفها، لأنّها تمثّل الموقف المعاند والجاحد المتمرّد، فأنذرهم بأنّهم سيصـيبهم عذاب اليم؛ إذن نحن أمام أعذار مشروعة ومقبولة، وقد قبلها ربّ العالمين ولم يعلّق عليها شيئاً، بل الوعد الوعيد إنّما جاء لأولئک الذين لم يؤمنوا أصلاً بالله ورسوله.

بينما نجد فى أصـحاب الحسـين من كان له عذر مقبول ومأذون له من قبل الإمام وبشـكل مباشر وجهاً لوجه، ومع ذلک لم يرضَ لنفسه أن يأخذ بهذه الرخصة، ومن ثم تميّز على أصحاب الفئة الأولى فضلاً عن الآخرين.

ومن هنا نعرف معنى حديث الحسين عليه السلام عن أصحابه:

«ما رأيت أصحاباً أوفى وأبرّ من أصحابى» (1).

والذى منهم الشهيد بشر بن عمرو الحضرمى، الذى رفض عرض الخروج من كربلاء وقال للحسين: «عند الله أحتسبه ونفسى». وهى عبارة عظيمـة تكشف عن الكثرة من المعانى العظيمـة، وتنمّ فى نفس الوقت عن وعى وبصـيرة وفهم، حيث يريد أن يقول: اذا كان ولدى قد أسـره الكافرون، فإنّى أعيش الآن كـذلک الأسـر، ولكن على يد ظالمى هذه الأمّة وغاصبيها، ومن ثم فكلانا يواجه مصـيره، وعليه يجب أن نؤدّى تكليفنا الشرعى مهما كلّف الأمر، محتسبين صابرين على الأذى فى جنب الله تعالى، ولهذا قال: «عند الله أحتسبه ونفسى».

وقد يقول قائل: ألست أباً؟ ألا تعيش فى نفسک ما يعيشه الآباء من عاطفة تجاه أبنائهم؟ وكأنّى بالشـهيد الكربلائى قد تنفّس الصعداء ووقعت دمعة من

1- (1) أمالى الشيخ المفيد: ص 319.

عينيه، ثمّ أدار وجهه إليهم وقال:

«ما كنت لأحبّ أن يؤسر ولدى وأن أبقى بعده حيّاً».

وكأنّه يريد ان يرد على من يفكّر بمثل هذا التفكير، وهذا فى تقديرى حال كلّ والد تجاه ولده، وكلّ أب تجاه ابنه اذا كان من الأسوياء، ولكن فى نفس الوقت هناك حبّ آخر علينا أن نفكّر فيه كما فكر فيه الشهيد وكأنّى بلسان حاله يقول: إنّ فى قلبى حبّين؛ حبّاً لولدى، وحبّاً لابن بنت رسول الله، وعليّ أن أقدّم حبّ ابن بنت رسول الله على حبّ ولدى، وهذا مفهوم إسلامى عظيم، ومصداقه صريح القرآن الكريم يقول فى سورة التوبة:

«قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ وَ إِخْوانُكُمْ وَ أَزْواجُكُمْ وَ عَشِيرَتُكُمْ وَ أَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَ تِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَ مَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ جِهادٍ فِى سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتّى يَأْتِىَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَ اللّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ 1» .

يقول الشيخ محمد مهدى الآصفى، بعد ذكره لهذه الآية الكريمة: «فلا ينهى الله تعالى عن حبّ الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشائر ما لم يعادوا الله ورسوله، ولا ينهى عن حبّ المال والتجارة والمساكن ما لم تكن من حرام، وإنّما ينهى أن يكون حبّ هذه الأمور أقوى وأشدّ عند المؤمن من حبّ الله ورسوله وجهادٍ فى سبيله»(1).

1- (2) كتاب الدعاء: ص 229.

وفی الروایات الکثیرة ما یؤکّد علی أنّ محبّة الإنسان لنبیّه ولأهل بیت نبیّه یجب أن تکون أشدّ من محبّته لولده وأهل بیته، وهنا أودّ أن أنقل هذه القصّة المعبّرة، والتی ینقلها الشیخ الآصفی عن الشیخ حسن البنّا فی کتابه «مذکّرات الدعوة والداعیة»(1) ، یقول الشیخ حسن البنّا: «رزق الله الشیخ شلبی أحد مشایخ مصر فی العرفان والأخلاق، بنتاً فی مرحلة متأخّرة من عمره، فولع بها الشیخ ولعاً شدیداً وشغف بها حتی کاد لا یفارقها إلی أن کبرت، وکان یزداد حبّاً لها کلّما شبّت وکبرت، ولقد زاره الشیخ البنّا مع جمع من أصحابه فی إحدی اللیالی بعد انصرافهم من موکب فرح، انطلقوا فیه من دار قرب دار الشیخ شلبی فی لیلة عید میلاد رسول الله صلی الله علیه و آله، وبعد عودتهم جلسوا مع الشیخ شلبی قلیلاً، ولمّا أرادوا الانصراف قال لهم الشیخ بابتسامة رقیقة لطیفة: إن شاء الله غداً تزورونی لندفن روحیة. وروحیة هذه وحیدته التی رُزقها بعد إحدی عشرة سنة من زواجه، وکان لا یفارقها حتی فی عمله، وقد شبّت وترعرعت، وأسماها روحیة لأنّها کانت تحتلّ منه منزلة الروح، یقول البنّا: استغربنا وسألناه: متی توفیت؟ فقال: الیوم قبیل المغرب، فقلنا: ولماذا لم تخبرنا فنخرج من منزل آخر بموکب التشییع؟ فقال: وما الذی حدث؟ لقد خفّف عنّا الحزن، وانقلب المأتم فرحاً، فهل تریدون نعمة من الله أکبر من هذه النعمة؟! وانقلب الحدیث إلی درس تصوّف یلقیه الشیخ ویعلّل وفاة کریمته بغیرة الله علی قلبه؛ فإنّ الله یغار علی قلوب عباده الصالحین أن تتعلّق بغیره، أو أن تنصرف إلی سواه، واستشهد بإبراهیم علیه السلام وقد تعلّق قلبه بإسماعیل

1- (1) نفس المصدر: ص 218-219.

فأمره الله أن يـذبحه، ويعقوب عليه السـلام اذ تعلّق قلبه بيوسف فأضاعه الله منه عـدّة سـنوات، ولهذا يجب أن لا يتعلّق قلب العبد بغير الله تعالى وإلّا كان كاذباً فى دعوى المحبّة، وساق قصّة الفضـيل بن عياض وقد أمسک بيد ابنته الصغرى فقبّلها فقالت له: يا أبتاه أتحبّنى؟ فقال: نعم يا بنيـة، فقالت: والله ما كنت أظنّک كـذّاباً قبل اليوم! فقال: وكيف ذلک؟ وبم كذبت؟ فقالت: ظننت أنّک بحالک هذه مع الله لا تحبّ معه أحداً! فقال: بعد أن بكى: يا مولاى، حتى الصـغار قد اكتشفوا رياء عبدک الفضيل. وغيرها من الأحاديث التى كان الشيخ شلبى يحاول أن يسـرّى بها عنّا ويُسَـكّن ما لحقنا من ألم لمصابه، وخجل لقضاء هذه الليلة عنده، وانصـرفنا وعدنا اليه فى الصباح حيث دفنّا روحية، ولم نسمع صوت نائحة ولم ترتفع حنجرة بكلمة شكوى، ولم نرَ إلاّ مظاهر الصبر والتسليم لله العلى الكبير».

ومن هنا نجـد أنّ شـهيدنا الكربلائى قـد سَـما عنـده حبّ ابن رسول الله حتى ما كاد ليشـعر بحبّ ولده تجاه انشـغاله بحبّ الحسـين عليه السـلام، وبهذا يقول له: «سيّدى أكلتنى السباع إن أنا فارقتک»، وظلّ هذا الشهيد على هذا الثبات إلى آخر لحظة من لحظات حياته، حيث لم يبق معه إلاّ الضحّاک بن قيس المشرقى الذى ساوره حبّ الدنيا يوم العاشر من المحرّم فاختطف منه السعادة الأبدية، بينما تحرّک بشر بن عمرو الحضـرمى إلى ساحات الوغى وملؤه الشوق إلى دخول الجنّة، وهنا درس لنا جميعاً، حيث إنّ الضـحاک يقدّم لنا درساً فى الضـعف وعدم الثبات، بينما الشـهيد الكربلائى يقدّم لنا درساً فى الشـجاعة واليقين والثبات رغم كلّ الظروف والأحوال، متأسّـياً بإمامه الحسين عليه السـلام الذى ثبتت قدماه فى الأرض كالجبل الأشمّ، لا تحرّک منه الريح شـيئاً، فسـلام على بشـر بن عمرو الحضرمى الكندى ورحمة الله وبركاته.

ص:190

الشهيد يزيد بن زياد بن مهاجر الكندى البهدلى أبو الشعثاء عليه السلام

بين يدى الشهيد

نعيش خلال هـذه الوريقات نبـذة من حياة مقاتلٍ فارسٍ، ثمّ رامٍ ثمّ راجلٍ، أبلى بلاءً حسـناً يوم العاشـر من المحرم بين يـدى الحسـين عليه السلام، حتى فاضت روحه الطاهرة وهو فى أعلى درجات اليقين والثبات إنّه الشهيد أبو الشعثاء يزيد بن مهاجر الكندى البهدلى.

من هم بنو بهدلة ؟

ولا نريد أن نتحدّث عن كندة هنا، فسـيأتى الحديث عنها فى طيّات هذا الكتاب، ولكننّا سوف نتحدّث عن بنى بهدلة، لنسـلط الضوء على ما يملكون من خصائص وصفات فى الجاهلية والإسلام. يقول القلقشندى:

«بنو بهدلـة، بفتح الباء والدال المهملة واللام وسـكون الهاء الأولى بطن من تميم، وهـم بنو بهدلة بن عوف بن كعب بن سـعد بن زيد مناة بن تميم ثمّ قال وهـم

ص:191

بطن عظيم منهم الزبرقان واسمه الحصين بن بدر بن امرئ القيس»(1).

وأمّا الزبرقان، فيقول عنه ابن عبد البرّ:

«وفد على رسول الله فى قومه وكان احد ساداتهم فأسلموا وذلک فى سنة تسع فولاه رسول الله على صدقات قومه، وأقرّه أبو بكر وعمر على ذلک، وله فى ذلک اليوم من قوله بين يدى رسول الله مفاخراً:

نحن الملوک فلا حىٌّ يقاومنا فينا العلاء وفينا تنصبُ البيعُ

ونحن نطعمهم فى القحط ما أكلوا من العبيط إذا لم يونسِ القزعُ

وننحر الكوم(2) عبطاً فى أرومتنا للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا

تلک المكارمُ حزناها مقارعةً إذا الكرام على أمثالها اقترعوا»(3)

وحينما يتحدّث الزبرقان عن نفسه وقومه بهذا اللون من الاعتزاز والفخر القائم على أساس الأخلاق والمكارم، فلا شكّ أنّ الشهيد الكربلائى مشمول بقوله، لأنّ الشهيد والزبرقان كليهما ينتسبان إلى بهدلة، وربما كان الشهيد الكربلائى قد أدرک هذا الرجل، أو أنّ أباه قد أدرک هذا الرجل، فيكون قد تأثّر به من خلال أبيه.

فبنو بهدلة كانوا معروفين بمكارم الأخلاق، بل والجمال والحُسن كذلک، ولهذا يقال إنّ الزبرقان إنّما سمّى كذلک لأنّه كان جميلاً حسن الوجه، فشبّه بالقمر، لأنّ القمر يقال له زبرقان.

1- (1) نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب: ص 9-10 رقم 6.

2- (2) الكوم: جمع كوماء، وهو البعير الضخم السنام، يُنحر عَبطاً من غير علّة، والأرومة: الأصل.

3- (3) الاستيعاب: ج 1 ص 104-167، الإصابة: ج 3 ص 3. أسد الغابة: ج 1 ص 375.

ما قاله العلماء فی الشهید

1. قال السمعانی: «زیاد بن یزید بن مهاجر بن النعمان بن سلمة بن شجار بن بهدلة الکندی البهدلی، قتل مع الحسین بن علی»(1).

2. قال البخاری: «یزید بن مهاجر أبو الشعثاء الکندی، کنّاه محمد بن عبد الله بن نمیر»(2).

3. قال أبو حاتم: «أبو الشـعثاء الکوفی، روی عن ابن عمر وابن عباس. روی عنه أبو سنان الشیبانی وسعید بن سعید التغلبی، قال سمعت أبی یقول: أبو الشعثاء الکندی اسمه یزید بن مهاجر»(3).

4. قال السماوی: «کان یزید رجلاً شریفاً شجاعاً فاتکاً، خرج إلی الحسین من الکوفة قبل أن یتّصل به الحرّ»(4).

5. قال الزنجانی: «یزید بن مهاجر - حمل علی القوم کحملة الأسد حتی قتل منهم خمسین رجلاً»(5).

6. قال شـمس الدین: «یزید بن زیاد بن مهاجر أبو الشعثاء الکندی، ذکره الطبری وابن شهر أشوب والخوارزمی، والزیارة وفیها ابن المظاهر، صحفته بعض

1- (1) الأنساب للسمعانی: ج 1 ص 420.

2- (2) التاریخ الکبیر: ح 3342.

3- (3) الجرح والتعدیل لابن أبی حاتم: ج 9 ص 287 ح 1221.

4- (4) السماوی فی أنصار الحسین: ص 134.

5- (5) وسیلة الدارین: ص 215.

المصادر فقالت ابن مهاجر»(1).

7. قال السيّد الأمين: «يزيد بن زياد بن المهاجر مهاصر الكندى، ويكنّى أبا الشعثاء...، وكان رامياً وكلّما رمى يقول له الحسين: اللهمّ سدّد رميته واجعل ثوابه الجنّة»(2)

اسم الشهيد

ممّا سبق ذكره يُعلم أنّ اسم الشهيد قد ورد فيه اختلاف حيث ذكره السمعانى بزياد، والآخرون بيزيد.

وأيضاً ورد الاخلاف فى اسم أبيه، حيث ذكره بعضهم وهم الأكثر بمهاجر، وبعضهم بمظاهر.

وأمّا نسبه «الكندى البهدلى» فيبدو أنّ هناك اتّفاقاً عليه من قبل العلماء، كما وأنّ كنيته «أبا الشعثاء» لم يرد فيها اختلاف عندهم. ولهذا نميل إلى ان اسمه رضى الله عنه هو يزيد بن مهاجر الكندى البهدلى رضى الله عنه.

مع الشهيد فى روايته

لقد عُدَّ الشهيد الكربلائى واحداً من جملة الرواة الثقات الذين ترجم لهم العلماء، فقد عدّه ابن جرير الطبرى واحداً من جملة رجاله الذين يعتمد عليهم فى تفسير الآيات والأحكام الواردة فيها.

1- (1) أنصار الحسين لشمس الدين: ص 111.

2- (2) لواعج الأشجان للسيد الأمين: ص 137.

وذكره ابن أبی حاتم فی کتابه الجرح والتعدیل، حیث ترجم له فی موضعین، فقال فی الأول: «یزید بن مهاجر أبو الشعثاء الکندی، ثمّ قال: روی عنه أبو إسحاق الهمدانی وأبو العنبس ویونس بن أبی إسحاق وأبو سنان الشیبانی»(1).

ثمّ عاد فترجم له بقوله: «روی عنه أبو سنان الشیبانی وسعید بن سعید الثعلبی. سمعت أبی یقول ذلک، ویقول لا یسمّی، وهو کوفی. قال علی بن المدینی: أبو الشعثاء الذی روی عنه أبو إسحاق الهمدانی ویونس بن أبی إسحاق وأبو العنبس وأبو سنان هو الکندی ولیس هو سلیم سمعت أبی یقول: أبو الشعثاء الکندی اسمه یزید بن مهاجر»(2).

کما وقد ذکره البیهقی فی السنن من طریق عبید الله بن معاذ عن أبیه عن شعبة عن أبی إسحاق عن أبی الشعثاء(3). کما وذکره علماء آخرون کابن أبی شیبة فی المصنف(4) وذکره الترکمانی فی الجوهر النقی، وشمس الدین الذهبی فی کتابه المقتنی فی سرد الکنی(5).

ومن هنا نفهم أنّ للشهید الکربلائی شخصیة علمیة وثقافیة مهمّة، جعلت العلماء یرجعون الیه فی معرفة الدین وبیان حقائقه، وسوف نذکر بعض تلک

الروایات التی رواها العلماء عنه:

1- (1) المصدر السابق: ج 2 ص 391.

2- (2) ابن أبی حاتم فی الجرح والتعدیل: ج 4 ص 287، ج 42 ص 391.

3- (3) البیهقی: ج 5 ص 189.

4- (4) المصنّف: ج 1 ص 518.

5- (5) المقتنی فی سرد الکنی: ح 3039.

الروايـة الأولى: روى البيهقى بسـنده قال: «أخبرنا أبو عبـد الله الحافظ، أنبأنا أبو عمرو بن مطر، حـدّثنا يحيى بن محمد، حدّثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا شعبة عن أبى إسحاق قال: سمعت أبا الشعثاء يقول: سألت ابن عمر عن لحم الصيد يهديه الحلال للحرام قال: كان عمر يأكله، قلت: إنّما أسألك عن نفسك أتاكله؟ قال: كان عمر يأكله، قلت: إنّما عن نفسك أتأكله؟ قال: كان عمر خيراً منّى»(1).

وروى هذه الرواية الطبرى فى تفسيره وابن أبى حاتم وابن أبى شيبة فى المصنّف وآخرون بألفاظ مختلفة.

سؤال مهم حول الرواية

وأول ما يتبادر إلى ذهن القارئ والسامع لهـذه الروايـة هـذا السؤال، أ إنّ سؤال الشـهيد الكربلائى لابن عمر جاء لأجل أن يأخـذ منه معالم الدين وأحكام الشريعة، كأىّ إنسان يبحث عن أجوبة لمسائله، كما يحثّ على ذلك القرآن الكريم بقوله:

«فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ 2» .

أم كان لأجل أن يطّلع على رأيه فى هـذه المسألة من دون أن يتّبعه فيه على أساسه؟ وهذا الأمر ربما يكون معمولاً به كثيراً، فربّ سائل يسأل فى مسألة ما وهو يعلم جوابها، وإنّما أراد بسؤاله معرفة رأى المسؤول فيها لا غير.

وإلاّ فإننّا أمرنا أن نأخذ الأحكام من رسول الله ومن أهل بيته، حيث ورد فى

1- (1) البيهقى فى السنن: ج 5 ص 188.

كتب الفريقين أنّهم سفن النجاة وأنّهم مدينة العلم وانهم مع الحقّ والحقّ معهم، بينما لم يرد مثل هذا فى غيرهم.

نعم يُعمل برأى الغير اذا وافق رأى أهل البيت، وهذا أمر غير خافٍ على أحد، فعلماؤنا جميعهم يعملون برأى الراوى الثقة حتى ولو لم يكن إمامياً اذا كان رأيه موافقاً لرأى أهل البيت عليهم السلام، أمّا اذا ورد عن غيرهم كائناً من كان ما يخالف أهل البيت عليهم السلام فى أىّ مسألة، فالمعوّل عليه هو حكم اهل البيت دون غيرهم.

قال الشيخ الطوسى كما يذكر ذلك المامقانى فى تنقيح المقال: «من شرط العمل بخبر الواحد العدالة بلا خلاف»(1).

وقال السيّد محمد تقى الحكيم فى الأصول العامّة:

«اعتبرت الشيعة الإمامية أخبار مخالفيهم فى العقيدة حجّة اذا ثبت أنّهم من الثقات، وأسموا أخبارهم بالموثّقات»(2).

ومن ثم يمكن لأىّ إنسان أن يأخذ أحكام دينه من أىّ مسلم راوٍ إذا لم يكن هناك ما يخالفه عند أهل البيت.

وعلى هذا الأساس تحرّك الشهيد الكربلائى مع عبد الله بن عمر، ومن ثم فلا يعنى سؤاله إيّاه أخذ علوم الدين وأحكامه منه، وإنّما أراد أن يعرف رأيه فى مسألة ما وقع الاختلاف فيها عندهم دون اهل البيت عليهم السلام، حيث اتّفقت كلمتهم عليهم السلام على تحريم لحم الصيد على المحرم حتى وإن صاده محلّ، والدليل على هذا ما يلى:

1- (1) تنقيح المقال: ج 1 ص 73.

2- (2) الأصول العامة: ص 219.

تحريم لحم الصيد على المحرم

ألف: ذكر الحرّ العاملى فى وسائل الشيعة(1) مجموعة من الروايات تحت عنوان كبير «تحريم أكل المحرم من صيد البرّ حتى القديد وإن صاده محلّ» وذكر تحت هذا الباب بعض الروايات أذكر منها اثنتين.

الأولى: «وعنه عن إبراهيم بن أبى سمال عن معاوية بن عمّار عن أبى عبد الله قال:

لا تأكل شيئاً من الصيد وانت محرم وان صاده محلّ».

الثانية: «وبإسناده عن ابن أبى عمير وصفوان، عن معاوية بن عمّار عن أبى عبد الله قال:

لا تأكل الصيد وأنت حرام وإن كان أصابه محلّ».

باء: ذكر الطبرسى فى مجمع البيان فى تفسير الآية الكريمة من سورة المائدة:

«وَ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ ما دُمْتُمْ حُرُماً2»

فيقول:

«هذا يقتضى تحريم الاصطياد فى حال الإحرام، وتحريم أكل ما صاده الغير. وبه قال على وابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبير، وقيل: إنّ لحم الصيد لا

1- (1) وسائل الشيعة: ص 418 ح 16662 وح 16663.

يحرم على المحرم اذا صاده غيره، عن عمر وعثمان والحسن، ثمّ يقول: ويجب حمل الآية على الأمرين وتحريم الجميع»(1).

جيم: ما ذكره العلماء القدامى والمحدثون فى هذه المسألة، فى مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فقد ذكر المحقّق الحلّى فى شرائع الإسلام قوله فى باب المحرّمات والمكروهات للمحرم:«صيد البرّ اصطياداً وأكلاً ولو صاده محلٍ»(2).

ومن العلماء المحدثين ذكر السيّد السيستانى فى مناسک الحجّ، طبعة النجف الأشرف، مسألة 202:

«لا يجوز للمحرم أكل شىء من الصيد وإن كان قد اصطاده المحلّ فى الحلّ، كما يحرم على المحلّ على الأحوط وجوباً ما اصطاده المحرم فى الحلّ.

وممّا تقدّم نفهم أنّ مسألة أكل المُحرِم من الصيد حرام عليه حتى ولو صاده محلّ أمر مجمع عليه عند فقهاء الإمامية وعلمائهم، بينما تجد فى المدرسة المقابلة لمدرسة أهل البيت أنّ هناک نزاعاً وخلافاً فى المسألة، فبعض يذهب إلى ما ذهب اليه أئمّة أهل البيت، وبعض لا يذهب إلى ذلک، كما أشار إلى ذلک ابن حزم، حيث ذكر الرأيين معاً ثمّ مال إلى الجواز لا الحرمة، حيث قال: «وقد روينا عن عطاء، فى محرم كان بمكّة فاشترى حجلة فأمر محلاً بذبحها أنّه لا شىء عليه»(3).

1- (1) مجمع البيان، تفسير الآية: 96 من سورة المائدة.

2- (2) شرائع الإسلام: ج 1 ص 183.

3- (3) المحلّى لابن حزم: ج 2، كتاب الحجّ مسألة: 892.

ومن ثم فـإنّ الشـهيد الكربلاـئى أراد من سؤاله لاـبن عمر أن يسـتكشف رأيه أكـان موافقـاً لرأى أهل البيت أم مخالفاً له، دون إرادة المعرفة للحكم الشرعى للعمل به.

ومن هنا نفهم سرّ إعادة السؤال من قبل الشهيد الكربلائى لابن عمر مرّتين بقوله: إنّما أسألک عن نفسک أتأكله؟

الرواية الثانية: روى ابن أبى شـيبة فى مصـنّفه قال: «حدثنا ابو بكر، حدثنا وكيع عن سـعيد بن سعيد البجلى عن أبى الشعثاء الكندى عن ابن عمر قوله: الأوعية لا تحلّ شيئاً ولا تحرّم»(1).

المراد من الأوعيـة الظروف، أو ما يسـمّى بالأوانى التى يوضع فيها الشـىء، ولا شكّ أن هـذه الظروف والأوعيـة لا يمكن أن تحلّ شـيئاً هو بالأصل حرام ولا تحرّم شـيئاً هو بالأصل حلال، وإنّما ورد التأكيد من النبى صـلى الله عليه و آله على هذا الأمر لأنّ هناک بعض الظروف التى كانت تسـتعمل آنـذاک وتكون مساعدة فى تنبيذ بعض التمور والعسل وقد ورد ذكر هذه الظروف بشـكل عامّ فى أحاديث، كقول أنس: «نهى النبى صلى الله عليه و آله عن النبيذ فى هذه الظروف. ورد ذكرها مشخّصة بأسمائها كما فى قوله عليهما السلام لوفد عبد القيس:

«لا تشربوا فى نقير ولا مقير ولا دباء ولا حنتم ولا مزادة» (2).

«والمراد من النقير أصل النخلة يُترک فى مكانه ثمّ ينقر جوفه ويتّخذ منه

1- (1) المصنّف لابن أبى شيبة: ج 5 مسألة 3310.
2- (2) المصنف: ج 1 ص 518.

ظرف، والدباء القرع، والحنتم الجرار المطلية بالأخضر»(1).

ويبدو أنّ الشهيد الكربلائی يتحدث عن الحالة العامة التی عادة ما تكون فی جميع الظروف مُطّردة، إلاّ ما ورد التخصيص فيها، كقولهم:«كلّ شیء طاهر حتی تعلم أنّه نجس»(2).

لقاء الشهيد بالحسين عليه السلام ووقت التحاقه به

اختلفت الروايات فی وقت التحاق الشهيد بالحسين عليه السلام، واختلفت معها آراء العلماء.

الرأی الأول

فهناک من ذهب إلی أنّ الشهيد كان قد خرج مع عمر بن سعد أول الأمر فيمن خرج لحرب الحسين، ثمّ بعد ذلک تحوّل إلی الحسين ليلة العاشر من المحرّم. ويذهب إلی ذلک المقرّم(3) وأبو مخنف(4) ، والطبری(5) فی إحدی رواياته

وآخرون.

الرأی الثانی

بينما يذهب آخرون إلی أنّ لقاء الشهيد بالحسين كان قبل وصول الحرّ

1- (1) نفس المصدر.

2- (2) الفقه 1. أعيان الشيعة: ج 1، ص 73.

3- (3) مقتل المقرّم: ص 243.

4- (4) مقتل أبی مخنف: ص 158.

5- (5) الطبری: ج 5 ص 48.

ولقائه به عليه السلام فى منطقة شراف، وقد ذهب إلى هذا الرأى جملة من العلماء منهم الشيخ السماوى(1) ، والطبرى(2) فى إحدى رواياته، والخوارزمى(3) وآخرون.

ملاحظة حول الرأى الأول

وقبل أن نبيّن بعض النقاط التى من خلالها يتّضح أنّ خروج الشهيد ولقاءه بالحسين كان قبل وصول الحرّ اليه، وهو الرأى الذى أراه أكثر قبولاً وانسجاماً مع الأحداث، أودّ أن أبيّن أنّ الرأى الأول لا يشير بأىّ حال من الاحوال، حتى مع فرض صحّته، إلى إدانة أو منقصة للشهيد الكربلائى معاذ الله، إذ إنّ هناك جملة من الأصحاب لمّا رأوا أنّ سكك الكوفة أُغلقت وأُحكم الحصار على البلدة من قبل ابن زياد وجماعته، لم يجدوا بُدّاً من أن يتّخذوا الخروج لحرب الحسين مع من خرج للحرب واقعاً، طريقاً للوصول إلى الحسين عليه السلام، وهذا ما حاولنا أن نبيّنه من خلال حديثنا عمّن تحدّثنا عنهم من الشهداء، وسوف نتحدّث عن هذه النقطة المهمّة من جوانب متعدّدة كلّما سنحت الفرصة إلى ذلک.

المرجحات على الرأى الثانى

وأمّا الرأى الثانى، والقائل بوصول الشهيد الكربلائى إلى الحسين قبل وصول الحرّ اليه فى منطقة شراف، فإنّ هناک بعض المرجّحات التى تجعلنا نميل اليه دون الرأى الأول، ومن هذه المرجحات:

1- (1) أنصار الحسين: ص 134.

2- (2) تاريخ الطبرى: ج 5 ص 445-446.

3- (3) مقتل الخوارزمى: ج 2 ص 25.

أولاً: ذكر كثير من المؤرّخين فی خصوص لقاء الحرّ للحسين فی منطقة شراف ما هذا نصّه:

«فلمّا أصبح نزل فصلی الغداة، ثمّ عجّل الركوب فأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرّقهم، فيأتيه الحرّ بن يزيد فيردّهم، فيردّه، فجعل اذا ردّهم إلی الكوفة ردّاً شديداً امتنعوا عليه، فارتفعوا فلم يزالوا يتسايرون حتی انتهوا إلی نينوی، المكان الذی نزل به الحسين. قال: فإذا راكب علی نجيب له وعليه السلاح، متنكّب قوساً، مقبل من الكوفة، فوقفوا جميعاً ينتظرونه، فلمّا انتهی اليهم سلّم علی الحرّ بن يزيد وأصحابه ولم يسلّم علی الحسين وأصحابه، فدفع إلی الحرّ كتاباً من عبيد الله بن زياد، فإذا فيه: أمّا بعد، فجعجع بالحسين حين يبلغک كتابی ويقدم عليک رسولی، فلا تنزله إلاّ بالعراء فی غير حصن وعلی غير ماء، وقد أمرت رسولی أن يلزمک ولا يفارقک حتی يأتينی بإنفاذک أمری والسلام.

فلمّا قرأ الكتاب قال لهم الحرّ:

هذا كتاب الأمير عبيد الله بن زياد يأمرنی فيه أن أجعجع بكم فی المكان الذی يأتينی فيه كتابه، وهذا رسوله وقد أمره أن لا يفارقنی حتی أنفذ رأيه وأمره، فنظر إلی رسول عبيد الله بن زياد يزيد بن زياد بن مهاجر، أبو الشعثاء الكندی ثمّ البهدلی، فعن له فقال له: أمالک بن النُسر البدّی»(1) ؟ إلی آخر ما ورد فی هذا النصّ.

ولا شكّ أنّ كلّ من قرأ هذا النصّ، يقطع بأنّ الشهيد الكربلائی كان مع

1- (1) معالم المدرسين: ج 3 ص 77-78 (نقلاً عن مقتل أبی مخنف).

الحسين عليه السلام قبل أن يأتى رسول عبيد الله بن زياد، بل ربما كان موجوداً قبل ذلک الوقت.

ثانياً: وعى الشـهيد الكربلائى وبصـيرته النافذة، والتى يتلمّسها الإنسان من خلال المحاورة التى جرت فيما بينه وبين مالک بن النسر، رسول عبيـد الله بن زياد إلى الحرّ التى تكشف وبشـكل واضـح عن إيمانه بالثورة، ممّا يوحى بأنّ هـذا الرجل وأمثاله كان لهم دور مهمّ فى داخل الكوفة مع مسلم بن عقيل، لأنّ من وطّن نفسه على القتل وعزم على الالتحاق بالحسين من أجل الشهادة، لا يمكن أن يتصوّر فى حقّه إلاّ أنّه كان من الأركان الأساسية فى حركة مسلم بن عقيل.

ومن هنا فإنّ أغلب من كانت له مشاركة واضـحة ومهمّة حاول أن يخرج بعد شهادة مسلم بن عقيل من الكوفة، فقسم منهم التحق بالحسين وهو فى مكّة، مثل الحجّاج بن مسروق الجعفى وأمثاله.

وبعضهم التحق بالحسين وهو فى الطريق إلى العراق، أمثال الأربعة الذين جاءوا مع الطرمّاح فى منطقة عذيب الهجانات كما تقدم.

وبعضهم قبل وبعد ذلک، وكان من بينهم الشهيد الكربلائى والذى نرجّح وصوله إلى الحسين قبل منطقة اللقاء مع الحرّ.

إشكال وجواب:

وقد تقول: وماذا عمّن خرج مع جيش عمر بن سعد والتحق بعد ذلک بالحسين، ألم يكونوا اصحاب مشاركة مع حركة مسلم بن عقيل فلماذا لم يخرجوا مبكّراً ويلتحقوا بالحسين؟ أقول: نحن نتكلّم من حيث الطابع العام، وهذا

لا يعنى بالضـرورة أنّ كلّ من التحق بالحسـين خرج اليه قبل وصوله إلى كربلاء، فهناک من المؤمنين من شارک فى حركة مسلم وأراد نصرة الحسين حقّاً، ولكنّه رأى أن لا سبيل للوصول اليه إلاّ من خلال التظاهر بأنّه ممّن يريد الخروج لحرب الحسين.

وربما أعلن توبته على الملأ من أجل أن ينفى عن نفسه الشـبهة، ولكى يُقبل فى الجيش الذى سُرِّح لحرب الحسين عليه السلام، فلمّا وصل اليه انتقل وتحوّل إلى صـفّه عليه السـلام، ومن ثم يمكن القول بأنّ وعى النخبة من الأصـحاب الذين نالوا شـرف الشـهادة مع الحسين عليه السلام فى كربلاء، وحرصهم على الشهادة، ومشاركتهم الواضحة، جعلتهم يخرجون من الكوفة بعد سقوطها بيد عبيد الله بن زياد، وشهادة من استشهد وسجن من سجن، ويلتحقون بالحسين مبكّراً، ومنهم الشهيد يزيد بن مهاجر الكندى رضى الله عنه.

ثالثاً

لا شكّ أنّ كلّ من قرأ وسـمع بالروايتين اللتين تحـدّثتا عن أبى الشـعثاء الكنـدى ووقت التحاقه بالحسـين، يجـد وبشـكل واضح أنّ هناک تعارضاً بيّناً بينهما، لأنّ كلّ واحدة من الروايتين تتضـمّن الحديث إمّا بشـكل صـريح كما فى الرواية الثانية التى تؤكّد أنّه كان ممّن خرج مع جيش عمر بن سعد فلما ردّوا الشروط مال إلى الحسين ليلة العاشر من المحرّم.

وإما بشـكل ضـمنى كما فى الرواية الأولى التى تحدّثت عن حديث أبى الشـعثاء مع مالک بن النسـر فى مرحلة التقاء الحرّ بالحسـين عليه السلام.

ص:205

تعارض روايتى الالتحاق بالحسين وطرق معالجته

وبهـذا نكون أمام اضـطراب حقيقى وتعارض واضح بيّن، وهذا يدعونا إلى الرجوع إلى طرق معالجة مثل هذا التعارض، فقد ذكر العلماء أنّ من جملـة المرجّحـات هو السـبق الزمنى للروايـة على غيرها من الروايات المعارضـة لها والمتأخرة عنها زمناً، وهـذا المقياس لا شكّ أنّه يرجّح عندنا الرواية الأولى دون الرواية الثانية، وكذلک ذكر العلماء أنّ من جملة المرجّحات هو أن تكون إحدى الروايتين مفصّـلة والأخرى مجملة، فتقدم المفصّلة فى مقام التعارض على المجملة، وهذا المقياس يقدّم كذلک، ويرجّح على أساسه الرواية الأولى دون الرواية الثانية والغريب فى هـذا الأمر هو ذكر العلماء لكلّ من الروايتين دون ترجيـح واحدة على الأخرى، وهذا بتقديرى يكرّس مفهوم التناقض والتضادّ بين الأشـياء، مع أنّه كان بإمكانهم ترجيـح إحداهما على الأخرى، كما رجّحنا حسب رأينا خروج الشـهيد الكربلائى - على حسب الرواية الأولى - من كربلاء فى وقت مبكّر والتحاقه بالحسـين عليه السـلام قبل وصول الحرّ إليه. ولقـد أحسن الشـيخ محمـد مهدى شـمس الدين حينما أشار إلى هذا الاضطراب من خلال العمل بالروايتين معاً دون الترجيح بينهما قائلاً:

«وقـد اضـطرب فيه كلام الطبرى، فمرّة قال عنه إنّه تحوّل إلى الحسـين من معسـكر ابن زياد بعدما رفضوا عروض الحسـين، ومرّة قال عنه إنّه خرج إلى الحسين من الكوفة قبل أن يلاقيه الحرّ، وكذلک اضطرب فيه كلام السيّد الأمين»(1).

1- (1) أنصار الحسين: ص 112.

بين منطق الخضوع ومنطق المسؤولية

قال أبو مخنف:

«لمّا كاتب الحرّ ابن زياد فی أمر الحسين وجعل يسايره، جاء إلى الحر رسول ابن زياد مالک بن النسر البدّی ثمّ الكندی، فجاء به الحرّ وبكتابه إلى الحسين، كما يذكر فی ترجمة الحرّ، وكما قصصناه، فعنَّ مالک ليزيد هذا فقال يزيد: أمالک بن النسر أنت؟ قال: نعم، فقال له: ثكلتک أمّک، ماذا جئت به؟ قال: وما جئت به، أطعت إمامی ووفيت ببيعتی، فقال له أبو الشعثاء: عصيت ربّک وأطعت إمامک فی هلاک نفسک، وكسبت العار والنار. ألم تسمع قول الله تعالى:

«وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النّارِ وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ لا يُنْصَرُونَ 1» فهو إمامک»(1)

إنّ هذه الرواية وما دار فيها من حوار بين الشهيد أبی الشعثاء وبين مالک بن النسر، لتضعنا بين منطقين؛ منطق الخضوع والاستسلام للأمر الواقع، وبين منطق تحمّل المسؤولية الشرعية مهما كانت الظروف والأحوال.

أمّا المنطق الأوّل، فإنّ الشهيد الكربلائی لا يقبله، ولا يمكن أن يسير عليه، بل لسان حاله يقول: إنّ منهجی ومنطقی هو منطق القرآن الذی يقول:

«يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ 3» .

1- (2) مقتل الحسين لأبی مخنف: ص 93.

ص:

«وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا» .

لا بأمر الناس، يقدّمون الله قبل أمرهم، وحكم الله قبل حكمهم، قال:

«جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النّارِ» .

يقدمون أمرهم قبل أمر الله، وحكمهم قبل حكم الله، ويأخذون بأهوائهم خلاف كتاب الله»(1).

وينقل الصدوق فى أماليه كما ورد فى تفسر الثقلين عن بشر بن غالب عن الإمام الحسين، أنّه سأله عن تفسير الآية:

«يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ» .

فقال عليه السلام: «إمام دعا إلى هدى فأجابوه اليه، وإمام دعا إلى ضلالة فأجابوه اليها، هؤلاء فى الجنّة وهؤلاء فى النار، وهو قول الله:

«فَرِيقٌ فِى الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِى السَّعِيرِ»2» .

ولعمرى لقد كان الشهيد الكربلائى بصيراً فى كتاب الله، متدبّراً فى آياته، عالماً فى أحكامه. ومن هنا نراه يستدلّ استدلال العلماء، ويتحدّث تحدّث الحكماء، وينطق عن يقين بالله تعالى، ولا غرابة فى ذلک، فهو الذى نهل من معين الإسلام الصافى، وأُشرب علوم القرآن ومفاهيمه من مورده النقى فانعكست أقوالهم وأفعالهم عليهم السلام، على وعى الشهيد نتيجة لهذه المعاشرة لأئمّة أهل البيت عليهم السلام فأدرک أنّ الخزى كلّ الخزى حينما يتخلّى الإنسان عنهم، وأنّ السعادة

1- (1) تفسير الصافى، تفسير آية: 41-42 من سورة القصص.

كلّ السعادة فی الکون معهم ونصرتهم والذبّ عنهم ولهذا نراه یقول لمالک بن النسر: عصیت ربّک وأطعت إمامک (الضالّ) فی هلاک نفسک، وکسبت العار والنار(1). یعنی أنّ سوء اختیارک باتّباعک لأئمّة الضلال، وتخلّیک عن أئمّة الهدی، هو الذی سوف یُردیک فتخسر آخرتک بدخولک النار، کما أنّ العار سوف یلاحقک، وسبّة التاریخ والأجیال سوف لا تفارقک، لأنک تخلّیت عن الحقّ ونصرت الباطل.

الشهید فی کربلاء فارساً ثم رامیاً

لقد کان للشهید الکربلائی دور ممیّز فی کربلاء، فلقد کان قتاله أول الأمر فارساً ثمّ رامیاً ثمّ راجلاً. یقول أبو مخنف: «إنّ أبا الشعثاء قاتل فارساً، فلمّا عقرت فرسه جثا علی رکبتیه بین یدی الحسین علیه السلام، فرمی بمائة سهم ما سقط منها خمسة وکان رامیاً وکان کلما رمی قال:

أنا ابن بهدلة(2) فرسان العرجلة(3)

فیقول الحسین: «اللهمّ سدّد رمیته، واجعل ثوابه الجنّة». فلمّا نفدت سهامه قام فحمل علی القوم بسیفه وقال:

أنا یزیدٌ وأبی مهاجرٌ کاننی لیث بغیلٍ خادر

یا ربّ إنّی للحسین ناصرٌ ولابن سعدٍ تارک وهاجر»(4)

1- (1) إبصار العین للسماوی: ص 134.

2- (2) حی من کندة، إبصار العین: ص 135.

3- (3) العرجلة: القطیع من الخیل ح تاج العروس: ج 6 ص 41.

4- (4) إبصار العین للسماوی: ص 135: أبو مخنف: ص 158.

وهنا تجـد التميّز فی الجهاد والدفاع، حيث نزل أولاً فارساً حتی اذا قتل منهم عدداً عُقرت الفرس، فلم يتنازل عن جهاده بل انتقل إلی مرتبة أخری حظی فيها بـدعاء الحسـين عليه السـلام له، ولا شکّ أنّ دعاء الحسـين بحـدّ ذاته فضل لأنّه مجاب علی کلّ حال، ولهذا حينما کان يرمی لم تسـقط من سهامه سوی خمسة ببرکة دعاء الحسين، والبقية أصابت أهدافها ولمّا انتهت سهامه التفت إلی الحسين مودّعاً وقائلاً له: سيدی، لو کنت أملک غير هذه النفس لقدّمتها بين يديک رخيصة، ثمّ نزل إلی القتال راجلاً، ومما يلفت النظر فی رجز الشهيد هو قوله:

يا ربّ إنّی للحسين ناصرٌ ولابن سعدٍ تارکٌ وهاجر

رسالة الشهيد إلی من يهمه الأمر

وبهـذا القول أراد أن يوصـل رسالـة إلی من هم لا ـ يزالون فی جيش عمر بن سـعد بأنّکم علی باطل، بل وأراد ان يعلن موقفه هـذا للتاريـخ، ويعطی درساً للأجيال فی التضحية والولاء، لا کما تصوّر البعض من أنّ قوله: ولابن سعد تارک وهاجر، دليل علی أنّه کان فی صفّ عمر بن سعد ثمّ انتقل إلی صفّ الحسـين بعد ذلک: فهذا استدلال خاطئ، لأنّ الشهيد إنّما أراد أن يعلن براءته من النهج لا من الأشخاص، کما أنّ ولاءه للقيم والمبادئ الحقّة هو الذی دعاه لنصـرة الحسـين عليه السـلام، وهذا هو الدرس الأکبر. ويقول أبو مخنف: «ولم يزل يقاتل راجلاً حتی قتل رضی الله عنه، وفيه يقول الکميت الاسدی:

ومال أبو الشعثاء أشعث دامياً وإنّ أبا حجلٍ قتيلٌ مجحّلُ»(1)

1- (1) مقتل أبو مخنف: ص، لسان العرب لابن منظور مادة «جحل».

الشهيد عمّار بن حسّان بن شريح الطائى عليه السلام

بين يدى الشهيد

هذا الشهيد هو واحد ممّن يصفهم البعض بأنّهم من رجال ساعة العسرة، والذين مدحهم الله سبحانه وتعالى فى قرآنه الكريم يقوله:

«لَقَدْ تابَ اللّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي ساعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ ما كادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ 1» .

وساعة العسرة قد تمرّ فى زمن رسول الله فينزل فيها قرآنٌ، وقد تمرّ بعد زمن رسول الله، إنّ ساعة العسرة متوقعة فى أى وقت على مدى الحياة، لأنّ كلّ إنسان منّا قد يمرّ بساعة عصيبة لا يجد إلى جانبه من يبثّه همومه، ويلتفت يميناً وشمالاً فلا يجد إلاّ نفسه، ومثل هذا الأمر كثيراً ما يحدث لأصحاب المبادئ والقيم.

حيث تجد أنّ حياتهم مثقلة بالمتاعب والهموم والمشاكل، وكثيراً ما كانوا يعيشون الوحدة والغربة تحت وطأة هذه الظروف، وهذا ما كان على بن أبى

طالب یعانی منه بعد رحیل رسول الله صـلی الله علیه و آله حینما کان یعیش تلک المحنة التی مرّت علی الإسلام بعد فقده علیهما السلام فاضطرّته للابتعاد عن تلک الأجواء، وجرّته إلی غربة حقیقیة، ووحدة ووحشة، جعلته یفضّل الموت علی البقاء فی واقعٍ کهذا:

ألا أیّها الموت الذی لیس تارکی أرحنی فقد أفنیت کلّ خلیلِ

أراک بصیراً بالذین أُحبّهم کأنّک تنحو نحوهم بدلیلِ (1)

ومن هنـا نفهم تلـک الروایات التی جاءت تمجّـد الغرباء فی آخر الزمان، بل وتصف الإسـلام بأنّه سـیکون غریباً. ینقل النعمانی فی کتاب الغیبة، عن أبی عبد الله علیه السلام قوله: «إنّ الإسلام بدأ غریباً، وسیعود غریباً فطوبی للغرباء»(2). وکلّ هذا المدح للغربة وللغرباء هو فی الواقع لأنّ المتّبعین للإسـلام حقیقة قلیل، ولهذا کلّه صار سـیّد الشـهداء «غریب الغرباء»، ولأجل ذلک کلّه صار الصدیق فی ساعة العسرة نعمة، یقول علی علیه السلام:

وما أکثر الإخوان حین تعدّهم ولکنّهم فی النائبات قلیلُ (3)

ویقول ربیعة بن عامر (مسکین الدارمی):

ولیس أخی من ودّنی رأیَ عینهِ ولکنْ أخی من ودّنی وهو غائب(4)

ولقد تجلّت أروع صور النصرة، والأخوّة فی أعلی درجاتها، فی هذه الفئة

1- (1) المرأة العظیمة لحسن الصفار: ص 129.

2- (2) الغیبة للنعمانی: ص 336، ومثله عن رسول الله (صلی الله علیه و آله) فی تفسیر ابن أبی حاتم: ج 9 ص 2990 ح 2991.

3- (3) دیوان الإمام علی: ص 96.

4- (4) المستطرف فی کلّ فنّ مستطرف، الباب الرابع والعشرون، فی حسن المعاشرة والمودّة والأخوة.

الموفّقة التی التفت حول أبی عبد الله الحسین علیه السلام فی وادی کربلاء، هذا الوادی الذی جمع القلوب المؤمنة من کلّ ملّة ودین، فکان فیهم العلوی والعمری والعثمانی، والمسلم والمسیحی، وکان فیهم الطفل الصغیر وصاحب الشیبة الکبیر، وکان منهم الشهید السعید عمّار بن حسان بن شریح الطائی رضی الله عنه، هذا الرجل الذی کانت مواقفه ومواقف أبیه وأقربائه کلّها تدور فی دائرة الولاء لأهل البیت علیهم السلام کما سیأتینا خلال حدیثنا عنه، بل لقد کان فی أحفاده من عاش الولاء والإیمان حتی امتلأ قلبه بحبّهم علیهم السلام وفیض علومهم، فتحول إلی راوٍ وفقیه کبیر.

أقوال العلماء فی الشهید

1. قال الشیخ السماوی: «عمار بن حسّان بن شریح بن سعد بن حارثة بن لأم ابن عمرو بن ظریف بن عمرو بن ثمامة بن ذهل بن جدعان بن سعد بن طیّ الطائی».(1)

2. قال الشیخ شمس الدین رحمه الله تعالی: «عمّار بن حسّان بن شریح الطائی، ورد ذکره فی الزیارة، وفی الرجبیة ورد ذکره عمّار بن حسّان».(2)

3. قال النجاشی «وهو یترجم لحفیده:... ابن عامر، وهو الذی قتل مع الحسین بکربلاء، ابن حسّان المقتول بصفّین مع أمیر المؤمنین، ابن شریح بن سعد...»(3).

1- (1) إبصار العین: ص 150.

2- (2) أنصار الحسین: ص 101.

3- (3) رجال النجاشی: ص 229 ح 606.

أجداد الشهيد

لقـد تمتّع الشـهيد الكربلائى بأجداد عرفوا عند العرب بأنّهم من كبار الشخصـيات وأصـحاب المنزلة الاجتماعية الكبيرة، حتى أنّ الجاحظ وهو يتحدّث عن سـعد، الجدّ الثانى للشـهيد، يقول: قال ابن الكلبى: من الأشراف سعد الأثرم بن حارثة بن لأم، أخو أوس بن حارثة بن لأم، وكان شريفاً نبيهاً»(1).

سعد الأثرم جد الشهيد الكربلائى

ولقد وصـلت أسـرة الشهيد وأجداده إلى درجة من الشهرة عند العرب، من حيث الكرم والجود والسخاء والشجاعة وسائر الأخلاق الفاضلة، ممّا أدّى إلى أن تشـرئبّ عنق ملك الحيرة يومها، النعمان بن المنذر، إلى أن يخطب منهم زوجة له، وفعلاً خطب من سـعد (جدّ الشـهيد) ابنته فرعة، فتزوّجها وصاهر هذه الأسـرة وقرّبها اليه ومنحهم الكثير من المنزلة والحبوة عنده، وكان من جملة الأمور التى اهتمّ بها سـعد هو أن يكون سبّاقاً إلى الخير ومساعدة الناس وإجارتهم، فلم يكن ليرضى لنفسه أن يجير أحدٌ من الناس أحداً وهو قادر على الإجارة ولا يفعل. أمّا اذا أجار أحـدهم أحـداً من الناس على أرضه أو فى بيته أو فى أىّ مكان تصل اليه يده ولم يكن هو المجير، فذاك اليوم سـيكون يوم حزنه وألمه، وسيشـعر أنّ فى هـذا من المهانـة له لا يرضاه أبداً، فيقول أبو فرج الأصـفهانى فى الأغانى وهو يتحدّث عن حاتم وعلاقته ببنى لأم(2) قائلاً:

1- (1) كتاب البرصان والعرجان للجاحظ: ص 13.

2- (2) الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى / ج 18 / فى أخبار حاتم ونسبه / حاتم وبنو لأم.

«خرج الحكم بن أبى العاص بن أميـة بن عبد شـمس، ومعه عطر يريد الحيرة، وكان بالحيرة سوق يجتمع اليه الناس كلّ سـنة، وكان النعمان بن المنـذر قـد جعل لبنى لأم بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالک بن جدعان بن ذهل بن رومان بن حبيب بن خارجة بن سـعد بن فطنة بن طيّئ، ربع الطريق طعمة لهم، وذلک لأنّ بنت سـعد بن حارثة بن لأم كانت عند النعمان بن المنذر، وكانوا أصـهاره، فمرّ الحكم بن أبى العـاص بحاتم بن عبـد الله، فسأله الجوار فى أرض طيّئ حتى يصـير إلى الحيرة فأجاره، ثمّ أمر حاتم بجزور فنحرت وطبخت أعضاء فـأكلوا، ومع حـاتم ملحـان بن حارثـة بن سـعد بن الحشـرج، وهو ابن عمّه، فلمّا فرغوا من الطعام طيّبهم الحكم من طيبه ذلک، فمرّ حاتم بسعد بن حارثة بن لأم وليس مع حاتم من بنى أبيه غير ملحان، وحاتم على راحلته وفرسه تقاد، فأتاه بنو لأم فوضع حاتم سفرته وقال: أطعموا حيّاكم الله، فقالوا: من هؤلاء معک يا حاتم؟ قال: هؤلاء جيرانى، قال له سعد: فأنت تجير علينا فى بلادنا»(1).

فلم يكن يقبل أن يجار أحد على أرضه دون أن يكون هو المجير، حتى ولو كان الذى أجار هو حاتم الطائى نفسه، صاحب الباع الطويلة فى الكرم والجود والعطاء، وحسب اعتقادى أنّ هذه الخصال لابدّ وأن تترک أثرها فى أبناء هذا الرجل وأحفاده، فإن لم يكونوا مثله فلا أقلّ من أن يكونوا فى درجة ممدوحة من ذلک، وعلى كلّ حال سيكون عندهم استعداد وميول نحو هذه الخصال والصفات المحمودة.

1- (1) الأغانى: ج 17 ص 369.

أمّا أخو سعد بن حارثة، وهو أوس بن حارثة، فقد كان ناراً على علم، وكان من المعمّرين كذلک، حتى لينقل عنه أنّه عمّر أكثر من 200 سنة، وينقل المبرّد عن شخصيته ومنزلته قائلاً:

«إنّ النعمان بن المنذر دعا بحلَّة، وكان عنده وجوه العرب وساداتها، فقال انتظروا إلى الغد حتى ألبس هذه الحلّة أكرمكم، وفعلاً ذهب الجميع وحضروا فى الغد ولم يتخلّف عنهم إلاّ أوس، فقيل له: لم تتخلّف؟ فقال: إن كان المراد غيرى فأجمل الأشياء ألاّ أكون حاضراً، وإن كنت أنا المراد فسأطلب وسيعرف مكانى. فلمّا جلس النعمان لم ير أوساً فقال اذهبوا إلى أوس فقولوا له: احضر أمناً مما خفت، فحضر فألبسه الحلة»(1).

ومن هنا نعرف أنّ الشهيد الكربلائى كان من بيوت العزّ والشرف والمنعة والسيادة والريادة وكان وجوده قويّاً ومؤثّراً فى الساحة الاجتماعية فليس بعد كلّ هذا أن يُقال عنه بأنّه من الشخصيات المعروفة فى التاريخ.

والد الشهيد الكربلائى

ذكر النجاشى فى رجاله، والخوئى فى معجمه(2)، أنّ حسّان والد الشهيد كان من الرجال المؤمنين الذين وقفوا إلى جانب على بن أبى طالب وصحبوه فى كلّ من معركة الجمل وصفّين، إلى أن استشهد فى صفّين رضى الله عنه، هذه المعركة التى كشفت عن معادن الرجال، وبيّنت الحقائق من الدعاوى، فلم يثبت فيها سوى من

1- (1) الكامل للمبرّد: ج 1 ص 186.

2- (2) رجال النجاشى: ص 229 (606)، معجم رجال الحديث: ج 5 ص 2655.

كان على بيّنة من ربّه ونبيّه عليهما السلام، فلقد تعرّض أهل صفّين إلى هزّات عنيفة من خلال الشبهات التى أثيرت آنذاك وأثّرت فيهم، سواءٌ قبل نشوب المعركة أو خلالها، فهناك من رفع المصاحف كذباً وبهتاناً ودعا إلى الرجوع كتاب الله، وهناك من جبن وجبّن، وهناك من كان يسير بين الصفوف ويقول: لا قتال لا قتال.

ولم تكن هذه الشبهات قد اختصّت بها معركة صفّين، بل كانت موجودة حتى فى معركة الجمل، وللمثال أقول هذه الرواية لتكون شاهداً على ذلك وإن كانت تتحدّث عن واقعة الجمل، ولكن الأمر نفسه حصل فى صفّين: «عن أبى يحيى الواسطى قال: لمّا افتتح أمير المؤمنين (المقصود فتح البصرة) اجتمع الناس عليه، وفيهم الحسن البصرى ومعه الألواح، فكان كلّما لفظ أمير المؤمنين كلمة كتبها، فقال أمير المؤمنين له بأعلى صوته: ما تصنع؟ فقال: نكتب آثاركم لنحدّث بها بعدكم، فقال أمير المؤمنين: أما إنّ لكلّ قوم سامرى، وهذا سامرى هذه الأمّة، أما إنّه لا يقول: لا مساس ولكن يقول: لا قتال»(1).

فكم سامرى ابتلى به أميرالمؤمنين فى صفّين كان يثبّط من عزائم الناس فى القتال، ولهذا قلنا آنفاً إنّ هذه المعركة بل والمعارك التى خاضها أمير المؤمنين كانت مختبراً عملياً لكلّ الادّعاءات، فمن ثبت فيها كان فى غيرها أثبت، ومن خسر فيها وتزلزل كان فى غيرها أخسر وأكثر تزلزلاً، وهذا ما يفسّر لنا ما حصل لشمر بن ذى الجوشن وشبث بن ربعى وآخرين، حيث كانوا ممّن تزلزلت اقدامهم فى معركة صفّين بل ووقفوا ضدّ على عليه السلام. يقول السيّد الخوئى وهو

1- (1) العرفان الإسلامى للسيد محمد تقى المدرسى: ص 39.

يتحدّث عن شبث بن ربعی: «من أصحاب أمیر المؤمنین رجع إلی الخوارج»(1).

ولهـذا حینما نقرأ فی التأریـخ أنّ والد الشـهید قاتل فی الجمل وصـفّین، ولم ینتهِ الأمر إلی هذا الحدّ بل واستشـهد فی صـفّین، نعرف مدی الإیمان والثبات الذی کان یتمتّع به رضی الله عنه.

ابن عمّ الشهید الکربلائی

عُرفت أسـرة الشـهید بالإباء وعدم الرضوخ للظلم مهما کانت النتائج، ولقد قدّمت النفوس والأرواح فی هذا المجال، وهذه کانت سـیرة آبائه وأقربائه، وسأتناول للتدلیل علی هذه الحقیقة سیرة واحد من أبناء عمّه ألا وهو:

عروة بن افاق بن شریح الطائی

قال ابن حجر فی الإصابة(2): «له إدراک، وشـهد قتال الخوارج مع علی، فقال علی علیه السـلام: لا یفلت منهم واحد ولا یقتلون منّا عشرة وکان کذلک وکان عروة فیمن قتل من العشرة».

وفی روایة ینقلها الخوارزمی عن عبیدة السلمانی: «إنّ علیاً خطب أهل الکوفة فقال: یا أهل الکوفة، لولا أن تبطروا لحدّثتکم بما وعدکم الله علی لسان نبیّه علیهما السلام الذین تقتلونه منهم المخدج الید، وهو صاحب الثدیة، فو الله لا یقتل منکم عشرة ولا یفلت منهم عشرة»(3).

1- (1) معجم رجال الحدیث للخوئی: ج 10 ح 5687.

2- (2) ابن حجر فی الأصابة: ج 5، ص 96.

3- (3) المناقب للخوارزمی: ص 263.

ولا شكّ أنّ علياً حينما قال هـذه الكلمـة لم يكن اعتباطاً من دون أى سـبب وإنّما كان وراءها سـبب وهذا ما يشـير اليه الهيثمى فى مجمع الزوائـد، وفتـح البارى فى شـرح صـحيح البخارى عن جنـدب بن عبـد الله البجلى (أخو جرير بن عبـد الله البجلى) الذى كانت له مواقف مخجلـة مع على عليه السـلام وانتهت إلى أن هـدم أمير المؤمنين مسـجده فى الكوفـة) يقول: «لمّـا فـارقت الخوارج علياً، خرج فى طلبهم وخرجنا معه، فانتهينا إلى عسكرهم، فإذا لهم دويّ كدويّ النحل من قراءة القرآن، واذا فيهم أصحاب الثفنات وأصحاب البرانس (المعروفون بالزهد والعبادة) قال: فدخلنى من ذلک شكّ فنزلت عن فرسـى وقمت أصـلّى فقلت: اللهمّ إن كان قتال هؤلاء القوم لک طاعة فأذن لى فيه، وإن كان معصـية فأرنى براءتک، يقول: فمرّ بى على عليه السلام فلمّا حاذانى قال: تعوّذ بالله من الشكّ يا جندب، فلمّا جئته أقبل رجل على برذون يقول: إن كان لک بالقوم حاجـة فإنّهم قد قطعوا النهر، قال: ما قطعوه، قلت: سـبحان الله، ثمّ جاء آخر فقال مثل قوله، ثمّ جاء آخر بما جـاء به الأولاـن، فى كـلّ مرّة يقول: مـا قطعوه ولن يقطعوه، وليقتلنّ دونه، عهـد من الله ورسوله، قلت: الله أكبر، ثمّ ركبنا فسايرته فقال لى: سأبعث اليهم رجلاً يقرأ القرآن يدعوهم إلى كتاب الله وسـنّة نبيّهم، فلا يقبل علينا بوجهه حتى يرشـقوه بالنبل، أما إنّه لا يقتل منّا عشـرة ولا يفلت منهم عشـرة، يقول: فانتهينا إلى القوم، فأرسل اليهم فتى من بنى عامر، فلمّا دنا منهم حيث يسـمعون، قاموا ونشـبوا الفتى، فأقبل علينا بوجهه فقعد، فقال على: دونكم القوم. قال جندب: يكفى هذه بعد ما دخلنى ما كان دخلنى»(1).

1- (1) مجمع الزوائد للهيثمى: ج 6، ص 241 (بتصرّف).

وفعلاً لم يقتل من جيش على عشـرة ولم يفلت منهم عشرة وكان من جملة الشهداء فى هذه المعركة عروة بن أفاق بن شريح، ابن عمّ الشهيد الكربلائى، ولحسن موقفه وثباته ذكره السيّد عبد الحسين شرف الدين فى كتابه الفصول المهمّة وترحم عليه بقوله:

«عروة بن شـفاف بن شريح بن سعد بن حارثة بن لأم الطائى، الذى شهد قتال الخوارج مع أمير المؤمنين فقال له: لا يفلت منهم عشرون ولا يقتلون منّا عشرة، فكان الأمر كذلك، وكان عروة فيمن قتل يومئذ رحمه الله تعالى».(1)

هل للشهيد قريب من شهداء كربلاء؟

اشارة

لقد ذكر العلماء الذين ترجموا لأصـحاب الحسين عليه السلام كلّ صغيرة وكبيرة تتعلّق بهم، لا سيما ما جرى لهم فى كربلاء، حيث تحدّثوا وأشاروا إلى وقت التحاقهم بالحسين، وهل كان التحاقهم لوحدهم أم مع آخرين؟

وإذا كان برفقتهم آخرون فمن هم يا ترى؟

هل كانوا من أقربائهم، وأبنائهم وإخوانهم وأبناء عمومتهم وزوجاتهم وبناتهم وأخواتهم؟

أم كانوا أصحاباً لهم وأصدقاء؟

بل لقد ذكر العلماء فى هذا المجال حتى الموالى الذين جاءوا واستشـهدوا مع الشهداء، وحتى تكون الصورة واضحة أكثر سوف أذكر مثالاً على ذلك.

1- (1) الفصول المهمّة: ص 198.

أولاً: ذكروا أنّ الحرّ بن يزيد الرياحى حينما انتقل إلى معسكر الحسين، انتقل معه ولده على ومولى له يقال له تركى.(1)

ثانياً: ذكروا أنّ زهير بن القين حينما انتقل وساير الحسين إلى كربلاء، أقبل معه من أبناء عمومته سلمان بن مضارب البجلى.(2)

ثالثاً: ذكروا أنّ مسلم بن عوسجة حينما وصل إلى الحسين، وصل ومعه زوجته (أمّ خلف) وولده خلف.(3)

رابعاً: ذكروا أنّ جنادة بن كعب الأنصارى حينما أقبل إلى الحسين، أقبل ومعه زوجته وولده عمرو، المستشهدون بين يدى الحسين.(4)

خامساً: وذكرو من الموالى الكثير، منهم عمرو بن خالد الصيداوى وسعد مولاه.(5)

وهناك آخرون ذكرهم العلماء، أعرضت عن ذكرهم، لأنّى أردت أن أعطى مثلاً للتدليل على أنّهم ذكروا هذا الأمر بكلّ تفصيلاته التى عرفوها واطّلعوا عليها، ولكنّهم وللأسف الشديد لم يذكروا أىّ شىء، لا من قريب ولا من بعيد، عن الشهيد الكربلائى عمّار بن حسّان الطائى، والذى كان من جملة من التحق

1- (1) وسيلة الدارين: ص 111، مقتل الخوارزمى.

2- (2) إبصار العين: ص 132.

3- (3) رياحين الشريعة لذبيح الله محلاتى: ج 3 ص 315.

4- (4) إبصار العين: ص 123.

5- (5) إبصار العين: ص 90.

بالحسين عليه السلام واستشهد فى كربلاء أحد أقربائه، وهو عامر بن مسلم العبدى، والذى نميل إلى أنّه كان ابن أخى الشهيد الكربلائى رضى الله عنه.

وقد ورد عن بعض علمائنا رضى الله عنه حول هذا الشهيد الكربلائى (عامر بن مسلم العبدى) قولهم: مجهول فى أصحاب الحسين، كما سيأتينا خلال البحث إن شاء الله. وحينما ترجع إلى الكتب التى ترجمت وتحدّثت عنه، لا تجدهم يزيدون فى اسمه ونسبه عن هذا الذى ذكرت.

ولكنّى وجدت أنّ الشيخ النجاشى فى رجاله ذكر نسب الشهيد مع تفصيل فى آبائه، حيث يقول السيّد الزنجانى فى كتابه وسيلة الدارين، نقلاً عن النجاشى: «هو عامر بن مسلم بن حسّان بن شريح بن سعد بن حارثة بن لأم بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن ذهل بن جدعان بن سعد بن فطرة السعدى البصرى، من أصحاب الحسين قتل معه بالطفّ»(1).

وقد طابقت نسب هذا الشهيد مع ما ذكره السماوى فى إبصار العين، فى ترجمة عمّار بن حسّان الطائى، حيث يقول: «عمّار بن حسّان بن شريح بن سعد بن حارثة بن لأم بن عمرو بن ظريف بن عمرو بن ثمامة بن ذهل بن جدعان بن سعد بن فطرة بن طيّ ء الطائى»(2).

فوجدت أنّ هناك تطابقاً مئة بالمئة، نعم ورد الاختلاف فى «طريف» و «ظريف»، ولكن مثل هذا الأمر يحمل على التصحيف، كما هو معروف عند

1- (1) وسيلة الدارين: ص 161.

2- (2) ابصار العين: ص 150.

أهل هذا الفنّ، ولا يمكن أن يكون اختلافاً يوقف استدلالاً ما، نعم هناك مسألة مهمّة لابدّ من تسليط الضوء عليها ومن مناقشتها مناقشة علمية، وهى النسبة التى ذكرها العلماء لكلّ من الشهيدين؛ فهذا طائىّ، وذاك سعدى بصرى عبدى.

أقول: إنّ نسبة السعدى التى ذكرها العلماء فى عامر بن مسلم، هى الأقرب إلى واقع نسب الشهيد رضى الله عنه، لأنّ من كان نسبه حسب ما ذكره السماوى، لا يمكن أن ينتهى إلى أن يكون عبدياً من عبد قيس.

نعم يمكن أن يكون عبدياً ولكن من أبناء عبد جذيمة، لأنّه يرجع إلى طيّئ أو حسب تعبير أهل هذا العلم أنّ جذيمة، بطن من طيّئ، يقول المعترى فى المنتخب فى نسب قبائل العرب، وهو من بنى لأم من طيّئ، وأعرف من غيره بأنساب طيّئ.

«وكان لطيّئ من الولد الغوث وقطرة والحارث، فولد لقطرة سعد، فتزوج سعد جديلة بنت سبيع بن حمير الأصغر، فعرفوا بها، ويقال لهم جديلة، باسم أمّهم، وكان لطيّئ قبيلتان: جديلة والغوث، ومن بطون الغوث بنو جرم، واسمه ثعلبة بن عمرو بن الغوث، ومن بطون جرم جذيمة، ذكرهم الحمدانى».

ولهذا يصحّ أن يعبّر عن أولاد بنى عبد جذيمة بالعبدى الطائى.

مع أن العبديّين من عبد قيس، أمثال الأدهم بن أميّة العبدى وآخرين، أصح أن يُطلق عليهم هذا اللقب وهو الطائى، دون الآخر وهو العبدى، ويمكن أن يكون شاهداً على ذلك خروجهم جميعاً إلى نصرة الحسين من بيت مارية بنت منقذ

العبدية، التى ذكر الطبرى أنّها من عبد قيس فى البصرة.(1).

وهـذا الأمر متعارف عليه عند الناس قديماً وحديثاً، حيث يطلقون اسـماً أو لقباً معيّناً على إنسان ما، يختلف عن لقبه الأصـلى، كمن يكون مثلاً كوفياً فينتقل إلى البصـرة ويسـكن فيها لمـدّة طويلة فيطلق عليه أو على أولاده بصـرى، ولا يقال إنّ هذا الأمر يخصّ المدن ولا يشـمل الأسماء والألقاب.

أقول: لا، بل يمكن ذلک، وقد الحقت ألقاب وأسـماء بشخصـيّات جاهلية وإسـلامية، وعُرفت فى التاريخ بالاسم الثانى واشـتهرت به، دون الاسم الحقيقى الذى يرجع اليه نفس الشخص، والمثال البارز على ذلک هو المقداد بن الأسود الكندى، فمع أنّ اسمه هو المقداد بن عمرو بن ثعلبـة بن مالک بن ربيعـة بن عامر ابن مطرود البهرائى، نسـبه الناس إلى الكنـدى وإلى الأسود؛ فأمّا الكنـدى فلأجل أنّ أباه حالف قبيلة كندة، وأمّا الأسود فلأنّ المقداد حالف فى قريش الأسود بن عبد يغوث الزهرى عندما قدم مكّة، وعرف منذ ذلک الوقت بالمقداد بن الأسود الكندى، دون الاسم الأول الذى بقى فقط فى كتب التحقيق والتأليف.

وربما كان الشـهيد عامر بن مسـلم بن شـريح العبدى نسب اليهم بسـبب الصداقة الكبيرة والصـحبة الولائية التى ارتبط من خلالها بهم هو وأبوه، والتى انتهت إلى إطلاق لفظ العبدى عليها مع أنهما طائيّان.

أمّا لفظة السـعدى فيمكن لكلّ طائى أن يقال عنه سـعدى، لأنّ السـعدى يرجع إلى طيّئ فلا يضـرّ أن يقال للشـخص السعدى طائى، أو أن يكتفى بذكر

1- (1) تنقيح المقال: ج 3 ص 82، مستدركات علم الرجال: ج 8 ص 598، تاريخ الطبرى: ج 3 ص 287.

واحدة دون الأخرى، لأنّهما بالنتيجة يرجعان إلى طيّئ وهو الذى نريد أن نصل اليه من حديثنا هذا.

وللمثال فقط أقول إن ممّن أُطلق عليه اللفظان معاً السعدى والطائى، هو الصحابى مازن بن الغضوبة السعدى الطائى، وهو أول من أسلم من أهل عُمان(1) ومن هنا يمكن للانسان أن يخرج بنتيجة، وهى أنّ الشهيد عامر بن مسلم ليس عبدياً وإنّما هو طائى سعدى بصرى، وممّا يؤكّد هذه النسبة التى ذهبنا اليها ما ذكره أعلامنا رضى الله عنه أمثال:

1. النمازى فى مستدركات علم الرجال، وهو يترجم للشهيد عامر، حيث قال:«عامر بن مسلم بن حسّان بن شريح البصرى السعدى».(2)

2. النجاشى فى ترجمة الشهيد، نقلاً عن الزنجانى فى وسيلة الدارين، حيث قال: «عامر بن مسلم بن حسّان بن شريح بن سعد بن حارثة بن لأم بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن ذهل بن جدعان بن سعد بن فطرة السعدى البصرى».(3)

فإذا علمنا أنّ نسبهما واحد، وأنّهما يشتركان فى أسماء الأجداد واسم الأب، سوى أنّ الأول أطلق عليه الطائى، والثانى أطلق عليه السعدى والعبدى، كما بيّنا، فتكون النتيجة أنّ القرابة بينهما أمر لابدّ من القول به

1- (1) عمان فى التاريخ وزارة الاسلام: ص 112، اتحاق الأعيان سيف بن طمود البطاشى: ج 1 ص 21.

2- (2) مستدركات علم الرجال: ج 4 ص 322 ح 7352.

3- (3) وسيلة الدارين: ص 161.

نوع القرابة ودرجتها

أمّا ما هی هذه القرابة ودرجتها؟ فعندنا احتمالات ثلاثة لا رابع لها:

أولاً: منهم من يقول إنّ عـامر بن مسـلم بن حسّان الطائی لابـدّ أن يكون ابن أخی الشـهيد عمّار بن حسّان الطائی، كما هو واضـح، ومنهم النمازی فی المستدركات ووسيلة الدارين، وآخرون.(1)

ثانياً: منهم من يقول بأنّ عامر هو ابن حسّان بن شـريح الطائی، فلابدّ أن يكون الشـهيدان أخوين، لأنّ أباهما واحد، وهو حسّان، وذهب إلى ذلک المامقانی، وعلى ما نقل فی كتاب النجاشی نفسه، فی ترجمة أحمد بن عامر حفيده، حيث قال: «أحمد بن عامر بن سليمان بن صالح بن وهب بن عامر بن حسّان بن شريح بن سعد الخ».(2)

ثالثاً: ربما يأتی احتمال أن تكون كلّ من الشخصـيّتين إنّما تشير إلى شخصية واحدة لاشتراكهما فی النسب، وبدل أن يقال عمّار قالوا عامر، للتصـحيف مثلاً، كما ورد الاختلاف فی أسماء بعض الشهداء فی كربلاء، ومن ثم لا يؤدّی الاختلاف فی الاسم إلى تعدّد الشخصيّات فی الخارج، وقد مال إلى ذلک السيّد الخوئی رضی الله عنه(3) ، وهذه الاحتمالات الثلاثة كلّ منها يمكن قبوله، وعليه علامات ودلائل.

1- (1) مسـتدركات علم الرجال: ج 4 ص 323 ح 7352. النصـرة فی شيعة البصرة: ج 2 ص 137. وسيلة الدارين: ص 161، إيضاح الاشتباه للعلاّمة الحلی: ص 191 ح 88.

2- (2) المامقانی: ج 6 ص 194-195، رجال النجاشی: ص 100 ح 250.

3- (3) معجم رجال الحـديث: ج 10 ح 6086، حيث ذكره تحت اسم عـامر بن حسـان بن شـريح... وجاء فی المناقب عمّار، ولعلهما واحد.

ولكن اذا مـا دُقق فى هـذه الاحتمالاـت واحـداً واحـداً فسـننتهى إلى أنّ الرأى الأول هو الأقرب من هـذه الاحتمالات الثلاثـة، وإن كانت جميعها مقبولة بشكل عامّ.

ومن ثم فـإنّ بعض العلماء(1) أمثال الزنجانى فى وسـيلة الـدارين، والعلاّمـة فى إيضاح الاشـتباه، والنمازى فى مسـتدركات علم الرجال، والنجاشـى على قول الزنجانى فى وسـيلة الدارين، والسـماوى كذلک، والفضـيل بن الزبير فى كتابه تسـمية من قتل مع الحسـين، وآخرين، يرجّح كفّة الاحتمال أن يكون الشهيد هو ابن أخى الشهيد عمّار بن حسّان الطائى رضى الله عنه.

ولكن سواء ملنا إلى الرأى الأول أو الثانى أو حتى الثالث، فإنّ الصورة تكون واضحة.

وأمّا بالنسـبة إلى نسب الشـهيد، فسواء قلنا هو عمّار بن حسّان الطائى أو عامر ابن مسـلم بن حسّان العبدى، أو عامر بن حسّان العبدى، فإنّ هذا النسب معلوم غير مجهول.

فكيف والحال هـذه يمكن أن يقال عن هـذه الشخصـية كلمة تشـير إلى مجهوليّتها، مع ما أوضـحنا مِن معلومية النسب والنسـبة، وعليه فلا يسـعنى أن أقول شيئاً فى مقابل عمالقة علم الرجال وفطاحل العلماء الأفذاذ أمثال السيّد الخوئى والشيخ المامقانى، سوى أن أذكر عبارتهما التى انتهيا فيها إلى أنّ عامر بن مسلم

1- (1) مسـتدركات علم الرجال: ج 4 ص 323 ح 7352، النصـرة فى شيعة البصرة: ج 2 ص 137، وسـيلة الدارين: ج 161. إيضاح الاشتباه للعلاّمة: ص 191 ح 88.

ابن حسّان العبدی مجهول فی اصحاب الحسین. حیث نقل السیّد الخوئی فی معجمه فی ترجمة عامر بن مسلم:«مجهول من أصحاب الحسین علیه السلام»(1).

حفید الشهید الکربلائی

لقد وُهِبَ الشهید الکربلائی ذریة صالحة مبارکة، صاحبة عطاءٍ کبیر، حملت فکر أهل البیت وعلومهم، من جیل إلی جیل، حتی لقد کتب عنهم المؤرّخون وأصحاب الحدیث والرجال، ومجّدوا شخصیاتهم، فکانوا مصداقاً للآیة الکریمة:

«وَ أَمَّا الْجِدارُ فَکانَ لِغُلامَیْنِ یَتِیمَیْنِ فِی الْمَدِینَةِ وَ کانَ تَحْتَهُ کَنْزٌ لَهُما وَ کانَ أَبُوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّکَ أَنْ یَبْلُغا أَشُدَّهُما وَ یَسْتَخْرِجا کَنزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ 2» .

ولقد تحدّر من صلب الشهید أعلام مشهورون شهد لهم أرباب العلم والمعرفة، بالعلم والمعرفة وکان من هؤلاء أحمد بن عامر الطائی، وولده عبد الله، حیث یقول عنه المامقانی:

«أحمد بن عامر، أبو الجعد، عدّه الشیخ فی رجاله من أصحاب الرضا علیه السلام قائلاً: أحمد بن عامر بن سلیمان الطائی، روی عنه ابنه عبد الله بن أحمد وأسند عنه، انتهی. وقال النجاشی: أحمد بن عامر بن سلیمان بن صالح بن وهب بن عامر، وهو الذی قتل مع الحسین بن علی علیه السلام بکربلاء، ابن حسّان الشریح (بن شریح)

1- (1) معجم رجال الحدیث: ج 10 ح 6113.

ابن سعد بن حارثة بن لأم بن طريف... ويكنّى أحمد بن عامر أبا الجعد»(1).

وممّا تميّز به هذا الحفيد هو أنّه كان الراوى لصحيفة الإمام الرضا عليه السلام، حيث وردت بعدة مسانيد، كانت أغلب هذه المسانيد ان لم نقل كلّها، تنتهى إلى حفيد الشهيد الكربلائى عبد الله بن أحمد بن عامر الطائى، فقد ذكرها الشيخ الصدوق(2)، وابن جرير الطبرى فى دلائل الإمامة(3)، والنجاشى(4)، والطوسى(5)، وابن المغازلى فى المناقب(6)، والخوارزمى(7)، والكنجى فى كفاية الطالب(8) بسند

يقول عنه الزمخشرى فى ربيع الأبرار(9): كان يقول يحيى بن الحسين الحسينى فى اسناد صحيفة الرضا لو قرأ هذا الاسناد فى مجنون أفاق.

ويقول أبو نعيم فى حلية الأولياء، بعد أن رواه بتفاوت يسير: «هذا حديث ثابت مشهور بهذا الإسناد من رواية الطاهرين عن آبائهم الطيّبين، وكان بعض سلفنا من المحدّثين اذا روى هذا الإسناد قال: لو قرأ هذا الإسناد على مجنون لأفاق»(10).

1- (1) تنقيح المقال: ج 6 ص 195-196.
2- (2) الصدوق ثواب الأعمال: ص 252 ح 3. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج 2 ص 8.
3- (3) دلائل الإمامة: ص 58.
4- (4) النجاشى: ص 170.
5- (5) الطوسى فى الأمالى: ص 285.
6- (6) المناقب لابن المغازلى: ص 64-69.
7- (7) المناقب للخوارزمى: ص 208-210.
8- (8) كفاية الطالب: ص 184.
9- (9) الزمخشرى فى ربيع الأبرار: ص 673.
10- (10) حلية الأولياء: ج 3 ص 191.

وللتبرّک سوف أذکر روایة واحدة من هذه الصحیفة التی رواها لنا حفید الشهید الکربلائی عبد الله بن أحمد بن عامر.

«ینقل عبد الله بن أحمد بن عامر الطائی عن أبیه عن الرضا علیه السلام بالإسناد عن رسول قال: قال رسول الله: «یا علی، إنّی سألت ربّی فیک خمس خصال فأعطانی؛ أمّا أوّلهن فسألت ربی أن تنشق عنی الأرض وأنفض التراب عن رأسی وأنت معی فأعطانی، وأمّا الثانیة فسألت ربّی أن یوقفنی عند کفّة المیزان وأنت معی فأعطانی، وأمّا الثالثة فسألت ربی أن یجعلک حامل لوائی، وهو لواء الله الأکبر، تحته المفلحون الفائزون فی الجنّة فأعطانی، وأمّا الرابعة فسألت ربّی أن تسقی أمّتی من حوض الکوثر فأعطانی، وأمّا الخامسة فسألت ربّی أن یجعلک قائد أمّتی إلی الجنّة فأعطانی ربّی، والحمد لله الذی مَنّ علیّ بذلک».(1)

ولقد روی عنه أرباب العلم والمعرفة ألواناً من الروایات، بل لقد عدّه علماؤنا من أصحاب الفتوی. کما ورد عن الشیخ السبحانی فی کتابه «تاریخ الفقه الإسلامی وأدواره»(2) حیث ذکره فیمن کان من أصحاب الفتوی فی زمن الإمام الرضا علیه السلام، ولا یرد هنا إشکال: کیف یفتی مع وجود إمام معصوم؟ الفتوی إنّما تعنی أنّ الفقیه یکون مُلمّاً لأصول الشرعیة والقواعد، ما یستطیع من خلالها التفریع علیها واستنباط الحکم الشرعی، وقد ورد عن أهل البیت قولهم: «علینا إلقاء الأصول وعلیکم التفریع»(3).

1- (1) صحیفة الإمام الرضا علیه السلام: ح 33.

2- (2) تاریخ الفقه الإسلامی وأدواره للشیخ السبحانی: ص 146.

3- (3) وسائل الشیعة: ج 27 ص 62، میزان الحکمة: ج 1 ص 549.

ومن هنا نجد أنّ هناک جملة من أصحاب الأئمّة ألّفوا فی هذه الأصول حتی أوصلها بعضهم إلی أکثر من أربعمائة أصل (قاعدة) مثل قاعدة «کلّ شیء لک طاهر حتی تعلم أنّه نجس» أو قاعدة «کلّ شیء لک حلال حتی تعلم أنّه حرام»(1) بحیث یستطیع الفقیه من خلالها إصدار الحکم الشرعی، وکلّ هذه القواعد التی ذکرها العلماء مصدرها الأوّل هو القرآن وقول المعصوم علیه السلام وتقریره، ولذلک یقول السیّد عبد الله شبّر، فی کتابه الأصول الأصلیة والقواعد الشرعیة، فی مقدّمته: «وتضمّنت مهمّات المسائل الأصولیة التی تستنبط منها الأحکام الشرعیة الفرعیة، من الآیات القرآنیة والأخبار المعصومیة، وسمّیتها الأصول الأصلیة والقواعد الشرعیة»(2). ولقد عنی أئمّة أهل البیت بإعداد هؤلاء الأفذاذ الکبار من العلماء، وتعلیمهم قواعد الاستنباط، وتأهیلهم للفتوی، لعلمهم علیهم السلام بحاجة الأمّة إلی أمثالهم سواء فی عصرهم علیهم السلام، لتعذّر وصول المعصوم إلی کلّ مکان فی آن واحد، ممّا یستدعی وجود وکلاء یعملون ضمن قواعد معیّنة ومعطاة لهم من قبل المعصوم، هذا من جانب، ومن جانب آخر تکون مثل هذه العملیة إعداداً طبیعیاً تدریجیاً لمرحلة الغیبة الصغری والکبری، والتی سوف تعتمد الأمّة خلالها علی خلفاء المعصومین علیهم السلام، ألا وهم العلماء العاملون، کما فی التوقیع من الإمام المهدی عج الله تعالی فرجه الشریف:

«وأمّا الحوادث الواقعة، فارجعوا فیها إلی رواة أحادیثنا، فإنّهم حجّتی علیکم، وأنا حجّة الله».(3)

1- (1) الفقه للمعتریین: ص 85.

2- (2) الأصول الشرعیة والقواعد الفقهیة للسیّد عبد الله شبّر: ص 5.

3- (3) کفایة الأحکام: ص 83.

فائدة

وهناک بعض الروايات التی رواها لنا حفيد الشـهيد الكربلائی «عبد الله بن أحمد بن عامر الطائی» وردت فی الكثير من المؤلّفات القديمة والحديثة لمدرسة اهل البيت وغيرها، أذكر بعضاً منها فيما يتعلق بأهمّية التسـمية وفضلها، خصوصاً فی أيّامنا، حيث أخذ الكثير من إخواننا يسـمّون أبناءهم تسميات ما أنزل الله بها من سلطان، بل ربما تكون مدعاة لهم ودافعاً للانحراف لا قدّر الله، فإنّ للاسم آثاراً نفسيّة ومعنوية على الوليد تصحبه إلى آخر عمره.

ينقل ابن بكير فی كتابه «فضائل التسمية» أحاديث عن النبی صلی الله عليه و آله والمعصومين عليهم السلام فی هذا المجال، منها:

أولاً: «حـدّثنا أبو يعقوب بن يوسف بن علی بن يحيی العزّاوی، حـدّثنا أبو بكر أحمـد بن شاذان البزّاز ببغـداد، حـدّثنا أبو القاسم عبد الله بن عمّار الطائی، حـدّثنا أبی، حدّثنا علی بن موسـی الرضا عن أبيه عن جدّه جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه الحسـين بن علی عن علی بن أبی طالب قال:

قال رسول الله صلی الله عليه و آله: إذا سمّيتم الولد محمّداً فأكرموه وأوسعوا له المجلس، ولا تُقبّحوا له وجهاً» (1).

ثانياً: «حـدّثنا أبو يعقوب بن يوسف بن علی الفقيه، حـدّثنا أبو بكر ابن شاذان ببغداد، حدّثنا أبو القاسم الطائی، حدّثنا أبی، حدّثنا أبو الحسـن الرضا عن موسی ابن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن جدّه علی زين العابدين عن أبيه

1- (1) فضائل التسمية لابن بكير، تحقيق مجدی فتحی السيّد: ح 25.

الحسین عن أبیه علی بن ابی طالب قال: قال رسول الله صلی الله علیه و آله: ما من مائدة وضعت فحضر علیها من اسمه محمد أو أحمد إلاّ قدّس ذلک المنزل فی کلّ یوم مرّتین».(1)

ثالثا: «حدّثنا أبو یعقوب یوسف بن علی الفقیه، حدّثنا أحمد بن إبراهیم بن الحسن البغدادی، حدّثنا عبد الله بن أحمد بن عمّار الطائی، حدّثنا أبی، حدّثنا علی ابن موسی العلوی، حدّثنا أبی موسی بن جعفر عن أبیه عن جدّه محمد الباقر عن ابیه عن جده الحسین عن علی بن أبی طالب قال: قال رسول الله صلی الله علیه و آله: ما من قوم کانت لهم مشورة فحضر معهم من اسمه أحمد أو محمد فأدخلوا مشورته إلاّ خیر لهم فیها».(2)

وقدً ورد عن طریق حفید الشهید الکربلائی فی حقّ الزهراء روایات نذکر منها هذه الروایة: «روی الشیخ المجلسی عن عیون أخبار الرضا عن أحمد بن جعفر البیهقی عن علی الجرجانی عن إسماعیل بن أبی عبد الله القطّان عن أحمد ابن عبد الله بن عامر الطائی عن أبی أحمد بن سلمان الطائی عن علی بن موسی الرضا عن آبائه قال: قال رسول الله صلی الله علیه و آله: تحشر ابنتی فاطمة یوم القیامة ومعها ثیاب مصبوغة بالدم تتعلّق بقائمة من قوائم العرش وتقول: یا عدل، احکم بینی وبین قاتل ولدی، قال رسول الله: فیحکم الله لابنتی وربّ الکعبة، وإنّ الله عزّ وجلّ لیغضب لغضب فاطمة ویرضی لرضاها».(3)

1- (1) فضائل التسمیة لابن بکیر، تحقیق مجدی فتحی السیّد: ح 23.

2- (2) نفس المصدر: ح 4.

3- (3) بحار الأنوار: ج 43 ص 220.

الشهید فی کربلاء

لقـد تربّی الشـهید الکربلائی عمّار بن حسّان الطائی، علی نهـج الولاء للحقّ وأهله، والبراءة من الباطل وأتباعه، کما کان أبوه «حسّان» علی ذلک، حتی خرّ فی صـفّین شـهیداً، فخرج الشهید وهو یملک إخلاصاً عالیاً، وشجاعة فی نصرة الحقّ یشار الیها بالبنان، وفهماً وبصیرة، وقد وعی قول رسول الله:

«من مات ولم یعرف إمام زمانه مات میتة جاهلیة» (1).

فعرف إمام زمانه فوالاه ولازمه، وصحبه من مکّة إلی کربلاء، ولم یتزلزل قید أنملة حتی وصل إلی کربلاء، وصار یوم العاشر من المحرّم.

وبدأ الحسین یعظ القوم وینصحهم عسی أن یجد فیهم من یتّعظ ویکفّ عن محاربة الله فی أهل بیت نبیّه، ولکنّ القوم أبوا إلاّ القتال وعندها أبت العزّة الحسـینیّة إلاّ التقـدّم والنزال، دفاعاً عن العرض والـدین، وصوناً للمبادئ الأصـیلة والقیم الساميـة. وینقل أنّ الشـمر حمل حملته الغادرة نحو عسـکر أبی عبد الله بأصحابه، عن الیمین والشمال، رشقاً بالنبال عن بعد، فأصاب أصحاب الحسین التی بین قتیل وجریح، وهی التی عرفت بالحملة الأولی، وکان بین الشـهداء آنذاک، کما یروی ابن شهر آشوب فی المناقب، عمّار بن حسّان الطائی رضی الله عنه، فحاز بذلک الفوز العظیم، وألهب الحماس والثورة فی نفوس الأحرار، وبقی ذکره خالداً مع ذکر الحسـین علیه السـلام وأصـحابه إلی أن یرث الله الأرض ومن علیها، ونال الشرف العظیم بتسلیم الإمام المهدی عج الله تعالی فرجه الشریف علیه بقوله:

«السلام علی عمّار بن شریح الطائی».

1- (1) الملل والنحل للشهرستانی (طبعة القاهرة): ج 1 ص 172، فی ذیل الاسماعیلیة.

الشهيد عبدُ الله بن يقطر عليه السلام

اشارة

بين يدى الشهيد: "قال احد الشعراء راثياً شهداء الطف(1):

أذا العين قرّت فى الحياة وأنتم تخافون فى الدنيا فاظلم نورها

مررتُ على قبر الحسين بكربلا ففاض عليه من دموعى غزيرها

ومازلت أبكيه وأرثى لشجوه ويسعُد عينى دمعها وزفيرها

وبكيت من بعد الحسين عصائباً أطافت به من جانبيه قبورها

سلامٌ على أهل القبور بكربلا وقل لها منى سلامٌ يزورها

سلامٌ بأصال العشى وبالضحى تؤديه نكباءُ الرياح ومورها

ولا برح الوفّاد زوار قبره يفوح عليهم مسكها وعبيرها

نعم، لا يستطيع الإنسان أن يمسك زمام نفسه وعاطفتها وأن يتمالك بإسرار زفرتِهِ ودمعتها، وهو يقف على ثرى الطف، فتتمثل أمامه تلك النخبة المؤمنة والصالحة مع الحسين عليه السلام، التى سطرت أعظم الملاحم الإيمانية عليها، أولئک الذى أبوا إلا أن يعيشوا مع الحسين عليه السلام وأن يموتوا مع الحسين عليه السلام وأن يحشروا مع الحسين عليه السلام ومنهم الشهيد عبد الله بن يقطر رضى الله عنه، هذا الرجل الذى آلى على

1- (1) هو عقبة بن عمرو السهمى بن عوف بن غالب وهو أول من رثى الحسين وشهداء الطف/ أدب الطف للسيد جواد شبر 52/1.

نفسه أن لا يبيع سرَّ الحسين الذى أعطاه له، وإن حصل ما حصل، بل ولو قُطِعَ رأسه، وتكسرت أضلاعه، وكأنه أراد أن يوصل رسالةً مفادها، أنّ معنى الحياة الحقيقية، هى أن يعيش الإنسانُ حراً كريماً، أمّا إذا فقدها، فلا خير فى الحياة أبداً وكما يقول الإمام أمير المؤمنين:

«فالموت فى حياتكم مقهورين والحياة فى موتكم قاهرين» (1).

وهـذه هى رسالةُ الحسـين عليه السـلام نفُسـها التى أراد ان يوصـلها إلى تلك الأمة الميتة، من أجل ان تعى واقعها الخطير الذى تعيشه مع يزيد وعبيد الله بن زياد، يقول الحسين عليه السلام:

«فإنى لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما» (2).

أقوال العلماء فى الشهيد الكربلائى

1 – قال ابن حجر وهو يتحدث عن الشهيد عبد الله بن يقطر: ذكر أبو جعفر الطبرى أنه قتل مع الحسين بن على بكربلاء وكان رضيعه(3).

2 – قال الفضـيل بن الزبير: وقُتل عبد الله بن يقطر رضـيع الحسـين بن على، بالكوفة، رمى من فوق القصـر فتكسـر فقام إليه عبد الملك بن عمير اللخمى فقتله واحتز رأسه(4).

1- (1) على خطى الحسين/ د. أحمد راسم النفيس/ ص 58.

2- (2) العوالم، الإمام الحسين/ الشيخ عبد الله البحرانى/ ص 67.

3- (3) الاصابة لابن حجر: ج 4 ص 59.

4- (4) مقتل الفضيل بن الزبير/ تحقيق السيد محمد رضا الجلالى/ مجلة تراثنا – العدد (2) ص 152.

3 – قال العلاّمة ابنُ داود: عبدُ الله بن يقطر، يقال بالياء المثناة تحت ويقال بالباء المضمومة المفردة تحت والقاف والطاء المهملة المضمومة، رضيعه أرسله إلى الكوفة(1).

4 – قال الراوندی: عبد الله بن يقطر بن أبی عقب الليثی من بنی الليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة(2).

5 – قال علی النمازی الشاهرودی: عبد الله بن يقطر، رضيع الحسين، وهو حامل كتاب أهل الكوفة إلى مولانا الحسين عليه السلام، وهو حامل لكتاب الحسين إلى أهل الكوفة(3).

6 – قال الشيخ محمد السماوی: عبد الله بن يقطر الحميری، رضيع الحسين، كانت أُمّه حاضنة للحسين كأم قيس بن ذريح للحسين عليه السلام ولم يكن رضع عندها ولكنه يسمى رضيعاً لحضانة أُمّه له(4).

7 – قال الشيخ محمد مهدی شمس الدين رحمه الله: عبد الله بن يقطر، حميری من عرب الجنوب، كانت أُمّه حاضنة للحسين عليه السلام ذكره ابن حجر فی الاصابة، قال انه كان صحابياً لأنه لدة الحسين(5).

1- (1) كتاب الرجال لابن داود: ج 1 ص 930/135.

2- (2) كتاب الخرائج والجرائح للراوندی ج 2 ص 550.

3- (3) مستدركات علم الرجال للنمازی: ج 5 / ص 135.

4- (4) إبصار العين للسماوی/ص 93-94

5- (5) أنصار الحسين للشيخ محمد مهدی شمس الدين: 123.

أسم الشهيد واسم أبيه

اشارة

لا يوجد خلاف عند من تحدث وكتب عن الشهيد انه «عبد الله».

نعم ورد الاختلاف فى اسم ابيه رضى الله عنه حيث انقسموا فيه إلى رأيين:

أحدهما: «يقطر» وهو ما ذهب إليه مشهور العلماء(1).

والآخر: «بقطر» وهو ما مال إليه بعضهم(2).

وقد أشار ابن حجر فى الاصابة إلى أن والد الشهيد الكربلائى عبد الله هو «يقظة»(3) ولكنه يحمل على التصحيف ومن ثم لا يرقى إلى درجة الرأى، ونفس الحمل يمكن ان يكون على ما ورد فى رواية تسلية المجالس أنه «ابن يقطين»(4).

معنى يقطر وبقطر

أمّا «يقطر» فلا أشكال فى أن معناها قطر الماء والدمع وغيرهما من السيال يقطر قطرا وقطورا وقطرانا وأقطر، الاخيرة عن أبى حنيفة، وتقاطر، أنشد ابن جنى:

1- (1) الارشاد للشيخ المفيد: ج 2 ص 70، عوائد الأيام للمحقق النراقى: ص 867، الخرائج والجرائح للراوندى: ج 2 ص 550، مناقب ابن شهراشوب: ج 3 ص 232، المزار للشهيد الأول: ص 153، الصراط المستقيم، على بن يونس العاملى: ج 3 ص 145، رجال الطوسى: ص 103، خلاصة الأقوال للعلامة الحلى: ص 192، رجال ابن داود: ص 135، نقد الرجال للتفريشى: ج 3 ص 154.

2- (2) قاموس الرجال للتسترى: ج 10 ص 67، الثقات لابن حبَّان: ج 2 ص 310، سير أعلام النبلاء للذهبى: ج 3 ص 299، الاصابة لابن حجر: ج 5 ص 8 (6180)، أعيان الشيعة للسيد الأمين: ج 1 ص 595.

3- (3) الاصابة: ج 4 ص 59 وربما كان تصحيف أو خطأ فى بعض طبعات الاصابة الجديدة كما أشار إلى ذلك بعض المحققين.

4- (4) تسلية المجالس: ج 3 ص 183.

كأنه تهتان يوم ماطر من الربيع دائم التقاطرِ(1)

وأمّا «بقطر»: يقول الزبيدى: بقطر كعصفر رجل... بلالَ بن بقطر... أبو الخطاب عثمان بن موسى بن بقطر... بقاطر الاسقف.

والبقطرية بالضم أهمله الجوهرى، قال الفراء: البقطرية: الثياب البيض الواسعة(2). وفى التهذيب: القبطرى: ثياب بيض وانشد:

كأن لون القمر فى حضورها والقبطرى ألبيض فى تأزيرها

ويقول آخر:

كأن زرور القبطرية علقت بنادكها منه بجذعٍ مقومِ

ويبدو أن «بقطر» من الاسـماء القبطية التى كانت موجودة سابقاً قبل الإسلام، وما زالت إلى يومنا هذا، حيث تستعمل فى الوسط المسيحى كثيرا - أمثال الياس بقطر وهو مصرى قبطى ولد فى مصر ومات فى باريس(3) وبقطر المحاسب وهو كاتب البرديسى(4) وآخرين ولا يعنى ذلک ان الشـهيد عبـد الله بن يقطر كان مسـيحياً أو أنه يرجع إلى قبيلـة مسـيحية، وإنما يرجع مثل هذا الأمر إلى ما تعارف عليه العرب من تداخل مع الديانة المسيحية وانتشارها وتغلغل الأسماء المسيحية عندهم، وتسمية بعضهم بها.

1- (1) لسان العرب لابن منظور: ج 12 ص 134 مادة «قطر».

2- (2) تاج العروس للزبيدى: ج 6 ص 108 «بقطر». (هامش مفقود بالمتن: لسان العرب لابن منظور: ج 12 مادة «قبطر».

3- (3) الأعلام للزركلى: ج 2 ص 9.

4- (4) عجاب الآثار، للجبريتى: ج 2 ص 632.

كلمة إلى من يهمة الأمر

وهنا لابـد لنا من الاشارة إلى أهميـة الاسم للإنسان، حيث إن من حق الولـد على أبيه كما فى الروايات عن أهل البيت ان يحسن تسـميته، فمن سُمِّى حسيناً ثم اطلع على ما صنعه الإمام الحسين عليه السلام بعد ذلک، لا شک أنه سيعيش الفخر والاعتزاز – طبعاً إذا جرت الأمور بشـكل طبيعى – بعكس ما إذا سُمّى الإنسان بأسـماءٍ تركت آثارها السلبية على التاريخ وعلى الواقع الإنسانى فإنها سوف تترک آثارها حتى بعد بلوغه، لا سيما فى هذا الوقت الذى نعيش فيه، حيث الغزو الثقافى الذى أخذ يأتينا من كل الجهات والذى وصل إلى درجة التأثير حتى على تسمية أبنائنا وفلذات أكبادنا.

والد الشهيد والخدمة لرسول الله

لقد عاش رسول الله صلى الله عليه و آله حياته كما يعيشها سائر الناس فى جميع صورها وأشكالها، وكما يقول القرآن الكريم:

«قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ 1» .

حيث كان يأكل الطعام ويمشـى فى الأسواق، وكان له بيته كما كان للناس بيوتهم، فضـلاً عما يترتب على وجود مثل هذا البيت من تحملٍ لمسؤولية الأزواج والذرية يقول القرآن الكريم وهو يتحدث عن هذا الجانب المهم فى حياة الأنبياء عموماً:

«وَ جَعَلْنا لَهُمْ أَزْواجاً وَ ذُرِّيَّةً 1» .

ومع كل هذه المسؤوليات نجده صلى الله عليه و آله يحب ويرغب أن يباشر أعماله وأعمال بيته بنفسه، بل كان لا يرضى للآخرين أن يؤدوا بعض شؤونه، لا سيما فيما يتعلق بالطهارة والصدقة كما فى بعض الروايات، ومع ذلک فقد ذكر لنا التاريخ اسماء رجالٍ ونساءٍ تشرفوا فى خدمته صلى الله عليه و آله، ونذروا أنفسهم فى سبيل راحته صلى الله عليه و آله، لعظيم ما كانوا يرونه من أخلاقه العالية وشفقته المميّزة مع من يخدمه، حيث كان رافعاً لمعنوياتهم، وجابراً لخاطرهم، مبتسماً فى وجوههم، قاضياً لحوائجهم، عائداً لمريضهم متفقداً لأحوالهم، ساداً لخلتهم، داعياً لهم بالخير(1) ، فضلاً عن تعليمهم أمور دينهم ودنياهم، حتى خرج من خدمته كبار العلماء والفقهاء والحكماء، ولقد ذكر لنا التاريخ العشرات ممن تبرعوا لخدمة رسول الله صلى الله عليه و آله، وكان منهم والد الشهيد الكربلائى «عبد الله بن يقطر»، حيث ذكر السيد البرقى فى تاريخ الكوفة ما نصه: «كان عبدالله بن يقطر الحميرى صحابياً، وكان لدة الحسين، كما ذكره ابن حجر فى الاصابة، والجزرى فى اسد الغابة، واللّدة: الذى ولد معک وتربى، لأن يقطر اباه كان خادماً لرسول الله صلى الله عليه و آله»(2).

1- (2) حتى قال أحدهم «خدمت رسول الله عشر سنين، فلم يضربنى ضربة قط، ولم يسبّنى ولم يعبس فى وجهى، وكان أول ما أوصانى به ان قال: يا بنى أكتم سرّى تكن مؤمناً فما أخبرت بسرّه أحداً وإن كانت أمى، وازواج النبى صلى الله عليه و آله يسألننى أن أخبرهن بسرّه، فلا أخبرهن ولا أخبر بسرّه أحداً ابداً» المعجم الصغير للطرانى: ج 2 / ص 100.

2- (3) تاريخ الكوفة للسيد البرقى: ص 322.

ولقد كان والد الشـهيد مفتخراً بهذه الخدمة النبوية وبهذه التسمية الإيمانية، فكان يفرح ويطرب إذا ما نودى عليه بخادم رسول الله صلى الله عليه و آله ولقد اكتسب نتيجة هذه الخدمة وهذا الشـرف مكانة كبيرة بين اصـحاب رسول الله، بل بين المسلمين فى كل زمان ومكان حيث تحول إلى قدوة للمؤمنين يهتدون بهداه ويسيرون على خطاه.

والدة الشهيد والخدمة فى بيت على عليه السلام

نقل السـيد البرقى فى كتابه القيِّم تاريخ الكوفة ان والدة الشهيد عبد الله بن يقطر رضى الله عنه كان اسمها «ميمونة»، وكانت خادمة فى بيت الإمـام أمير المؤمنين عليه السـلام، حيث عـاشت فى هـذا البيت الـذى كانت السـماء ترعاه، والملائكـة تغشاه، حيث بيت النبوة وموضـع الرسالـة، ومختلف الملائكـة، ومهبـط الوحى، وأهـل البيت الـذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، فنهلت من آدابهم وأخلاقهم وعلومهم لا سيما من سيدتها الزهراء عليها السلام والتى غرست فى نفسها معانى الكمال والفضيلة، فكانت بدرجة عالية من التقوى والزهد والورع.

ويبـدو أن بقاءها فى بيت الإمام لم يكن لمـدة محدودة، بل كان وجودها منذ نشوء البيت فى أيامه الأولى، ولهذا يُنقل كما فى تاريخ الكوفة أنها ولدت الشـهيدة عبد الله بن يقطر قبل ولادة الحسـين عليه السلام بثلاثة أيام وكانت حاضنة له(1). ولا شك ان هـذا الحضن لو لم يكن طاهراً وطيباً، لم يهيئه الله سبحانه وتعالى لإحتضان سيد شباب أهل الجنة، الذى كانت ترعاه يد السماء منذ أن وطئت أقدامه هذه الدنيا.

1- (1) تاريخ الكوفة للسيد البرقى: ص 322.

روى الشيخ الصدوق بإسناده عن الحسن بن يزيد، عن فاطمة بنت موسى بن جعفر عن عمر بن على بن الحسين، عن فاطمة بنت الحسين، عن اسماء بنت أبى بكر، عن صفية بنت عبد المطلب، قالت: «لما سقط الحسين عليه السلام من بطن أُمّه - وكنت وليتها - قال النبى صلى الله عليه و آله يا عمة، هلمى إلى ابنى فقلت: يا رسول الله إنا لم ننظفه بعد. فقال صلى الله عليه و آله: يا عمة، أنت تنظفينه؟! إن الله تبارك وتعالى قد نظفه وطهّره»(1).

قبيلة الشهيد الكربلائى

اشارة

لقد أُختلف فى نسب الشهيد عبد الله بن يقطر رضى الله عنه بين من يقول أنه «حميرىّ قحطانىّ»، وبين من يقول انه ليثىّ عدنانىّ.

وسوف نذكر القولين فيما يلى مع تعليقتنا على ذلك:

القول الأول

ذكر العلامة المرحوم الشيخ محمد مهدى شمس الدين الشهيد عبد الله بن يقطر ثم نسبه بقوله «حميرىّ من عرب الجنوب(2)» وهكذا ذكره غيره(3) وأرسلوا ذلك إرسال المسلّمات من دون ان يبيّنوا الدليل والمرجع الذى استقوا منه هذه النسبة. وبناءً على هذا الرأى يكون الشهيد راجعاً إلى حمير أخى كهلان أولاد سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان(4).

1- (1) أمالى الصدوق: ج 5 ص 117 المجلس 28.

2- (2) أنصار الحسين للشيخ محمد مهدى شمس الدين: ص 123.

3- (3) أبصار العين للشيخ السماوى: ص 93.

4- (4) التنبيه والإشراف للمسعودى: ص 233.

القول الثانى

ويـذهب إليه قطب الـدين الراونـدى فى كتابه الخرائـج والجرائح إلى أن الشـهيد يرجع الى ابن أبى عقب الليثى من بنى ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة، رضيع الحسين عليه السلام(1).

وبناءً على هذا الرأى يكون الشهيد راجعاً إلى كنانة التى ينتهى نسبها إلى عدنان(2) وعليه يكون من عرب الشمال لا الجنوب كما تقدم.

وعلى كلاـ الرأيين فـإن كلتـا القبيلتين الحميريّـة والليثيّـة كان لها دور مهم فى نصـرة الإسـلام ورسوله الكريم وخرّجت الكثير من العلماء المجاهدين.

رضيعُ الحسين عليه السلام أُمّ لِدتهُ

انقسم العلماء ومن تحدث عن الشـهيد عبد الله بن يقطر إلى قسمين، حيث ذهب بعضهم إلى ان الشهيد كان رضيعاً للحسين عليه السلام، بينما ذهب آخرون إلى أنه كان لدة الحسين عليه السلام، وسوف نتحدث عن كل من الرأيين بشىء من التفصيل.

الرأى الأول: يذهب أصحاب هذا الرأى إلى أن الشهيد عبد الله بن يقطر كان رضعياً للحسين بن على عليه السلام(3) ، أى إن الحسين كان قد رضع من حليب والدة الشهيد عبد الله بن يقطر «ميمونة». وعليه يكون الشهيد أخاً للحسين من الرضاعة.

1- (1) الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندى: ج 2 ص 550.

2- (2) التنبيه والإشراف للمسعودى: ص 69، معجم قبائل العرب: ج 3 ص 1019.

3- (3) الإرشاد للشيخ المفيد: ج 2 ص 70، ابن شهراشوب فى المناقب: ج 3 ص 232، رجال الشيخ الطوسى: ص 103، معجم رجال الحديث للسيد الخوئى: ج 11 ص 408، إبصار العين للسماوى: ص 93 وآخرين.

رضاعة الحسين

سوف نقف هنا قليلاً مع هذا الموضوع المهم الذى تحدثت عنه الروايات، واخذ بعضهم يكيل - بسببه - التهم على أتباع أهل البيت بالمغالاة وغيرها، ونحاول فى هذه الوريقات أن نتحدث عن هذا الأمر بشىء من التفصيل حتى يعلم المخالف فضلاً عن الموالف بأن ما نعتقده فيه لا يخرج عما يعتقده المسلمون ويؤمنون به.

ومن خلال مراجعة النصوص وآراء العلماء فى ذلک يتبين لنا بأن هناک ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول: وهو الاتجاه الذى يؤمن بأن الحسين عليه السلام لم يرضع من ثدى امرأة سواءٌ أكانت أُمّه فاطمة أُمّ غيرها من النساء، إنما كانت رضاعته عن طريق مصّ إبهام رسول الله صلى الله عليه و آله أو ما شاكل ذلک، وقد استُدل على هذا الرأى بمجموعة من الروايات منها:

1 - روى المجلسى وغيره عن الصادق عليه السلام قال: «لم يرضع الحسين من فاطمة ولا من انثى، وكان يؤتى به النبى صلى الله عليه و آله فيضع إبهامه فى فيه فيمص منه ما يكفيه اليومين والثلاثة، فنبت لحم الحسين من لحم رسول الله ودمه»(1).

2 - وروى عن ثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام وهو الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«يؤتى به الحسين فيلقمه لسانه فيمصه فيجتزئ به، ولم يرضع من أنثى»(2).

1- (1) بحار الأنوار: ج 44 ص 233 ح 17 باب 30

2- (2) بحار الأنوار: ج 36 ص 158 ح 137 باب 39.

3 – وممن ذكر هـذا الأمر محمـد بن العباس، قال: حـدثنا همام عن عبد الله بن جعفر عن الحسن بن زيد عن آبائه، قال: «نزل جبرئيل على النبى صـلى الله عليه و آله فقال: يا محمـد يولـد لک غلام تقتلهُ أمتک من بعـدک، فقال: يا جبرئيل لا حاجـة لى فيه فقال: يا محمـد إن منه الأئمـة والأوصـياء قال وجاء النبى صـلى الله عليه و آله إلى فاطمـة فقال لها إنک تلـدين ولـداً تقتله أمتى من بعـدى فقالت لا حاجة لى فيه فخاطبهـا ثلاثاً ثم قال لها إن منه الأئمـة والأوصـياء فقالت: نعم يا أبى فحملت بالحسـين عليه السـلام فحفظها الله وما فى بطنها من إبليس فوضـعته لسـتة أشـهر، ولم يسمع بمولودٍ ولد لستة أشهر إلا الحسين عليه السلام ويحيى بن زكريا، فلما وضعته وضع النبى صلى الله عليه و آله لسانه فى فيه فمصه ولم يرضع من أنثى حتى نبت لحمه ودمه من ريق رسول الله صلى الله عليه و آله وهو قول الله تعالى:

«وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَ وَضَعَتْهُ كُرْهاً وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً1,2» .

أقول: ما تقدّم يمثل أهم الروايات التى يمكن ان تُدّعى على هذا الأمر، ولنا عليها النقاط التالية:

أولاً: أن هـذه الروايات ضـعيفة السـند إمّا لجهالة بعض رواتها وإمّا لإرسال البعض الآخر منها، كما أشار إلى ذلک العلّامة المجلسـى فى كتابه «مرآة العقول»(1).

1- (3) مرآة العقول: ج 5 ص 365.

ثانياً: وعلى فرض صحة السند وتماميته، فإمّا أن يُحمَل على الكرامة والمعجزة لرسول الله صلى الله عليه و آله، لا سيما وقد ذكر لنا القرآن الكريم فضلاً عن الروايات، الكثير من المعاجز والكرامات التى أجراها الله عز وجل على يدىّ الأنبياء السابقين، مثل التكلم بالمهد، والإحياء للموتى، والشفاء للمرضى، والتكلم مع النمل والطيور، وما شاكل ذلک، فإذا كان مثل هذا الأمر قد حصل مع الأنبياء السابقين، فلم يستكثر مع خاتمهم وسيدهم «محمد» مثل هذا الأمر.

وإمّا ان يحمل على الكرامة والمعجزة للحسين عليهما السلام خصوصاً وقد امتلأت كتب الفريقين بالكثير من معاجزه وكراماته سواءٌ عند ولادته أو بعدها إلى ساعة شهادته عليه السلام بل وبعدها، ولا أريد هنا سرد هذه الكرامات وهى كثيرة، ولكنى سوف أشير إلى رواية واحدة، أشار اليها الخوارزمى فى مقتله، حيث يقول: «حدّثنا أمير المؤمنين المنصور أبو جعفر قال: حدّثنى والدى، عن أبيه، عن جده قال: كنت ذات يوم جالساً عند رسول الله صلى الله عليه و آله إذ أقبلت فاطمة بنته عليه السلام فدخلت عليه، فقالت: يا أبة إن الحسن والحسين خرجا، آنفاً وما أدرى أين هما؟ فقد طار عقلى وقلق فؤادى وقلّ صبرى، وبكت وشهقت حتى علا بكاؤها، فرحمها ورقّ لها وقال: لا تبكى يا فاطمة فوالذى نفسى بيده إن الذى خلقهما هو الطف بهما منک، وأرحم بصغرهما منک، ثم قام من ساعته ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إنهما ولداى وقرة عينى وثمرة فؤادى وأنت أرحم بهما وأعلم بموضعهما، يالطيف بلطفک الخفى، أنت عالم الغيب والشهادة، اللهم إن كانا أخذا برّاً وبحراً فاحفظهما وسلّمهما حيث كانا، وحيث توجها. فما استتم رسول الله دعاءه حتى

هبط جبرئيل من السماء ومعه عظماء الملائكة وهم يؤمّنون على دعاء النبى صلى الله عليه و آله، فقال جبرئيل: يا حبيبى يا محمد! لا تحزن ولا تغتم وأبشر فإن ولديک فاضلان فى الدنيا وفاضلان فى الآخرة، وأبوهما خير منهما! وهما نائمان فى حظيرة بنى النجار، قد وكّل الله بهما ملكـاً يحفظهما، فلما قاله له جبرئيل ذلک سـرا عنه، وقام ومعه أصـحابه وهو فرح حتى أتوا حظيرة بنى النجار، فإذا الحسن والحسـين نائمان وإذا الحسن معـانق الحسـين وإذا الملک الموكّل قـد وضع أحـد جناحيه فى الأرض وطاءً تحتهما يقيهما من حر الأرض وجلّلهما بالجناح الآخر غطاءً يقيهما حرّ الشمس، فانكبّ عليهما النبى يقبّلهما واحداً مُوحداً، ويمسحهما بيده حتى أيقظهما من نومهما، فلما ايقظهما حمل النبى الحسن على عاتقه وحمل جبرئيل الحسين على ريشة من جناحه حتى خرجا بهما من الحظيرة والنبى يقول: والله لأشرّفنّكما اليوم كما شرّ فكما الله تعالى فى سماواته...»(1).

وهـذا فيض من غيض كرامـات الحسـين عليه السـلام الكثيرة، فاذا كان الأمر معه هكـذا فلم يُسـتكثر عليه كرامـة الرضاعـة من إبهام جـده المصطفى عليهما السلام.

ثالثا: وبغض النظر عن كل ما تقدم، فقد ذكرت كتب المسلمين وصحاحهم ما يقرب من هذه الكرامة مع نبى الله موسى عليه السلام.

فقد روى ابن عساكر فى تاريخ دمشق عن نبى الله موسى حينما كان طفلاً ورمى فى البحر وكيف وجدته أُمّه آسية: «ففتحت التابوت فإذا هى بصبى صغير

1- (1) مقتل الحسين للخوارزمى: الفصل السادس/ فى فضائل الحسن والحسين والرضوان/ 101، المناقب / 284 / ج 279 بتفاوت.

فی مهده، فإذا نور بین عینیه، وقد جعل الله رزقه فی البحر فی إبهامه، وإذا إبهامه فی فیه یمصه لبناً وألقی الله لموسی المحبة فی قلب آسیة فلم یبقَ منها عضو ولا شعر ولا بشر إلا وقع فیه الاستشعار فذلک قوله:

«وَ أَلْقَیْتُ عَلَیْکَ مَحَبَّةً مِنِّی1,2» .

إضافة لما رواه الفریقان فی نبوع الماء من بین أصابعه الشریفة حتی سقی جیشاً کان یبلغ الفاً وخمسمائة رجل.

فقد روت صحاح المسلمین کالبخاری وغیره عن جابر بن عبد الله رضی الله عنه قال: «عطش الناس یوم الحدیبیة و النبی صلی الله علیه و آله بین یدیه رکوة فتوضأ، فجهش الناس نحوه، فقال: مالکم؟ قالوا: لیس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بین یدیک فوضع یده فی الرکوة، فجعل الماء یثور بین أصابعه کأمثال العیون، فشربنا وتوضأنا. قلت: کم کنتم؟ قال: لو کنا مائة ألف لکفانا، کنا عشرة مائة»(1).

أقول: إذا کانت أصابع رسول الله صلی الله علیه و آله قد سقت وأروت کل هذا العدد الکبیر من الجیش، ولم نعترض علیه، أو نری فیه محذوراً یمنعه، فلم نمنع أو نستکثر ان یتفجر من بین أصابعه الشریفة ما یمکن ان یغذی ولده الحسین علیه السلام.

الإتجاه الثانی: وهو الإتجاه الذی یؤمن أن الحسین علیه السلام رضع من أُمّه فاطمة، دون غیرها من النساء، وإبهام رسول الله صلی الله علیه و آله، کما أشار إلی ذلک بعض

1- (3) صحیح البخاری: ج 3 ص 1105، صحیح ابن حبان: ج 14 ص 480، وغیرهما.

العلماء، يقول السماوى فى إبصار العين: كما صح فى الأخبار أنه لم يرضع من غير ثدى أمّه فاطمة وإبهام رسول الله صلى الله عليه و آله تارة، وريقه تارة أخرى(1).

وبتقديرى أن أصحاب هذا الاتجاه، يؤمنون بأن رضاعة الحسين عليه السلام العامة كانت من ثدى أُمّه الزهراء عليها السلام، وهذا ما تتولاه بشكل طبيعى كل أُمّ بعد أن تضع وليدها، ومن هنا نقرأ فى زيارة عرفة للإمام الحسين عليه السلام «غذتک يدُ الرحمة ورضعت من ثدى الإيمان وربيت فى حجر الإسلام»(2).

يقول توفيق بو خضر فى كتابه (عبقرية مبكرة لأطفالنا): (إن السيدة الزهراء عليها السلام تمثل الإيمان حقيقة، فقد رضع الحسين عليه السلام هذا الإيمان من أُمّه الزهراء عليها السلام)(3).

ويقول السيد محمد رضا الجلالى فى كتابه الإمام الحسين سماته وسيرته: (لابد أن الحسين ارتضع بلبان المعرفة والحكمة من الزهراء أُمّه، وقد ورد فى الحديث ان الرسول نفسه زقه بلسانه: وبإبهامه يمص منها ما ينبت اللحم)(4).

وكيف لا يرضع الحسين عليه السلام من ثدى أُمّه الزهراء عليها السلام وقد قال رسول الله صلى الله عليه و آله «ليس للصبى لبن خير من لبن أُمّه»(5) ويقول أمير المؤمنين عليه السلام «ما من

1- (1) إبصار العين للسماوى: ص 93.

2- (2) مفاتيح الجنان، زيارة الإمام الحسين عليه السلام فى عرفة.

3- (3) عبقرية مبكرة لأطفالنا للاستاذ توفيق بو خضر: ص 101.

4- (4) الإمام الحسين سماته وسيرته للسيد محمد رضا الجلالى: ص 29.

5- (5) وسائل الشعية للحر العاملى: ج 15 ص 188.

لبن رضع به الصبی أعظم برکة علیه من لبن أمّه»(1) ولا شک أن الزهراء أولی الناس بتطبیق کلام أبیها رسول الله صلی الله علیه و آله وکلام زوجها أمیر المؤمنین علیه السلام.

نعم، فی بعض الروایات أن الزهراء علیها السلام اعتلّت أو جف لبنها وبحث رسول الله صلی الله علیه و آله لها عن مرضعة للحسین علیه السلام فلم یجد، عندها قدم له إبهامه الشریف کما تقدم قبل ذلک، یقول ابن شهراشوب فی المناقب: اعتلّت فاطمة علیها السلام لمّا ولدت الحسین علیه السلام وجف لبنها، فطلب رسول الله صلی الله علیه و آله مرضعة فلم یجد، فکان یأتیه فیلقمه إبهامه یمصها ویجعل الله فی إبهام رسوله رزقاً یغذیه، ففعل ذلل أربعین یوماً ولیلة، فأنبت الله لحمه من لحم رسول الله صلی الله علیه و آله(2).

والذی یفهم من ظاهر نص ابن شهراشوب المتقدم، أن عملیة إرضاع رسول الله بإبهامه الشریف للحسین علیه السلام، لم تکن إلا لمدّة محدودة بسبب مرض أُمّه الزهراء علیه السلام، وإلا فمدّة الرضاعة بشکل عام کانت من ثدی أُمّه علیها السلام.

الاتجاه الثالث: یؤمن اصحاب هذا الرأی بأن الحسین علیه السلام کان قد رضع من غیر ثدی أُمّه الزهراء علیها السلام، حیث اختار له رسول الله صلی الله علیه و آله مراضع یرضعنه فی تلک المرحلة من عمره الشریف، ومثل هذا الأمر کان معمولاً به عند العرب لاسیما البیوتات الکبیرة، إذ کانوا یسترضعوا لأولادهم المرضعات ذوات الخلق الرفیع والنسب الأصیل، ممن یعشن فی البادیة، من أجل قوة البنیة والفصاحة، والبلاغة وما إلی ذلک، کما جری مثل هذا الأمر مع رسول الله صلی الله علیه و آله.

1- (1) وسائل الشیعة: ج 15 ص 175.

2- (2) مناقب آل أبی طالب لابن شهراشوب: ج 4 ص 57.

وقد ذكرت كتب التأريخ ان الحسين عليه السلام، قد رضع من ثدى أكثر من امرأة، وهن:

أ) أُمّ الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، يقول الذهبى: «وكانت ثانى امرأة أسلمت، أسلمت بعد خديجة. قاله الكلبى(1).

ويقول ابن ماجة فى سننه: (قالت أُمّ الفضل يا رسول الله رأيت كأن فى بيتى عضواً من أعضائک قال خيراً رأيتِ تلدُ فاطمة غلاماً فترضعيه فولدت حسيناً أو حسناً فأرضعته بلبن قثم قالت فجئت به إلى النبى صلى الله عليه و آله فوضعته فى حجره...»(2) وعليه فيكون قثم بن العباس بن عبد المطلب أخا الحسين عليه السلام من الرضاعة.

ب) أُمّ قيس بن ذريح، بنت سنة بن الذاهل بن عامر الخزاعى(3) ، وعليه فيكون قيس بن ذريح أخا الحسين من الرضاعة(4) يقول القاضى التنوخى: وروى أبو الفرج قبل هذا فى أخبار قيس بإسناد مفرد لم أذكره ههنا فوق الاطالة أنه كان رضيع الحسين عليه السلام(5).

ج) ميمونة أُمّ عبد الله بن يقطر: وقد تقدم الحديث عنها(6).

1- (1) سير أعلام النبلاء للذهبى: ج 3 ص 440.

2- (2) سنن ابن ماجة، مسألة: 3923 / باب تعبير الرؤيا: ج 2 ص 289.

3- (3) الاغانى لأبى فرج الأصبهانى: ج 8 ص 107.

4- (4) إبصار العين للشيخ السماوى: ص 93.

5- (5) الفرج بعد الشدة للقاضى التنوخى: ج 2 ص 419.

6- (6) وهناک من يرى بأن أم عبد الله بن يقطر كانت حاضنة للحسين عليه السلام وليست مرضعة، كما يذهب إلى ذلک السماوى فى إبصار العين: ص 93 وغيره، الإيام المكية: ج 3 ص 170

لِدة الحسين عليه السلام

يـذهب بعض العلماء – اسـتناداً إلى بعض المؤشـرات – أن الشـهيد الكربلائى لِدة الحسـين عليه السـلام، يقول السـيد محمد مهدى بحر العلوم: وما جاء فى كلام الطبرى، وبعض المؤرخين، من أن عبد الله بن يقطر رضـيع الحسـين عليه السلام، ليس له صحة، بل كانت أُمّ عبد الله بن يقطر حاضنة للحسين عليه السلام، وكان لِدة الحسين عليه السلام، واللِّدة بكسر اللام الذى ولد مع الإنسان فى يوم واحد(1).

فخر اقتران ولادة الشهيد بولادة الحسين عليه السلام

إن لمن دواعى الفخر والاعتزاز الكبيرين لدى الإنسان، أن يقترن مولده مع مولد إنسان عظيم كسـيد الشـهداء عليه السـلام، بل وتأتى ولادته فى نفس المكان الـذى ولـد فيه عليه السـلام، ومن ثم تقترن حياته مع حياته منذ اللحظات الأولى مكاناً وزماناً، فلا ينادى إلا بلِدة الحسـين عليه السـلام، وفى ظل هذا الجو يكبر الشـهيد الكربلائى ويدرج، فلا يطرق سـمعه إلا صوت الحسـين عليه السـلام والاطهار من أهل بيته ويلْعب ويمرح فلاـ يبصـر أمـامه إلاـ طفلاً صـغيراً يتحرك فى بيت، ينزل فيه الوحى، وتتلى فيه آيات الله ليلاً ونهاراً ومهـداً له يهزه جبرئيل، ويشب الشـهيد فى هـذه الأجواء الإيمانية والوجوه الربانية، فتمتلئ عينه وقلبه ومشاعره من حب الحسـين عليه السـلام، ومن ثم يكون كظله الـذى يتحرك معه، فلا يضع قـدمه إلا حيث يضـعها الحسـين فماذا ترى يمكن ان يأخذ مثل هذا الإنسان وهو يعيش مع رفيق معصوم نزل القرآن الكريم بمدحه والثناء عليه(2).

1- (1) الفوائد الرجالية للسيد محمد مهدى بحر العلوم: ج 4 ص 32 الهامش رقم (1).

2- (2) كما فى آية التطهير، وآية المودة، وآية المباهلة، وآية الإطعام وغيرها.

الجليس الصالح

لقد ذكر النبى صـلى الله عليه و آله وهو فى معرض حديثه، عن الجليس الصالح والجليس السـيئ الذى تركن إليه مدّة زمنية محدودة بقوله: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسک ونافخ الكير، فحامل المسک إمّا أن يحذيک (يعطيک)، وإمّا ان تبتاع منه، وإمّا أن تجـد منه ريحاً طيبـة، ونافخ الكير إمّا ان يحرق ثيابک وإمّا ان تجد ريحاً خبيثة»(1) فإذا كان الإنسان بجلسة قصـيرة مع جليس صالح قد يحصل على واحـدة من ثلاثـة فإما أن يعطيک ويهـديک أو تشترى منه أو تشم منه رائحـة طيّبـة، تؤثر فى نفسک وبـدنک وثوبک، فما بالک بصـحبة طويلة تقترن مع الولادة وتمتد لتشترک حتى فى صـباها وشـبابها وشـيخوختها فلا ترضـى لنفسها بعد ذلک إلا أن تشترک معها فى نهايةٍ شاءَ اللهُ تعالى لها أن تنتهى إليها، ما الذى يمكن أن يأخذه مثل هذا الإنسان مع صحبة من هذا القبيل؟ لا شک أن الشهيد عبد الله بن يقطر، قد أخذ من الحسـين كلَّ مقومات الشخصـية الإيمانية، فكان لا يرى الحسـينُ خيراً إلا ويأمره به، ولا يرى سوءاً أو شراً إلا وينهاه عنه، فكان الحسينُ عليه السلام بالنسبة إليه خيراً له من نفسه، وكما يقول أحد العلماء: (الأخ الصالح خير لک من نفسک لأن النفس أمّارة بالسوء والأخ الصالـح لا يأمر إلا بالخير، يقول آخر: الاصـدقاء ثلاثـة أحـدهم كالغـذاء لابـد منه، والثانى كالـدواء يحتاج إليه فى وقت دون وقت، والثالث كالداء لا يحتاج إليه قط).

ولا ريب أن الحسين عليه السلام كان لِدته كالغذاء الذى لا يستغنى عنه، وقديماً

1- (1) صحيح مسلم: باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء: 2628.

قالوا «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم لمن يخالل»(1) ، ولقد أحسن الشاعر بقوله:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم

فكل قرين بالمقارن يقتدى ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى(2)

وأخيراً يروى المجلسى وغيره قول رقيقة بنت صيفى فى حديث سَقيا عبد المطلب: «ألا وفيهم إلاّ الطيب الطاهر لِداته»(3) والمراد من (لداته) يعنى أتراب النبى صلى الله عليه و آله وأقرانه، وإنما ذكروا أترابه وأقرانه كاسلوب من أساليب تثبيتها ووجودها لهم، فإن الإنسان إذا نودى بأقرانه وأترابه الصالحين، وُذكّر بهم، فإن مثل هذا الأمر سيكون عاملاً دافعاً له للمضى خلفهم، ومن هنا قالت العرب: فلان قد أيفعت لِداته، أى أيفع هو فكُنى بإيفاع لداته عن إيفاع نفسه(4).

صحبة الشهيد الكربلائى لرسول الله

لقد نصَّ كثير من العلماء على صحبة الشهيد عبد الله بن يقطر رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه و آله، وذلک اعتماداً على الرأى المشهور للمُحدّثين الذين ذهبوا إلى تعريف الصحابى اعتماداً على اللغة، فادخلوا بناءً عليه كل من لقى النبى صلى الله عليه و آله مؤمناً به، وإن لم تطل صحبته وجلسته معه، يقول ابن الجوزى: (وفصل الخطاب فى هذا الباب بأن الصحبة إذا اطلقت فهى فى المتعارف تنقسم إلى قسمين:

1- (1) كتاب الاعتصام للإمام الشاطبى: ج 1 ص 172.

2- (2) الآداب الشرعية، محمد بن مفلح بن محمد المقدسى: ج 3 ص 566.

3- (3) بحار الأنوار: ج 15 ص 404، التحرير والتنوير لابن عاشور: ج 26 ص 46.

4- (4) التحرير والتنوير لابن عاشور: ج 26 ص 46.

أحدهما: ان يكون الصاحب معاشـراً مخالصاً كثير الصحبة فيقال: هذا صاحب فلان، كما يقال: خادمه كمن تكررت خدمته لا لمن خدمه يوماً أو ساعة!!.

الثانى: أن يكون صاحباً فى مجالسة أو عشاة ولو ساعة، فحقيقة الصحبة، موجودة فى حقه وإن لم يشتهر بها(1).

وبناءً عليه يكون كل من نص على أخوّة الشـهيد الكربلائى للحسـين بالرضاعة، أو لِدته له، قد أشار إلى صحبة الشهيد لرسول الله صلى الله عليه و آله. لا سيما ابن حجر فى الاصابة حيث نص على ذلک بشكل واضح وصريح قال: كان صحابياً لأنه لِدة الحسين عليه السلام(2).

الشـهيد عبـد الله بن يقطر وحركة الإمام المهدى: روى القطب الراوندى فى كتابه الخرائج والجرائح، شـعراً منسوباً إلى الشـهيد عبد الله بن يقطر رضـى الله عنه، فى نصوص حركة الإمام المهدى المباركة، قال: ومنها ما روى عن عبد الله بن يقطر بن أبى عقب الليثى من بنى الليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة، رضيع الحسين عليه السلام:

إذا كملت أحدى وستون حجة إلى خمسة من بعدهن ضرائح

وقام بنو ليث بنصر إبن أحمد يهزون أطراف القنا والصفائح

تعرفنهم شعث النواصى يقودها من المنزل الأقصى شعيب بن صالح

وحدثنى إذ أعلم الناس كلهم أبو حسن أهل التقى والمدائح(3)

1- (1) الصحبة والصحابة، للشيخ حسن بن فرحان المالكى: ص 140.
2- (2) الاصابة لابن حجر: ج 4 ص 59 وفيه عبد الله بن يقظة ويبدو أنه فيه تصحيف كما مر سابقاً.
3- (3) الخرائج والجرائح للقطب الراوندى: ج 2 ص 550.

هذه هی واحدة من الأدلة التی یذکرها العلماء فی خصوص حرکة الإمام المهدی علیه السلام، والعلامات المتعلقة بهذا الخروج، وقد ذکر الشهید الکربلائی فی طیّات أبیاته المتقدمة، واحدة من مجموعة من العلامات التی ورد ذکرها فی الروایات ان هذا الأمر لا یکون إلا بعد حصولها، فقد روی الشیخ الطوسی فی الغیبة، عن حذلم بن بشیر، قال: قلت لعلی بن الحسین علیه السلام: صف لی خروج المهدی، وعرّفنی دلائله وعلاماته؟ فقال: «یکون قبل خروجه خروج رجل یقال له عوف السلمی بأرض الجزیرة، ویکون مأواه تکریت، وقتله بمسجد دمشق، ثم یکون خروج شعیب بن صالح من سمرقند، ثمَ یخرج السفیانی الملعون من الوادی الیابس»(1).

وفی روایة النعمانی فی معتبرة البزنطی عن أبی الحسن الرضا علیه السلام انه قال: «قبل هذا الأمر السفیانی والیمانی والمروانی وشعیب بن صالح، فکیف یقول هذا هذا»(2).

ویبدو أن هذا الرجل هو عبارة عن قائد عسکری کبیر ومحنک، یقف إلی جانب الإمام المهدی ویکون علی مقدمة جیشه، وأنه من بنی تمیم، وعن الحسن، قال: «یخرج بالریّ رجل ربعة، أشمّ، موالٍ لبنی تمیم، کوسج، یقال له «شعیب بن صالح» فی أربعة آلاف، ثیابهم بیض، ورایاتهم سود، یکون علی مقدمة المهدی، لا یلقاه أحدٌ إلا قتله»(3).

1- (1) حقیقة الاعتقاد بالإمام المهدی، أحمد حسین یعقوب: ص 622.

2- (2) بحار الأنوار: ج 52 ص 233.

3- (3) عقد الدرر: ص 174-175.

وهنـاک من یری ان المراد بهـذا الرجـل، هو شـعیب بن صالـح النبی صـلی الله علیه و آله ولیس شـخصاً آخر، لاـ سـیما وقـد روت کتب المسـلمین، أن هناک مجموعة من الأنبیاء سوف یخرجون مع الإمام المهدی، کالسـید المسـیح والخضـر وإلیاس، ومن ثم یمکن ان یکون نبی الله شعیب بن صالح، نازلاً مع الأنبیاء.

وقد ورد فی تفاسیر أهل البیت، فی تفسیر الآیة الکریمة من سورة هود:

«بَقِیَّتُ اللّهِ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ 1» .

حکایة عن حدیث شعیب مع قومه، والتی سوف یقرأها الإمام المهدی علیه السلام بعد خروجه علی قومه(1).

وعلی کلا الاتجاهین، یبـدو أن الشـهید الکربلائی عبـد الله بن یقطر رضـی الله عنه کانت الصورة عنده واضـحة فی خصوص حرکة الإمام المهدی علیه السلام، وتفاصیل هذه الحرکة المبارکة، بل إن الإنسان یلمس من خلال هذه الإبیات الشعریة والکلمات التی صیغت بها، ان هـذه القضـیة قد لامست کل شـعوره ووجدانه، حتی عبر عنها بأبیات من الشـعر، بیّن بها إیمانه وتفاعله مع هذه العقیدة المقدسة، التی هی امتداد للثورة الحسـینیة المبارکة، والذی یعد الشـهید أحد بُناتها ومُشیّدی مجدها، من هنا نفهم سر الروایات الکثیرة التی وردت عن الإمام الحسـین علیه السـلام فی خصوص حرکة الإمام المهدی علیه السـلام، وسُرِّ مجیء الإمام المهدی إلی کربلاء أولاً دون سواها من الأماکن المقدّسة فی العراق.

1- (2) نور الابصار: ص 172.

واكتفى أخيراً بـذكر روايـة واحـدة عن الحسـين عليه السـلام أنه قال: «لا يكون الأمر الذى تنتظرونه حتى يبرأ بعضـكم من بعض، ويشـهد بعضـكم على بعض، ويلعن بعضـكم بعضـاً، قال الروای قلت: ما فى ذلک الزمان من خير، فقال عليه السـلام: الخير كله فى ذلک الزمان، يخرج المهدى ويرفع ذلک كله»(1).

مهمة الشهيد عبد الله بن يقطر عليه السلام

اشارة

كلمة لابد منها: أبدى الكثير من المؤرخين فضـلاً عن الكُتَّاب المُحدَثين، لاسـيما المحققين منهم، وهم يتحدثون عن الشـهيد عبد الله بن يقطر رضـى الله عنه، والشهيد قيس بن مُسِّهر الصيداوى، عن صعوبة الخوض فى مهمة كل واحد منهما، وما ذاک إلا لتداخل مهمتيهما من جانب، وعدم وضوح الروايات التى تحدثت عنهما من جانب آخر، فضلاً عن تشابه النهاية التى انتهى إليها كلاهما، من هنا يجد

القارئ حالـة الشک والتردد واضـحة عند من كتب وتحدث عنهما، يقول الشـيخ المفيد فى كتابه الإرشاد: «ولما بلغ الحسـين عليه السـلام الحاجز من بطن الرمة، بعث قيس ابن مسِّهر الصيداوى، ويقال: بل بعث أخاه من الرضاعة عبد الله بن يقطر رضى الله عنه»(2).

ويعلق السـيد محسن الأمين فى كتابه القيّم المجالس السنية بقوله: «وقع اشتباه هنا من بعض المؤرخين بين قصة قيس بن مسِّهر الصيداوى رسول الحسين عليه السلام إلى أن الذى قبض عليه هو الحصين بن تميم وأرسله إلى زياد فأمر أن يسبَّ الحسين وأباه ففعل ضد ذلک، فألقاه من أعلى القصر، وبين قصة عبد الله

1- (1) عقد الدرر: ص 63.

2- (2) الارشاد للشيخ المفيد: ج 2 ص 70، العوالم (الإمام الحسين): ج 2 ص 229.

ابن يقطر الذى أرسله ابن عقيل إلى الحسين عليه السلام فقبض عليه الحصين أيضاً وجرى عليه نظير ما جرى لقيس»(1).

ولـذلک نحـاول فی هـذه الدراسـة المتواضـعة أن نسـلط الأـضواء علی أهم الآـراء والأقوال التی ذکرها العلماء فی کتبهم أو التی یمکن ان یتلمسها الإنسان فی طیّات کلماته، والتی نحاول أن نجمعها ونرتبها إلی ما یلی:

الرأی الأول

ویری أصحابه أن الحسین علیه السلام سرّح عبد الله بن یقطر رضی الله عنه، إلی مسلم بن عقیل فی جواب کتابه الذی أخبره باجتماع الناس ومبـایعتهم له، وفی طریقه إلی الکوفـة ألقی علیه القبض الحصـین بن نمیر فی القادسـیة، یقول أصـحاب السـیر والتواریـخ: «لما بلغ الإمام الحسـین الحـاجز من بطن الرمّـة، بعث إلی أهـل الکوفـة کتاباً، وقال فیه: "بسم الله الرحمن الرحیم: من الحسـین بن علیّ إلی وجوه إخوانه المؤمنین والمسلمین، سلامٌ علیکم، فإنّی أحمدُ الیکم الله الذی لا إله إلاّ هو.

أمّـا بعـد، فإنّ کتاب مسـلم بن عقیل جاءنی یخبرنی فیه بحسن رأیکم، وإجماع ملئکم علی نصـرنا والطلب بحقنا، فسألت الله ان یحسن لنا الصـنیع، وأن یثیبکم علی ذلک أعظم الأجر. وقـد شـخصت الیکم من مکـة یوم الثلاثاء لثمانٍ مضـین من ذی الحجة یومَ التروية، فإذا قدم علیکم رسولی فانکمشوا فی أمرکم وجدّوا، فإنی قادم علیکم فی أیامی هذه، والسلام علیکم ورحمة الله وبرکاته"(2).

1- (1) المجالس السنیة: ج 1 ص 70.

2- (2) الارشاد للشیخ المفید: ج 2 ص 70. روضة الواعظین للفتّال النیسابوری: ص 177.

وطوى الإمام الكتاب وختمه بختمه، ودفعه إلى عبد الله بن يقطر، كما يذهب إلى ذلک الفتال النيسابوری فی روضة الواعظين وغيره»(1).

ويقول الشيخ السماوی: قال أهل السير: «إنّ عبد الله بن يقطر سرحه الحسين عليه السلام إلى مسلم بن عقيل بعد خروجه من مكة فی جواب كتاب مسلم إلى الحسين عليه السلام يسأله القدوم.

ويخبره باجتماع الناس، فقبض عليه الحصين بن تميم بالقادسية وأرسله إلى عبيد الله بن زياد»(2).

فبناءً على هذا الرأی يكون الشهيد عبد الله بن يقطر قد القی عليه القبض وهو رسول الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة.

الرأی الثانی

ويذهب أصحابه إلى أن الشهيد قد سرّحه الحسين عليه السلام مع مسلم بن عقيل عند مغادرته مكة إلى الكوفة، وظل معه مراقباً للاوضاع، حتى إذا حصل الانقلاب المفاجئ فی الكوفة، بعثه مسلم بن عقيل بكتاب إلى الحسين عليه السلام يشرح فيه ما جری وحصل عليه آخر الأمر، فيقول الشيخ السماوی نقلاً عن ابن قتيبة وابن مسكويه إنهما قالا: «إن عبد الله بن يقطر بعثه الحسين عليه السلام مع مسلم، فلما أن رأی مسلم الخذلان قبل ان يتم عليه ما تم، بعث عبد الله إلى الحسين عليه السلام يخبره بالأمر»(3).

1- (1) روضة الواعظين للفتّال النيسابوری: ص 177.

2- (2) إبصار العين للشيخ السماوی: ص 93.

3- (3) إبصار العين للشيخ السماوی: ص 93.

وهناک من یختلف مع اصحاب هذا الرأی فی وقت رجوع الشهید عبد الله ابن یقطر رضی الله عنه، حیث یذهبون إلی أنه کان قبل الخذلان والانقلاب الـذی حصل فی الکوفـة، وتحدیـداً عندما بلغ عدد المبایعین رقماً کبیراً، فُبعث لیبشـر الحسـین علیه السـلام بذلک، فقبض علیه مالکُ بن یربوع التمیمی، یقول ابن شـهراشوب فی مناقب آل أبی طالب: «أن ابن زیاد بعد أن زار شریکاً فی مرضه، فی بیت هانئ، وجری ما جری من خطة اغتیاله، فخرج، فلمّا دخل القصـر أتاه مالک بن یربوع بکتاب أخذه من ید عبد الله بن یقطر رضی الله عنه، وفی الرسالة: «أمّا بعد، فإنی أخبرک أنه قد بایعک کذا، فإذا أتاک کتابی... الخ»(1).

وعلی کلا التفسیرین یکون الشهید عبد الله قد القی علیه القبض وهو رسول مسلم بن عقیل إلی الحسین علیه السلام.

الرأی الثالث

وهو القائل بأن الشهید عبد الله بن یقطر رضی الله عنه، بعثه الحسین وهو فی طریقه إلی الکوفة، بعد أن انقطعت عنه أخبارها، وبعد أن بعث قیس بن مسِّهر الصـیداوی رضـی الله عنه إنقطاع اخباره عنه علیه السـلام، یقول علی بن محمـد الفتّال النیسابوری: «ویجوز أنه أرسل إلیهم کتابین: أحدهما مع عبد الله بن یقطر، والآخر مع قیس بن مسهِّر الصیداوی»(2).

وربما یستشف مثل هذا الرأی من ظاهر کلمات السید محسن الأمین فی

1- (1) مناقب آل أبی طالب: ج 4 ص 94.

2- (2) روضة الواعظین للفتّال النیسابوری: ص 152.

مجالسه السنية حيث يقول: «إن الوضع قد بلغ الحد الذى يدفع إلى المواجهة وإلى القتال الصريح مهما تكن القوة التى تجابهه؛ وقد تأكد له الموقف بعد ذلک حين أرسل قيساً بن مسهِّر الصيداوى فقُتل هو الآخر، ثمَّ عاد فارسل عبد الله بن يقطر فألُقى من شرفات القصر»(1).

ويقول سعيد أيوب فى كتابه معالم الفتن: «ولكى يطوقهم الحسين عليه السلام بطوق الحجة مرة أخرى، بعث إليهم عبد الله بن يقطر، وما حدث لقيس حدث لابن يقطر فلقد تلقته خيل الحصين بن نمير بالقادسية، وبعث به إلى ابن زياد...»(2).

وتبقى الاحتمالات قائمة: ما تقدم يمثل أهم الآراء التى ذكرها العلماء فى الشهيد عبد الله بن يقطر رضى الله عنه، وقد حاولنا قدر استطاعتنا أن نعطى صورة للقارئ الكريم، ولو سريعة، بما ذكر وكتب عن مهمة الشهيد رضى الله عنه، على أن الأمر يحتاج إلى مزيدٍ من البحث والدراسة، وتبقى مع كل رأى من الآراء المتقدمة احتمالات الصحة والمطابقة للواقع قائمة.

وقت شهادة عبد الله بن يقطر: لقد ذكر العلماء فى كتبهم جملة من الروايات التى تحدثت عن وقت شهادة الشهيد عبد الله بن يقطر، والمتتبع لهذا الروايات يجد أن كل واحدة لا تجتمع مع الآخرى فى الوقت، وأهم هذه الروايات فى تقديرنا ثلاثة:

الأولى: وهى التى تزعم أن وقت شهادة الشهيد كان قبل انقلاب الأوضاع

1- (1) المجالس السنية للسيد محسن الأمين: ج 2 ص 295.

2- (2) معالم الفتن: ج 2 ص 271.

فی الکوفة بشکل کامل، وتحدیداً فی أول لیلةٍ قدم فیها ابن زیاد إلی الکوفة کما یذکر ذلک ابن عساکر وغیره.

حیث ورد: «وأتی تلک اللیلة برسول الحسین علیه السلام وقد کان ارسله إلی مسلم ابن عقیل وکان یقال له: عبد الله بن یقطر فقتله»(1).

ومثل هـذه الروایة یَبعُد قبولها، لا سـیما وهی تتحدث عن اللیلة الأولی التی دخل فیها عبید الله بن زیاد إلی الکوفة، وهی اللیلة التی احتاج فیهـا ابن زیـاد إلی کثیر من التأمـل فی واقع الکوفـة، وما یجری فیها، من أجل وضع الخطط المناسـبة لها، والقادرة علی مواجهتها، کوضـع الجاسوس معقل وغیره، ومن ثم، فإن مثل هذه الأمور تحتاج إلی وقت حتی یمکن ان تنفّذ، ومن ثم یستتب له الأمر، ثم یصنع بعد ذلک ما یشاء من ترویع وقتل.

هـذا کله، إضافـة إلی أن أمراً خطیراً – کقتل الشـهید عبد الله بن یقطر – وبالکیفیة التی سوف نتحدث عنها لابد أنها سوف تترک أثراً کبیراً فی نفوس الناس وإذا کان مثل هذا الأمر متوقعاً فلا شک أن مسلماً وهانئاً وغیرهما من شخصیات الحرکة فی الداخل سوف یحاولون أن یتخذوا – قـدر اسـتطاعتهم – کافة الاحتیاطات لمواجهة ابن زیاد حتی لا یتحولوا إلی لقمة سائغة له، وهذا ما لـم یحصل، مما یعنی ان شـهادة عبد الله بن یقطر لـم تحصل فی الزمان الذی ادعته هذه الروایة.

الروایة الثانیة: وهی الروایة التی یفهـم من ظاهرها ان الشهید عبد الله بن

1- (1) ابن عساکر، ترجمة الإمام الحسین: ص 327.

يقطر، قد قتل بعد شـهادة مسـلم بن عقيل عليه السـلام، وهانىء بن عروة، يقول الطبرى: «حتى إذا انتهى إلى زبالة سـقط إليه مقتل أخيه من الرضاعة عبد الله بن يقطر وكان سـرحه إلى مسـلم بن عقيل، فى الطريق وهو لا يدرى أنه قد اصيب فتلقاه خيل الحصين بن تميم بالقادسية، فسرح به إلى عبيد الله بن زياد... الخ»(1).

فإن الحصين بن نمير (تميم) لم يُسرَّح خارج الكوفة على الخيل إلا بعد شهادة مسلم بن عقيل عليه السلام وانقلاب الاوضاع فى الكوفة.

الرواية الثالثة: وهى الرواية التى ربما تكون هى الاقرب إلى وقت اعتقال الشـهيد وشهادته إلى انه رضى الله عنه اعتقل فى نفس وقت اعتقال هانىء أو قبله بقليل، يقول ابن اعثم: «فبينا عبيد الله مع القوم فى هذه المحاورة إذ دخل رجل من أصـحابه، يقال له مالك بن يربوع التميمى، فقـال: أصـلح الله الأمير: ها هنا خبر، فقال ابن زياد: ما ذاك؟ قال: كنت خارج الكوفـة أجول على فرسـى، إذ نظرت رجلاً خرج من الكوفة مسـرعاً يريـد البادية فأنكرته، ثم إنى لحقته وسألته عن حاله، فـذكر أنه من المدينة، فنزلت عن فرسـى وفتشـته فأصـبت معه هذا الكتاب... الخ»(2).

ومما يؤكـد هـذه الرواية، ما رواه ابن شـهراشوب فى المناقب من أن وقت اعتقال الشـهيد كان بعد خروج عبيد الله بن زياد من بيت هانىء، يقول: «فتوهم ابن زياد وخرج (من بيت هانىء) فلما دخل القصر أتاه مالك بن يربوع بكتاب أخذه من يدى عبد الله بن يقطر»(3).

1- (1) تاريخ الطبرى 3:303.

2- (2) الفتوح لابن اعثم 5: ص 45.

3- (3) المناقب لابن شهراشوب 3:243.

ومن ثم يكون الشهيد قد اعتقل بوقت مقارب جداً إلى وقت اعتقال هانىء، الذى لم تكن قد سُكِّرت فيه الطرق خارج الكوفة، ولم يرسل بعد اليها الحصين ابن نمير (تميم)، ومن ثم يكون اعتقال الشهيد قد تمّ بشكل فردى وبجهد شخصى من قبل مالک بن يربوع التميمى ومن معه، والذى نسب وقوفه خارج الكوفة فى ذلک الوقت إلى نفسه حيث قال: «أجول على فرسى، مما يعنى أن الأوامر لم تصدر بعد إلى الشرطة وغيرهم بالخروج خارج الكوفة وتسكير الطرق على الداخلين إليها والخارجين منها).

كيفية شهادة الشهيد عبد الله بن يقطر: روى الطبرى فى تاريخه، والشيخ المفيد فى الارشاد وغيرهما كثير ان ابن زياد قال للشهيد: «اصعد القصر والعن الكذّاب ابن الكذّاب! ثم انزل حتى ارى فيک رأيى. فصعد القصر، فلمّا أشرف على الناس قال: أيها الناس، أنا رسول الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله إليكم لتنصروه وتؤازروه على ابن مرجانة وابن سمية الدعىّ ابن الدعىّ، فأمر به عبيد الله فألقى من فوق القصر إلى الارض، فتكسرت عظامه وبقى به رمق فأتاه عبد الملک بن عمير اللخمى فذبحه بمدية، فلما عيب عليه قال: إنى اردت ان أريحه»(1).

ولک ان تتصور معى، ويتصورها كل من يقرأ هذا النص، كم هى صلبة وقوية عقيدة الشهيد رضى الله عنه، الذى لم يعبأ بكل طغيان ابن زياد، وغطرسته، حتى انه ما تردد فى إيصال رسالته إلى الناس، ولک ان تتصور معى، حال ابن زياد واقفاً وهو

1- (1) تاريخ الطبرى 303:3، الارشاد للشيخ المفيد 70:2، إبصار العين: ص 93.

يسـمع الصـفعات تلو الصفعات، التى افقدته توازنه، حتى ان الإنسان ليتلمس انهيار ابن زياد من خلال الأمر الذى اصدره بحق الشهيد، ان يُصعد به أعلى القصر ويُرمى من سطحه إلى الارض.

ولـك أن تتصـور معى قاضـى الكوفـة ومفتيهـا الـذى بلـغ من العمر عتيـا، وهو يعيش الصـغار والضـعة والذلـة فى نفسه، فى أعلى صورها واشـكالها، يبرز أمام الناس مفتخراً، إلى جهـة الشـهيد عبـد الله بن يقطر وهو يجود بنفسه على الأرض، من أجل ان يثبت لابن سـمية مدى طاعته له ولسـيده الفاجر يزيـد، من خلال اقدامه على ارتكاب جريمة يندى لها جبين الإنسانية قبل الدين، والعجيب فى أمر هذا الرجل، انه حينما ذُمَّ وعُنّف على فعله هذا! اعتذر بقوله: انما أردت ان اريحه، عذرٌ أشد قبحاً من فعله.

الشهيد عبد الله بن يقطر ومنهجية القتل الأموى

أن من يقرأ ويتأمل فى سـيرة بنى أميـة، منـذ أن اعتلى معاويـة بن أبى سـفيان سـدة الحكم ظلماً وعدواناً، وماتلاه من أقطاب هذه المدرسـة الأموية، على صدر الأمة الإسـلامية، ليجد وبشكل واضح، أن هناك منهجاً مدروساً، وسياسةً محكمة، اختيرت منذ اليوم الأول، وأريد لها أن تسـتمر فى حياة هـذه الأمـة، من أجل القضاء على هـذا الـدين من الـداخل، بعـد ان عجزت عن مواجهته من الخارج، فقـد قررت هذه المدرسة منذ يومها الأول، ان تواجه من يقف أمام انحرافها وظلمها واسـتهتارها بمقدرات الإسلام والمسلمين، بأبشع صور الارهاب والقتل والتشريد، وربما لا يحتاج الإنسان كثير عناءٍ من أجل إثبات هذه الحقيقة التاريخية أو

التـدليل عليها، فنظرة سـريعة إلى ما صـنعه حكام بنى أميـة واشـياعهم واتباعهم مع شخصـيات هـذه الأمة ورموزها الإسـلامية، من مآسٍ وويلات، يمثل أعظم دليل يمكن أن يقدم فى هذا المجال، فهذا حجر بن عدى صاحب رسول عليهما السلام، بل من أفاضل اصحابه، كثير الصلاة والصيام(1) ، يقتل وبأشـبع صورة مع ثلـة من اصـحابه البررة بيـد معاويـة بن أبى سـفيان(2) ، وذاك رشـيد الهجرى يقطع لسـانه، ويصلب على باب عمرو بن حريث(3) ، ونفس الطريق جرت مع ميثم التمار وقنبر وو.. وقائمة الاسـماء تطول مع اجرام بنى أمية وظلمهم، ويبـدو ان شـهادة الشـهيد الكربلائى عبـد الله بن يقطر، جاءت ضـمن منهج هذه الفئة مع أبناء هذه الأمة، لا سـيما أتباع أهل البيت عليهم السلام والمتمسكين بولايتهم.

ومن الغريب حقاً، ان تصوّر هذه الشخصـيات الظالمة، عبر التاريخ إلى يومک هذا، على أنها خدمت الإسـلام والمسلمين، بعدلها الزائف، وحلمها الكاذب، وورعها الـذى لا يمت إلى الواقع بصـلة، ومن ثم يُمجَّد زياد بن أبيه، وابنه عبيـد الله وبعـدهم الحجاج وغيرهم من رموز الارهـاب والقمع الامـوى، على اسـاس أنهم اصـحاب قوة وحزم كبيرين فى إدارة شؤون العبـاد والبلاـد، وينسون أويتنـاسون بعبـارة أصـح جرائمهم التى ارتكبوها عبر التاريـخ والى يومک هـذا، والتى ملأت كتب المسـلمين، وباعتقادى ان هـذا الأمر يمثل امتداداً لهذه السياسـة الأموية السفيانية التى ابتدعها معاوية، فى التعامل مع معارضيه والخارجين عليه وكل من

1- (1) الاستيعاب لابن عبد الله 331:1.

2- (2) تاريخ دمشق 226:12-227.

3- (3) لسان الميزان للذهبى 461:2 (رقم 1859).

يكتم هذه السياسة أو يتستر عليها أو حتى يقلل من مأساتها، فهو من منفذى هذه السياسة الأموية والداعين إليها.

وما الترويع الـذى يجرى للآمنين من أتباع أهل البيت عليهم السـلام، فى كل أرض يطؤوها، من قبل أتباع بنى أمية - من الوهابية وغيرهم - إلاـ اقتفـاءً لأـمر سـيَّدهم معاويـة بن أبى سـفيان فى علىّ عليه السـلام وفى قتل مَنْ يروى شـيئاً فى فضائل أبى تراب، يقول ابن أبى الحـديد المعتزلى: «كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة: أن قد برئت الذمة ممّن روى شيئاً من فضل أبى تراب»(1).

الحسين يؤبن الشهيد عبد الله بن يقطر

ورد فى كتـاب مقتـل الحسـين عليه السـلام لأـبى مخنف، أن الحسـين عليه السـلام لما أخبر بقتل رسوله عبـد الله بن يقطر، تغرغرت عينه بالدموع، وفاضت على خديه، ثم قال:

«مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً2,3» .

الحسين يوسع من مفهوم الآية: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ...»:

لقد أشار الحسـين عليه السـلام، وهو فى معرض التأبين للشـهيد عبد الله بن يقطر، إلى أن الآية الكريمة لا تنحصر فى شهداء بدر فقط، كما تذهب إلى ذلك بعض الروايات، ينقل القرطبى فى تفسيره عن أنس قال: قال عمى أنس بن النضر -

---

1- (1) شرح الخطبة (208)، طبعة مصر الأولى 3:15-16.

سمیت به - ولم یشهد بدراً مع رسول الله صلی الله علیه و آله، فکبر علیه فقال: أول مشهد شهده رسول الله غبت عنه، أما والله لئن أرانی الله مشهداً مع رسول الله صلی الله علیه و آله فیما بعد لیدین الله ما أصنع.

قال: فهاب ان یقول غیرها، فشهد مع رسول الله صلی الله علیه و آله یوم أحد من العام القابل إلی ان یقول فقاتل حتی قتل... ونزلت الآیة رجال صدقوا ما عاهدوا الله علیه...»(1).

ویقول الطبری: «من المؤمنین رجال صدقوا ما عاهدوا الله علیه»: أی: وفوا الله بما عاهدوه علیه «فمنهم من قضی نحبه» أی فرغ من عمله، ورجع إلی ربه، کمن استشهد یوم بدر وأحد(2). وآخرین(3).

بینما أراد الحسین علیه السلام، ان یعطی للآیة مفهوماً أوسع بحیث یشمل کل اولئک الذین سقطوا ویسقطون فی طریق الدین، والوقوف أمام الظالمین، یقول الشیخ مکارم الشیرازی فی تفسیره الأمثل: للآیة مفهوم واسع یشمل کل شهداء الإسلام الذین استشهدوا قبل معرکة الأحزاب، وکل من کان منتظراً للنصر أو الشهادة، وکان علی رأسهم رجال کحمزة سید الشهداء وعلیّ علیه السلام، ولذلک ورد فی تفسیر الصافی: أن اصحاب الحسین علیه السلام بکربلاء کان کلّ من أراد الخروج للقتال ودّع الحسین علیه السلام وقال: السلام علیک یا بن رسول الله فیجیبه: وعلیک السلام

1- (1) تفسیر القرطبی 146:14.

2- (2) تفسیر الطبری 238:20.

3- (3) تفسیر الیعقوبی 337:6.

ونحن خلفک، ویقرأ:

«فَمِنْهُمْ مَنْ قَضی نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ یَنْتَظِرُ» .

ویستفاد من کتب المقاتل أنّ الإمام الحسین علیه السلام تلا هذه الآیة عند أجساد شهداء آخرین کمسلم بن عوسجة، وحین بلغه خبر شهادة عبد الله بن یقطر، ومن هنا یتضح أنّ للآیة مفهوماً واسعاً یشمل کلّ المؤمنین المخلصین الصادقین فی کلّ عصر وزمان، سواء من ارتدی منهم ثوب الشهادة فی سبیل الله، أُمّ من ثبت علی عهده مع ربه، ولم یتزعزع، وکان مستعداً للجهاد والشهادة(1).

1- (1) تفسیر الأمثل 13:201-202.

المحتويات

الإهداء 6

المقدمة 9

لماذا هذه الموسوعة؟ 9

من هم أصحاب الحسين عليه السلام

1. إنّهم مصطفون للشهادة قبل شهادتهم 15

2. الرحمة والشفقة على الأعداء 17

3. المحافظة على أوقات الصلاة 21

4. اليقين بالله وبثوابه 22

5. تشخيص الأولويّات 23

6. التركيبة المتميّزة لأصحاب الحسين عليه السلام 24

7. الوعى والبصيرة 25

8. إنّ الله تولّى قبض أرواحهم 26

9. نكرانهم لذواتهم 27

كم هو عدد أصحاب الحسين عليه السلام؟

المقدمة 29

سؤال وجواب 35

جهود العلماء 36

الآيادى الآثمة المحرِّفة 39

اليد الآثمة فى تأريخ الثورة الحسينية 40

الطبرى مثالاً 40

الضحّاک کان دقیقا فی تعامله 43

تعبئة الحسين عليه السلام كانت عامة وليست خاصة بالاصحاب

أمّا الدليل النقلى 45

وأمّا الدليل المعنوى 46

أمّا فيما يتعلّق بالفقرة (2) وهى جريمة قطع الرؤوس الشريفة 48

أمّا فيما يتعلّق بالفقرة (3) وهم المستشهدون فى الحملة الأولى وفى المبارزة 49

أمّا فيما يتعلّق بالفقرة (4) وهى كتب المقاتل القديمة 50

السيد الجلالى ومقتل الفضيل بن الزبير 51

كتب المقاتل أقلّ تحريفاً من الكتب التاريخية الرسمية 51

مقتل الفضيل بن الزبير 55

أمّا فيما يتعلّق بالفقرة رقم (5) وهى زيارة الناحية المقدّسة: 59

أمّا فيما يتعلّق بالفقرة رقم (6) وهى الزيارة الرجبية 63

تقديرنا لعدد الشهداء 64

التقدير الأول 64

التقدير الثانى 68

التقدير الثالث 69

ص:274

الشهيد مسلم بن عوسجة

أقوال العلماء فيه 71

أسرة الشهيد 72

الشهيد من بنى ناشرة 73

مواقفه أيام الفتح الإسلامى 74

فتح سلق آذربيجان 75

دور مسلم بن عوسجة المتميز فى المعركة 75

شبث بن ربعى يشيد بدور مسلم بن عوسجة فى المعركة 76

درس كبير من حياة هذا الشهيد 77

موقفه فى الكوفة 79

تنبيه حول قصة الجاسوس (معقل) 81

لا وجود لقصة الجاسوس 82

الخروج من الكوفة 84

مسلم بن عوسجة يصحب معه زوجته وولده 85

الشهيد فى كربلاء 85

محاولة مسلم بن عوسجة قتل شمر 88

شهادته 90

الشهيد حنظلة بن سعد الشبامى

أقوال العلماء فى الشهيد 94

الاختلاف فى اسم الشهيد ونسبه 95

دور قبيلة شبام فى صفين 98

جدَّ الشهيد الكربلائى 101

ولد الشهيد الكربلائى 104

ولد الشهيد يروى خطبة زهير بن القين 104

ص:275

شبهة أن الحسين عليه السلام لم يقتل والقاء شبهه على الشهيد حنظلة 106

الرد على هذه الشبهة 114

ومن هذه الروايات.... 114

الشهيد حنظلة رسول الحسين إلى ابن سعد 120

الشهيد حنظلة قارئا للقرآن 123

خطبة الشهيد حنظلة فى كربلاء 124

وقفات مع خطبة الشهيد 126

وقت شهادة الشهيد حنظلة 134

الشهيد يدعو والحسين يؤمّن له 136

الشهيد كردوس التغلبى رحمه الله

اسم الشهيد 138

الاختلاف فى اسمه 139

اسم والد الشهيد 139

شخصية واحدة أم شخصيات متعددة 141

نسب الشهيد كردوس 144

قبيلة الشهيد 145

بنو تغلب ودولة الحمدانيين 154

مواقف الشهيد فى صفّين 156

خطبة الشهيد كردوس فى صفين 157

حضور الشهيد كردوس الاجتماعى 159

مع الشهيد فى رواياته 162

الشهيد خطيباً وواعظاً 169

أبناء الشهيد 172

شهادته 172

ص:276

الشهيد بشر بن عمرو الحضرمى الكندى عليه السلام

أسرة الشهيد 175

عرب الجنوب وعرب الشمال 175

وقد يقول قائل 177

نسب الشهيد حضرمى أم كندى 179

نقطة مضيئة 179

ظاهرة رفض الاعذار الشرعية فى أصحاب الحسين عليه السلام 185

الشهيد يزيد بن زياد بن مهاجر الكندى

البهدلى أبو الشعثاء عليه السلام

بين يدى الشهيد 191

من هم بنو بهدلة؟ 191

ما قاله العلماء فى الشهيد 193

اسم الشهيد 194

مع الشهيد فى روايته 194

تحريم لحم الصيد على المحرم 198

لقاء الشهيد بالحسين عليه السلام ووقت التحاقه به 201

تعارض روايتى الالتحاق بالحسين وطرق معالجته 206

بين منطق الخضوع ومنطق المسؤولية 207

مفهوم الإمامة عند الشهيد الكربلائى 208

الشهيد فى كربلاء فارساً ثم رامياً 210

رسالة الشهيد إلى من يهمه الأمر 211

الشهيد عمّار بن حسّان بن شريح الطائى عليه السلام

بين يدى الشهيد 212

أقوال العلماء فى الشهيد 214

أجداد الشهيد 215

سعد الأثرم جد الشهيد الكربلائى 215

والد الشهيد الكربلائى 217

ابن عمّ الشهيد الكربلائى 219

عروة بن افاق بن شريح الطائى 219

هل للشهيد قريب من شهداء كربلاء؟ 221

نوع القرابة ودرجتها 227

حفيد الشهيد الكربلائى 229

فائدة 233

الشهيد فى كربلاء 235

الشهيد عبدُ الله بن يقطر عليه السلام

أقوال العلماء فى الشهيد الكربلائى 237

أسم الشهيد واسم أبيه 239

معنى يقطر وبقطر 239

كلمة إلى من يهمة الأمر 241

والد الشهيد والخدمة لرسول الله 241

والدة الشهيد والخدمة فى بيت على عليه السلام 243

قبيلة الشهيد الكربلائى 244

القول الأول 244

القول الثانى 245

رضيعُ الحسين عليه السلام أُمّ لِدتهُ 245

ص:278

رضاعة الحسين 246

لِدة الحسين عليه السلام 254

فخر أقتران ولادة الشهيد بولادة الحسين عليه السلام 254

الجليس الصالح 255

صحبة الشهيد الكربلائى لرسول الله 256

مهمة الشهيد عبد الله بن يقطر عليه السلام 260

الرأى الأول 261

الرأى الثانى 262

الرأى الثالث 263

الشهيد عبد الله بن يقطر ومنهجية القتل الأموى 268

الحسين يؤبن الشهيد عبد الله بن يقطر 270

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹